النور الأسنى

في شرح أسماء الله الحسنى

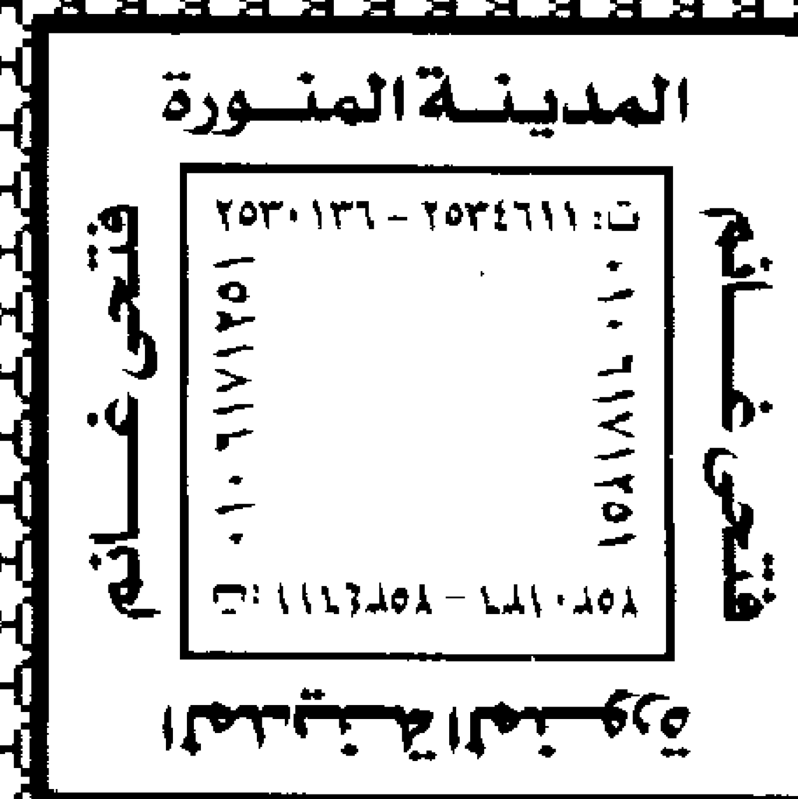
تقديم:

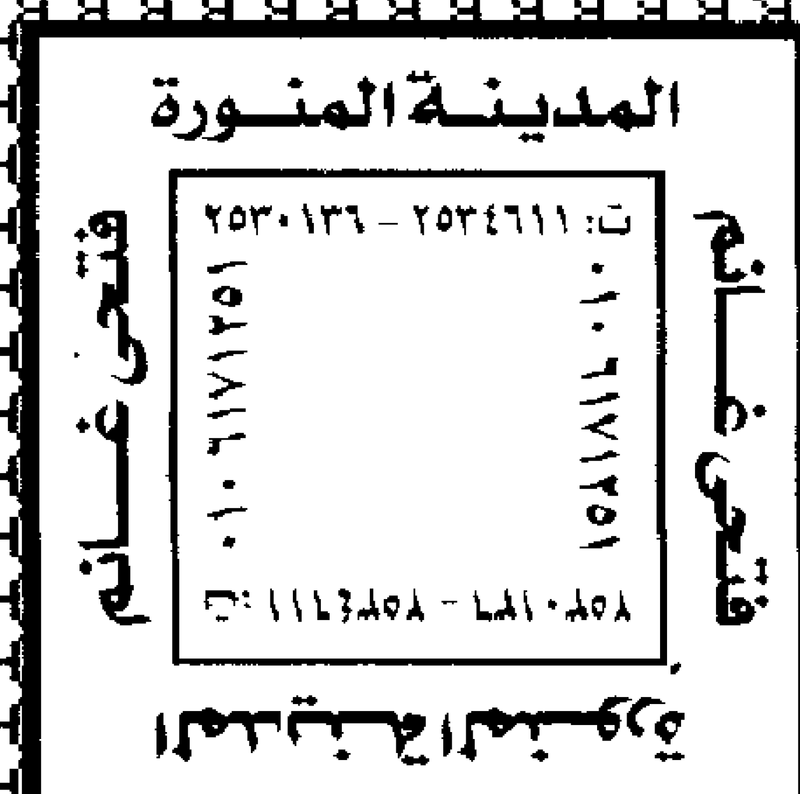
فضيلة الشيخ
محمد حسان

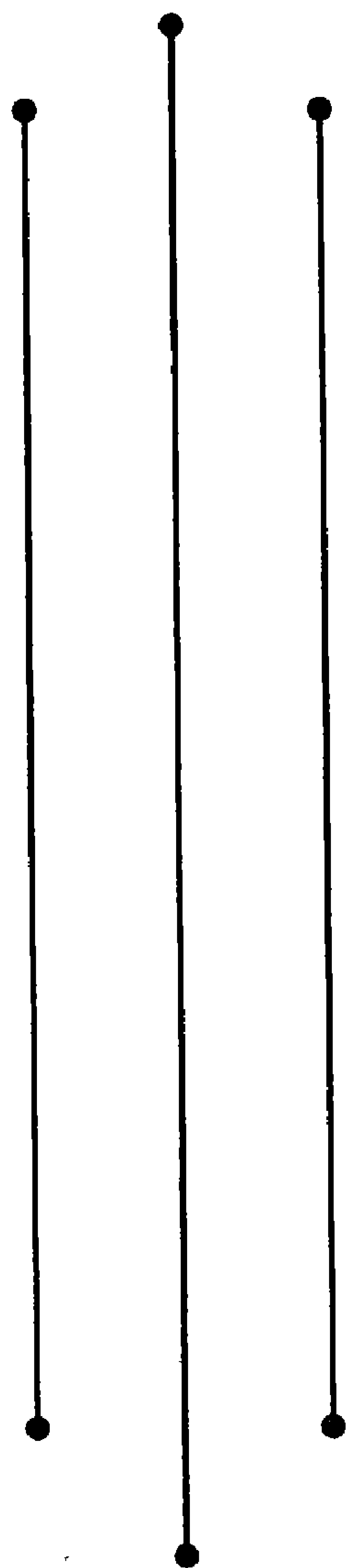
فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

تأليف
الشيخ أمين الأنصاري

العالمية
ALAMIA
للنشر والتوزيع


المدينة المنورة
فتحي غانم
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦
فتحي غانم


المدينة المنورة
فتحي غانم
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦



النور الأسنى

في شرح

أسماء الله الحسنى

النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى



الدار العالمية للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٦١١م

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978 - 977 - 6326 - 08 - 8



الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١ - ٣١ ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

النور الأسنى

في شرح

أسماء الله الحسنى

تقديم :

فضيلة الشيخ
محمد حسان

فضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

تأليف

الشيخ أمين الأنصاري



الدار العالمية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ/ محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد،

فإنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق التوحيد.. الذي من أجله خلق الله الأرض والسماوات..وهو محض حق الله على جميع المخلوقات.. ولأجله بعث الله الرسل وجاءت جميع الرسالات.

وبه انقسم الناس إلى شقي وسعيد.. وقريب وبعيد..ومقبول وطريد.. وبه انفصلت دار الكفر عن دار الإيمان.. وتميزت دار النعيم من دار الجحيم!!

وذلك لأن التوحيد هو أصل الدين وأساسه.. ورأس أمره.. وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنه، متشعبة منه مكملات له..فهو دين شامل ومنهج حياة متكامل!!

ومن أعظم وأجلِّ وأشرف أبوابه باب توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله - جل جلاله - بأسماء الجلال وصفات الكمال، والإيمان بها كما جاءت في القرآن والسنة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل؛ لأنه - جل وعلا- ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ثم التعبد بها وبمقتضياتها للملك القدير.

وهذا الباب من أشرف وأجلِّ أبواب التوحيد؛ لأنه يتعلق بذات الله - جل وعلا- ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا معرفة صحيحة، صادقة تدحض الشرك والتعطيل والتشبيه والتمثيل والإلحاد والتأويل امتثالًا عمليًا لقول الرب القدير: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

والحق **أقول**: كم ضلت في هذا الباب أفهام! وكم زلت فيه أقلام وأقدام! والموفَّق من وفَّقه الله تعالى للفهم عن الله ورسوله ﷺ .

إذ أن سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام قديمًا وحديثًا، وما وقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والروافض وسائر طوائف أهل البدع في القديم والحديث ما وقعوا فيما وقعوا فيه إلا بسوء الفهم عن الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

لذا ترى الإمام البخاري يترجم في صحيحه في كتاب «العلم» بابًا بعنوان «باب الفهم في العلم»، وفي الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يفقِّهه في الدين**».

ولقد وفق الله أخانا الحبيب الشيخ «أمين» حَفِظَهُ اللهُ فقدم لنا هذا البستان الماتع في هذا الباب الجليل بعد مقدمة في غاية الأهمية في الأبواب الثلاثة الأولى بأسلوب جميل سهل، ثم شرح الأسماء الحسنى بمنهجية جمعت بين التأصيل العلمي والأسلوب المنهجي والبيان الرقراق الوعظي. فبدأ بالتأصيل اللغوي والشرعي للاسم، ثم بالأدلة الشرعية ثم بالآثار الإيمانية لهذا الاسم الكريم فجزاه الله خير الجزاء.

وأسأل الله تعالى أن يقبل منا ومنه صالح الأعمال، وأن يقرَّ أعيننا جميعًا بعودة الأمة إلى التوحيد الخالص بشموله وكماله، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل، وألا يجعل حظنا من ديننا قولنا، وأن يحسن نياتنا وأعمالنا، وأن يختم لنا وله ولجميع المسلمين بخاتمة الموحِّدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه

محمد حسان (أبو أحمد)

القاهرة/ شوال/ ١٤٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ/ مصطفى العدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،،

فإن ربَّ العزة - تبارك وتعالى - يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ ويقول نبيه عليه الصلاة والسلام: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا؛ مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»، فلهذا وذاك لزمنا أن نتعرف على أسماء الله الحسنى ونقف عليها وعلى معانيها، فالعلم بذلك يرفع الله به العبد درجات، ويورثه به فسيح الجنان.

هذا وقد تناول عدد من علمائنا الأولين - رحمهم الله - أسماء الله الحسنى بالشرح والبيان والجمع والترتيب والإيضاح فجزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ثم إنَّ بين يدي كتابًا طيبًا ولطيفًا وسهلًا في هذا الصدد وهو كتاب: «النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» أعده أحد إخواننا الدعاة إلى الله وهو أخونا الشيخ/ أمين الأنصاري، وقد اطلعت عليه ونظرت فيه وتأملت طياته فوجدته والحمد لله نافعًا موفقًا قد اتسم بحسن الترتيب، وسهولة العبارات، وتحري المادة العلمية الصحيحة فجزاه الله خيرًا على ذلك.

وإن كان ثَمَّ بعض الأحاديث التي أوردها قد اعتمد فيها تصحيحات علماء أفاضل وإن كنا نخالف في بعض التصحيح، إذ عدد منها محل اجتهاد يتأتى فيه الوجهان التصحيح والتضعيف، فلما كان جُلُّ هذا في فضائل الأعمال فقد تركته وشأنه فيها كحديث: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»، وحديث: «خَيْرُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله»، وحديث: «يُؤْتَى بِالولَاةِ يَومِ القِيَامَةِ عَادِلِهِم وَجَائِرِهِم»... إلى غير ذلك فالخطب فيه

يسير ثم إن أخي اعتمد تصحيحها من علماء أجلاء، فبالجملة فالكتاب طيب ونافع ومبارك، أسأل الله أن يجازي كاتبه، وأن يجعله في سجل أعماله يوم يلقى ربه وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

هذا وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

كتبه/أبو عبد الله

مصطفى العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نحمد الله، ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده اللهُ فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ثم أما بعد، فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد عليه الصلاة والسلام، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار...

وبعد:

أيها الأحبة في الله، إني والله لسعيد بلقائكم من خلال هذه السلسلة الطيبة «سلسلة أسماء الله الحسنى»، والتي نحاول أن نقترب من خلالها من أسماء الله الحسنى بشيء من الشرح لمعانيها الجميلة وفوائدها الجليلة فالإيمان بها يضيء كالكوكب الساطع والنجم اللامع، تهدي الحائرين، وتضيء الطريق للسائرين إلى رب العالمين.

كالبـــدرِ حيـــث التفـــتَّ رأيتَـــهُ يَهْـــدي إلى عَينيـــك نـــورًا ثاقبًـــا
كالـــشمس في كَبِـــدِ الـــسَّماءِ يَغْـــشَى الـــبلادَ مـــشارقًا ومغاربًـــا

وقد سبقني في التأليف في أسماء الله الحسنى عدد من أكابر العلماء الأجلاء، وقد أبلوْا فيها بلاءً حسنًا، نسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يرحمهم رحمة واسعة، وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا، وقد اختلفت اتجاهاتُ هؤلاء العلماء في تناول الأسماء الحسنى، فمنهم من اهتم ببيان الأسماء الحسنى وجمعها من آيات القرآن والأحاديث الصحيحة وبيان الطرق الضعيفة في الحديث والتحذير منها، ومنهم من كان شغله الشاغل شرح وتوضيح القواعد التي لا تُعْلَم الأسماء الحسنى إلا من خلالها.

واتجه فريق آخر إلى كشف عقائد الفرق التي ضلت بسوء اعتقادهم في أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى لجهل منهم، أو لهوى في نفوسهم، فمن تلك الفرق من وقع في التأويل، ومنهم من انزلق في التعطيل، وآخرون ذهبوا إلى التكييف والتشبيه، فتصدى لهم علماء الأمة المخلصون، فبينوا ضلالهم، وفنَّدوا أباطيلهم، وأوضحوا أخطاءهم، وحذروا عامة الأمة منهم، وجاهدوهم بالحجة الواضحة، والأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة، وأما البعض الآخر فقد رأى أن الطريقة المثلى لتقريب الناس إلى ربهم هي تعريفهم بأسماء الله الحسنى وصفاته العُلى ببيان معانيها وشرحها، وما يترتب على ذلك من إيمان صحيح وعمل صالح.

وقد أحسن كل من هؤلاء العلماء في مجاله، شريطة اتباعه لكتاب الله وسنة رسوله وبفهم السلف الصالح من هذه الأمة من أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن تبعهم بإحسان ممن شهد لهم بالثقة والعدالة واجْتَنَبُوا البدعة والضلالة، فقد قال النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومُحْدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتَّبعوا ولا تَبْتدعوا فقد كُفِيتم»(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «قِفْ حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها كانوا أحْرَى، فلإن قُلْتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم مُحسِّر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(٣).

وقد حاولت في هذا المؤلف المتواضع أن أجمع للقارئ المسلم أكبر فائدة ممكنة، مستفيدًا ممن سبقني من العلماء(٤)، راجيًا عموم النفع للمسلمين، مُقتصرًا على الصحيح من الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على قدر الاستطاعة؛ إذ عَهِدتُ إلى بعض الثقات من أهل الحديث تحقيق أحاديث الكتاب، ولكن لظروفهم وضيق الوقت فقد أُجِّل بعضها إلى طبعة قادمة إن شاء الله.

---

(١) أخرجه أحمد(٤/ ١٢٧،١٢٦)، وأبو داود(٤٦٠٧)، والترمذي(٢٦٧٦)من حديث العرباض بن سارية، رضي الله عنه ،وصححه البزار والترمذي والحاكم، وابن عبد البر وغيرهم، وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، الحديث(٢٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (صـ١٢٦)،والدارمي(١/ ٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٢١٦).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (صـ٢٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٤) من هؤلاء العلماء «ابن قدامة المقدسي في كتابه لمعه الاعتقاد»، ومن العلماء المعاصرين فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، فقد استفدتُ من كتابه «القواعد المثلى» استفادة كبيرة، فجزاه اللهُ وعلماء الأمة العارفين عنا وعن الإسلام خيرًا. وكذلك كتاب «النهج الأسمى» لفضيلة الشيخ/ محمد الحمود النجدي.

وقد ذكرت سند الحديث وتخريجه كما جاء في المصدر الذي نقلته منه، وربما لم أذكر المصدر نفسه كما حدث في كتاب«صحيح الأحاديث القدسية»، فقد نقلت منه أكثر الأحاديث القدسية، ونقلت سند المؤلف من غير عزوها إليه في مصدره، ونرجو من الله أن يغفر لنا تقصيرنا.

وصدَّرت هذا الكتاب بدراسة بعض فضائل الأسماء الحسنى وبعض القواعد الهامة في معرفتها، ثم شرعت في تناول كل اسم من الأسماء الحسنى ببعض الشرح لمعناه وآثار الإيمان به، ضارعًا إلى الله - تبارك وتعالى - أن يرزقني وإياكم معرفته وحبه، وأن يجعلنا سببًا في ذلك للناس أجمعين.

كما أرجو من إخواني النصح في الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن وجد خيرًا في هذا المؤلَّف المتواضع فليدعُ الله لكل من ساهم فيه من تأليف وكتابة أو نصيحة وإرشاد بالمغفرة والسَّدَاد، وأن يعطيه لغيره لتعمَّ به الفائدة إن شاء الله، ومن وجد تقصيرًا وخللًا فليبادر بالنصح حتى نصلحه إن شاء الله، فقد قال النبي ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحةُ**». قالوا: «لمن؟»، قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

وقال عمر رضي الله عنه: «رحم الله امرءً أهدى إليَّ عيوبي». والكمال لله وحده.

وقد قمت باختصار الكتاب بما يُسِّر لي من وقت وجهد - وأسأل الله المغفرة والقبول - إلى أربعة أبواب رئيسة، وهي كالتالي:

الباب الأول- من فضائل الأسماء الحسنى.

الباب الثاني- قواعد في الأسماء الحسنى.

الباب الثالث- أربعة تنبيهات مهمة وهي:

---

(١) رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

١ - الإحصاء للأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٢ - الدعاء بالأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٣ - الإلحاد في الأسماء الحسنى (معناه وأنواعه).

٤ - النهى عن التسمي بأسماء الله الخاصة به وتغيير الاسم من أجل ذلك.

الباب الرابع- شرح الأسماء الحسنى وذلك في خمس خطوات:

الأولى- المعنى اللغوي للاسم. **الثانية**- الدليل الشرعي للاسم.

الثالثة- المعنى الشرعي للاسم. **الرابعة**- آثار الإيمان بالاسم.

الخامسة- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

وإن كان من توفيق فمن الله وحده، وإن كان من تقصيرٍ فمن نفسي ومن الشيطان، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يرزقنا حُبَّه وحبَّ من يحبه وحبَّ عملٍ يقربنا إلى حبِّه، وأن يلهمنا فعل الخيرات، وترك المنكرات وحبَّ المساكين؛ فإنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الفقير إلى الله

(أمين الأنصاري)

القاهرة: في شوال ١٤٢٣ هـ

الباب الأول

من فضائل الأسماء الحسنى

الباب الأول

من فضائل الأسماء الحسنى

أيها الأحبة في الله.. أسماء الله الحسنى كلها خير، بل كل الخير ليس إلا ثمرة لها، وكل الفضل ليس إلا زهرة من شجرتها.

يا مُنْبتَ الأزهار عاطرة الشذا   هذا الشذا الفواحُ نفحُ شذاكا
يا مُجْرِي الأنهارِ ما جريانُها إلا   انفعالةُ قطرةٍ لِنداكا

فتعالوا بنا أيها الأحبة، ولتمشي أقدامُ المحبةِ على أرض الاشتياق إلى جنة أسماء ربنا تبارك وتعالى، ولندخل بساتينها النضرة، ولنقطف من فضائلها زهرة، ولنرتشف من عسلها قطرة.

أولاً- الأسماء الحسنى من أعظم أسباب دخول الجنة:

لمن عرفها وآمن بها وأدَّى حقها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لله تسعةٌ وتسعون اسمًا، مائةٌ إلَّا واحدة لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة**».

وفي رواية: «**من أحصاها دخل الجنة**»[1].

ثانيًا- الأسماء الحسنى تعرفك بالله عَزّ وَجَلّ:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: «يا محمد، انسب لنا ربك»، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١-٣][2].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧)، وانظر: «معنى الإحصاء في باب ما هو معنى الإحصاء في الأبواب التالية» (ص:٣٦).

(٢) رواه أحمد.

ثالثًا- معرفة الأسماء الحسنى أصل عبادة الله تبارك وتعالى:

قال أبو القاسم التيمي الأصبهاني في بيان أهمية معرفة الأسماء الحسنى: قال بعض العلماء: «أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، فإذا عَرفه الناس عبدوه، وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق تعظيمه. قال: «ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يُزَوِّجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجدِّه، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه، ونعرف تفسيرها»(١).

فمثلًا: فمن عرف أنه رحيم كريم قَوِيَ رجاؤه وازداد فيه طمعه، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«إنَّ رَبَّكم - تبارك وتعالى - كريمٌ يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْرًا»**(٢).

رابعًا- الأسماء الحسنى أعظم الأسباب لإجابة الدعاء:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. فدعاء الله بأسمائه الحسنى هو أعظم أسباب إجابة الدعوة وكشف البلوة، فإنه يرحم؛ لأنه الرحمن الرحيم، ويغفر؛ لأنه الغفور، وكان النبي ﷺ يسأل الله بأسمائه الحسنى ويتوسل إليه بها، فكان يقول: **«أَسْأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هو لَكَ، سمَّيت به نَفْسَك، أو علَّمته**

---

(١) «الحجة في المحجة» (ق ١٣ أ).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٨٨)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (صـ ٩٠)، والترمذي (٥/ ٣٥٥٦)، وابن ماجه [٣٨٦٥]، وصححه ابن حبان [٣٤٠٠]، والحاكم (١/ ٤٩٧)، والخطيب في «تاريخه» (٣/ ٢٣٥- ٢٣٦)، من طريق جعفر بن ميمون عن أبي عثمان النهدي عن سلمان مرفوعًا به، قال الذهبي في «العلو» (صـ ٥٢): «هذا حديث مشهور، وحسنه الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٤٣)».

أحدًا من خَلْقِك، أو أنْزلته في كِتابِك، أو اسْتَأثرتَ به في عِلْم الغيبِ عندَك؛ أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي...» [١].

وقد دخل رسول الله ﷺ المسجد، فسمع رجلًا يقول: «إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: **«لقد سألتَ الله بالاسمِ الذي إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعِي به أجاب»**.

وفي رواية فقال: «والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى».

وفي رواية لأحمد: «أنه سمع رجلًا يقول بعد التشهد: «اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم». فقال رسول الله ﷺ: **«قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له»، ثلاثًا** [٢].

خامسًا- إن الله يحب من أحب أسماءه الحسنى:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: **«سَلُوه لأيِّ شيء يصنعُ ذلك؟»**، فسألوه. فقال: «لأنها صِفَةُ الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها». فقال النبي ﷺ: **«أخبروه أن الله**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن حبان (٩٧٢)، من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، وقال الدارقطني: «إسناده ليس بالقوي»، وقد صححه ابن حبان وابن القيم وغيرهما، وانظر: «فتح الباري» (١١/ ٢٢٠)، و«السلسلة الصحيحة» [١٩٩].

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٣٨، ٥/ ٣٤٩، ٣٥٠)، وأبو داود.

يحبُّه»(١). وفي حديث آخر، قال الرجل: «إني أحبها». فقال: «حُبُّك إياها أدْخَلَك الجنة»(٢).

سادسًا- دعاء الله بأسمائه الحسنى أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم:

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: «اللهمَّ إنِّي عبدك، ابنُ عبدِك، ابنُ أَمتِك، ناصِيتَي بيدِك، ماضٍ فيَّ حُكْمك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيت به نَفْسَك، أو عَلَّمته أحدًا من خلقِك، أو أنزلتَهُ في كتابِك، أو استأثرتَ به في عِلْم الغيبِ عندك، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي، وَنورَ صدري، وجلاءَ حزني، وذَهابَ همي، إلا أذهب الله همَّه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**». فقيل: «يا رسول الله، أفلا نتعلمها؟». فقال: «**بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ السمواتِ والأرضِ وربُّ العَرشِ العظيم**»(٤).

وفي رواية للنسائي وصححه الحاكم عن علي: «لَقَّنني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلماتِ وأمرني إن نزل كرب أو شدة أن أقولها».

سابعًا- الأسماء الحسنى أصل كل شيء:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣].

---

(١) أخرجه البخاري [٧٣٧٥]، ومسلم [٨١٣].

(٢) أخرجه البخاري [٧٧٤] تعليقًا، ووصله الترمذي [٢٩٠١]، من حديث أنس رضي الله عنه وانظر: «فتح الباري» (٢/ ٢٥٧، ٢٥٨)، و«صحيح جامع الترمذي» [٢٣٢٣].

(٣) تقدم في (ص:١٤).

(٤) رواه البخاري (١١/ ١٤٥)، مع «الفتح».

وقال رسـول الله ﷺ : «**اللهـمَّ أنـتَ الأوَّل، فلـيس قَبْلَـك شيء، أنـت الآخرُ فليسَ بَعْدكَ شيء...**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تـابع لوجوده، تبع المفعول المخلوق لخالقه، فكذلك العلم بها أصل للعلم بكـل مـا سـواه، فالعلم بأسمائه - تبارك وتعالى - وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحـصى أسـماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كـل معلـوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها»(٢).

ومن أمثلة ذلك:

الأصل في الخلق أن الله هو(٣) الخالق فلا يوجد خلقٌ غير خلقه، ولا يوجد خالق سواه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد:١٦].

والأصل في الـرزق أن الله هـو الـرازق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

فهو الرازق ولا رازق سواه، وكل رزق إنما هو رازقـه، ومـا مـن عطـاءٍ إلا وهـو أعطاه، قَالَ تَعَالَىٰ على لسان نبيه موسى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]

والأصل في الرحمة أن الله - تبارك وتعـالى - هـو الـرحمن والـرحيم، فكـل رحمـة مشتقة من رحمته، فها هي الرحم قد اشْتق اسمها مـن اسـمه الـرحمن، قـال رسـول الله

(١) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) انظر: كتاب ابن القيم «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٣).

ﷺ فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال: «أنا الرحمن وهي الرَّحِم شَقَقتُ لها اسمًا من اسمي...»(١).

إخوتاه: كل ما نراه من رحمات بين الخلائق ليست إلا آثار رحمة واحدة لرب الأرض والسماوات؛ الله الرحمن الرحيم تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائَةَ رحمةٍ».

وفي حديث آخر: «كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة».

وفي رواية: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحشُ على ولدها».

وفي رواية: «حتى ترفع الدابَّةُ حافرها عن ولدها؛ خشية أن تصيبه، وأخَّر اللهُ تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(٢).

فكل رحمة مهما عظُمت إنما هي من الله على الحقيقة، فأعظم الناس رحمة بالناس هو رسول الله ﷺ، قد وصفه الله بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

فما هذه الرحمة العظيمة والأخلاق الكريمة إلا نسيم من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩١، ١٩٤، ٢/ ٤٩١)، وأبو داود [١٦٩٤] من حديث أبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [١٤٨٦]، وانظر «صحيح البخاري مع الفتح» (١٠/ ٤١٨)، [٥٩٨٨].

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٦٩]، ومسلم (٢٧٥٢، ٢٧٥٣) من حديث أبي هريرة وسلمان، رضي الله عنهما.

إخوتاه: كل الرحمات من الله، فلا يرسلها غيره ولا يمسكها سواه، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر:٢]، فإذا لم يرحم الله فمن إذًا الذي يرحم!!

مددتُ يدي إليكَ ربي تضرعًا ... فإذا رددتَ فمَن ذا يرحمُ

والأصل في المغفرة أن الله هو الغفور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥]، وكل عفوٍ ومغفرة إنما يكون من مغفرة الله وعفوه، وهو الذي علَّم عباده كيف يعفون ويغفرون، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

ثامنًا- معرفة الله بأسمائه وصفاته هي أصل خشيته تبارك وتعالى:

إن العلم بأسماء الله – جل ثناؤه – وصفاته ومعرفة معانيها يُحْدِثُ خشية ورهبة في قلب العبد، فمن كان بالله أعرف فهو منه أخوف، ومن كان بالله أعلم كان على شريعته أقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية: (إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد)[1].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس العلم عن كثرة الرواية، ولكن العلم الخشية[2]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]».

---

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» (٢٢/ ٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (صـ١٥٨)، والطبراني في الكبير [٨٥٣٤]، وانظر: «الحلية» (١/ ١٣١، ٦/ ٣٧٠)، و«مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٥).

ولذلك فقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس خشية لله تبارك وتعالى؛ لأنه كان أعلم الناس به، فقد قال النبي ﷺ: «**أنا أَعْلمكُم بالله وأشدُّكم له خَشْية**»(١).

وفي حديث آخر قال ﷺ: «**إنَّ أتقاكم وأعلمَكُم بالله أنا**»(٢).

فمعرفة الله - عَزَّ وَجَلَّ - أساس تعظيمه وخشيته وأعظم أسباب العبد عمَّا يغضبه، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الله أذن لي أن أحدِّث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعُنُقه مثنية تحت العرش وهو يقول: «سبحانك ما أعظمك ربنا»، فيُرد عليه: «لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا»**»(٣). أي: لو عَلِمَ الحالفُ بالله كذبًا عظمة الله - جل جلاله - لخَشِيَه واتقاه وما اجترأ على هذا الفعل وأمثاله.

تاسعًا- من عرف الأسماء الحسنى كما ينبغي فقد عرف كلَّ شيء:

أيها الأحبة في الله، إن أسماء الله الحسنى كلها حُسن وبركة، ومن حُسنها أنها تعرفك بكل شيء على حقيقته من غير إفراط ولا تفريط، فمن عرف أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - هو الخالق، عرف أن كل ما دونه مخلوق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦].

ومن عرف أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - هو الرزاق علم أن كل ما دونه مرزوق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وكذلك يعلم أنه لا يملك الرزق سواه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٤].

---

(١) أخرجه البخاري [٦١٠١]، ومسلم [٢٣٥٦]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ١١٩، ١٢٠) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه البخاري [٢٠] من حديث عائشة ﵂، وانظر: «الفتح» (١/ ٧٠- ٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، [٧٣٢٤]، وأبو الشيخ في «العظمة»، [٥٢٦]، والحاكم (٤/ ٢٩٧)، من حديث أبي هريرة ﵁، وصححه الحاكم، وانظر: «المنار المنيف» (صـ٥٥، ٦٥)، و«السلسلة الصحيحة» [١٥٠].

ومن عرف أن الله - تبارك وتعالى - هو الملك، عرف أن كل ما دونه مملوك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٧].

ولذلك قيل: «من عرف ربه فقد عرف نفسه».

فمن عرف ربه بالغِنى، عرف نفسه بالفقر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ومن عرف الله بالبقاء، عرف نفسه بالفناء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

ومن عرف الله بالعلم، عرف نفسه بالجهل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وحين ركب الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ السفينة، نظرا إلى عصفور قد نقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال الخضر لموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «**ما عِلْمي وعِلْمُك من عِلْم الله إلا مثلُ ما نَقَص هذا العصفورُ من هذا البحر**»(١).

فمن عرف الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، علم أنه بالكمال موصوف، وبالإحسان والجمال والجلال معروف، وعرف أيضًا نفسه بكل نقص وعيب، إلا أن يرزقه الله - عَزَّ وَجَلَّ - كمال الإيمان وصالح الأعمال فيورث له ذلك عبودية صادقة بالانكسار بين يدي الجبار تبارك وتعالى؛ فيذل لعزته ويخضع لقوته.

وهذا هو دأب الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فها هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعبد لربه بذلك فيقول: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك...**»(٢). فلما عرف أن الله هو ربه وإلهه وخالقه، عرف نفسه بعبوديته له، فقال: «**وأنا عبدك...**».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٥ - ٤٧٢٧)، ومسلم [٢٣٨٠]، من حديث ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه البخاري [٦٣٢٣] من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال أيضًا في دعاء الاستخارة: «فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ...»(١).

عاشرًا- حسن الظن(٢) بالله عزَّ وجلَّ:

ويعد حسن الظن بالله تعالى ثمرة للفضيلة السابقة، فمن عرف غِنى الله وفقر خلقه، وقدرة الله وعجز خلقه، وقوة الله وضعف خلقه، عرف مقدار افتقار الخلق لغنى الله، وضعفهم لقوته، وتواضعهم لعظمته، وذلتهم لعزته، تبارك وتعالى.

فإذا تبين له ذلك على الحقيقة حاَل إذٍ يُعظِّم الله وحده ويخافه ويصبح عبدًا له وحده، فمن دخل قلبه اليقين على قدرة الله، خرج منه اليقين على قدرة الخلق، ومن خشي الله - تبارك وتعالى - خرجت من قلبه خشية مَنْ سواه، فورث له ذلك حسنَ ظنه بالله - عَزَّ وَجَلَّ - واعتصام به دون سواه، وتوكل عليه دون غيره وسلم له في كل أمره، وهذا بعينه ما حدث لرسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه في الغار حين أحاط بهم المشركون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «لو نظر أحدهم أسفل قدميه لرآنا»، فقال عليه الصلاة والسلام: **«ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**(٣).

الحادية عشرة- لا يضر مع اسم الله شيء:

ومن فضائل أسماء الله الحُسنى أنها يُستجلب بها الخير ويستدفع بها الشر، فاسم الله يدفع(٤) الضرر ويرفعه(٥). **فعن عثمان بن عفان** رضي الله عنه **قال:** «سمعت

---

(١) رواه الطبراني في كتاب «الدعاء».

(٢) حسن الظن بالله - عَزَّ وَجَلَّ - ثمرة لمعرفته؛ إذ كيف يحسن الظن بربه من لم يعرف أنه الكريم وأنه هو البر الرحيم، وكيف يحسن الظن بوعده إن لم يعرف أنه صادق الوعد ومنجز العهد.

(٣) أخرجه البخاري [٣٦٥٣]، ومسلم [٢٣٨١].

(٤) يدفع الضرر: أي يطرده ويمنعه.

(٥) ويرفعه: أي يزيله بعد نزوله.

رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: **«ما من عبدٍ يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات فيضره شيء»**(١).

الثانية عشرة- الأسماء الحسنى وأثرها في الحلال والحرام:

ولم تقتصر فضائل الأسماء الحسنى وبركتها على حياة القلوب وتفريج الكروب، بل وكذلك كان لها أعظم الأثر في الفقه، فترى أن ذكر اسم الله على شيء قد يفرق بين الحلال والحرام.

فأحل اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الذبيحة التي ذُكِر اسمُه عليها، بل وأمر بالأكل منها، قال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٨].

وعاتب من لا يأكل مما ذكر اسم الله عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تَأۡكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

وعن عدي بن حاتم قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم قلت: «أُرسِلُ كلابي المعلَّمة؟».

قال: **«إذا أرسلت كلابَك المعلَّمةَ وذكرتَ اسم الله فأمْسَكْنَ فكُلْ»**(٢).

وقد نهى عن أكل اللحم أو الصيد الذي لم يُذكر اسمُ الله عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

---

(١) أخرجه الطيالسي [٧٩]، وأحمد (١/ ٦٣، ٦٦)، وأبو داود [٥٠٨٨]، والترمذي [٣٣٨٨]، وابن ماجه [٣٨٦٩] وغيرهم، وقال الترمذي: «سند صحيح غريب»، وصححه الحاكم، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» [٣١٢٠].

(٢) أخرجه البخاري [٧٣٩٧]، ومسلم [١٩٢٩].

الثالثة عشرة- العلم بأسماء الله الحسنى أعظم العلوم وأشرفها:

إن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية، وأشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء الله الحسنى، وصفاته العُلى؛ لتعلقها بأشرف من يمكن التعلم عنه؛ وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والقرآن فيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، والآيات المتضمنة لذكر أسماء الله وصفاته أعظم قدرًا من آيات المعاد، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي المتضمنة لذلك أي لأسماء الله وصفاته، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لأبيٍّ بن كعب: «**أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟**». قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]». قال: فضرب في صدري وقال: «**والله لِيَهْنِك العِلْمُ أبا المنذر**» [2].

وقد ثبت في الصحيح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير وجه أن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، تعدل ثلث القرآن [3][4].

الرابعة عشرة- بركة الأسماء الحسنى في المعيشة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨].

ومن بركة الأسماء الحسنى أن الشيطان لا يقرب ما ذُكر عليه اسمُ الله: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دخل الرجلُ بيته فَذَكَر اللهَ عند دخولِهِ وعندَ طعامِهِ قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عَشاءَ**» [5].

---

(١) كتاب «النهج الأسمى».
(٢) «صحيح مسلم» [٨١٠].
(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣١٠- ٣١٢) بتصرف.
(٤) أخرجه مسلم [٢٠١٨] من حديث جابر رضي الله عنه.
(٥) «الأدب المفرد» قال الشيخ الألباني: صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال إبليس: يا ربِّ، ليس أحدٌ من خلقك إلا جعلتَ له رزقًا ومعيشة، فما رزقي؟ قال: «ما لم يُذكر عليه اسمي»**»(١).

الخامسة عشرة- بركة الأسماء الحسنى تلحق الذرية:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه ابن عباس رضي الله عنهما: «**لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال: بسم الله، اللهمَّ جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يُقَدَّر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرَّه شيطان أبدًا**»(٢).

السادسة عشرة- أسماء الله أعظم أسباب الشفاء:

فإن الله - تبارك وتعالى - هو خالق البدن ويعلم داءَه، وبيده وحده شفاؤه، ودواؤه، وخير دواء، وأعظم شفاء هو أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك حين عاد جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في مرضه لم يجد سببًا للشفاء خيرًا من أن يرقيه باسم الله عَزَّ وَجَلَّ.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا محمد، أشتكيت؟». قال: «**نعم**». قال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يَشْفِيك، بسم الله أرقيك»(٣).

السابعة عشرة- النجاة من الوسوسة:

فمن عرف الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى ثبت إيمانه وصدق يقينه، فكان لمجاهدة الشيطان أشد وعلى دفع الوساوس أقوى.

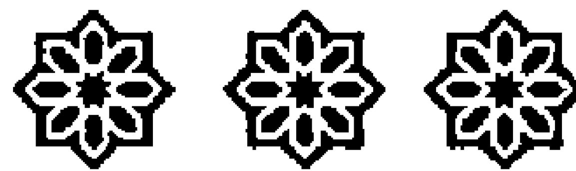
---

(١) صحيح أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (ج٨صـ١٢٦)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة».

(٢) أخرجه البخاري [٧٣٩٦]، ومسلم [١٤٣٤].

(٣) رواه مسلم.

فعن **أبي زميل قال:** سألت ابن عباس فقلت: «ما شيءٌ أجدُ في صـدري؟». **قـال:** «ما هـو؟»، قلـت: «والله مـا أتكلـم بـه». **قـال:** «فقـال لي: أشيءٌ مـن شـكٍّ؟». **قـال:** «وضَحِكَ»، قال: «ما نجا من ذلك أحد». **قال:** «حتى أنزل الله عَـزَّ وَجَـلَّ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]. **قـــال:** فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئًا فقـل: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣](١).



(١) أخرجه أبو داود [٥١١٠]، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٤٢٦٢].

الباب الثاني

قواعد في أسماء اللّه تعالى

الباب الثاني

قواعد في أسماء الله تعالى

القاعدة الأولى- أسماء الله تعالى كلها حسنى[(١)] **:**

أي: بالغة في الحسن غايته، وفي الجمال ذروته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو الجميلُ على الحقيقةِ كيف لا ... وجمالُ سائرِ هذه الأكوانِ
مِن بعضِ آثارِ الجميلِ فربُّها ... أَوْلى وأَجْدرُ عند ذي العرفانِ
فجمالُهُ بالذاتِ والأسماءِ والـ ... أوصافِ والأفعالِ بالبرهانِ[(٢)]

وقال أيضًا:

أسماؤهُ أوصافُ مدحٍ كلُّها ... مشتقةٌ قد حملَت لِمعَاني[(٣)]

ولحسن أسماء الله معنيان:

الأول- حُسْنَى في معناها وفي نفسها.

الثاني- حُسْنَى في أثرها لمن تعبد لله بها.

أما المعنى الأول: فإن أسماء الله كلُّها حُسْنٌ وجمالٌ، وخيرٌ وكمالٌ، وقوةٌ وجلالٌ.

---

(١) انظر كتاب «القواعد المثلى» للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

(٢)، (٣) «النونية» لابن القيم.

مثال ذلك: «الحي» اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسْبَق بعدم، ولا يلحقها زوال ولا يطرأ عليه خلل. الحياة الملتزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام**»(١).

مثال آخر: «العليم» اسم من أسماء الله تعالى متضمن للعلم الكامل الذي لم يُسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله تعالى: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]. وعلمه - عَزَّ وَجَلَّ - هو العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، قال تعالى: ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام: ٨٠].

الوجه الثاني- أن أسماء الله الحسنى كلها حُسن في آثارها وعواقبها(٢)، فمن ذلك:

أولًا- أن من عرفها فقد عرف الله عَزَّ وَجَلَّ، فهي حُسنى في المقصد والثمرة التي هي معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثانيًا- أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - وَعَد عليها بعظيم الثواب من دخول الجنة لمن أحصاها وحفظها، فهي حُسنى في العاقبة والأجر لمن تعلَّمها، وآمن بها وأدَّى حقها، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن لله تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**».

ثالثًا- ومن تمام أنها حُسنى أن الله - تبارك وتعالى - لا يُدعى إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) أخرجه مسلم [١٧٩] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) انظر: «باب فضائل الأسماء الحسنى»، السابعة لهذا الباب.

القاعدة الثانية- أسماء الله تعالى توقيفية:

أي: لا مجال للعقل فيها؛ أي: لا بد وأن تكون معرفتُها من خلال الأدلة الشرعية من القرآن وصحيح السنة المطهرة.

قال السفاريني:

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلةٌ وفيَّة

وهذا لأسباب منها:

الأول: أنها من أمور الغيب التي لا يعلمها الخلقُ إلا أن يعلمهم اللهُ إياها من خلال الوحي إلى الأنبياء والرسل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن:٢٦- ٢٧].

الثاني: أن عقل الإنسان قاصرٌ لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا أحصي ثناءً عليك**»(١).

لذلك يجب الوقوف في معرفة أسماء الله على الشرع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

ثالثًا: لأن القول على الله بغير علم من أشد المحرمات:

فتسمية الله تعالى بما لم يُسمِّ به نفسه أو إنكار ما سمَّى به نفسه جناية في حقه تعالى وتوعد الله من فعل ذلك بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

(١) رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج:٣-٤].

وقال تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الحج:٩-١٠]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من تَعمَّد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار**»(١).

هذا عقاب الكاذب على النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن يكذب على الله عَزَّ وَجَلَّ؟!

القاعدة الثالثة- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾:

قال ابن القيم رحمه الله(٢):

لاشـــيءَ يـــشبه ذاتـــه وصـــفاتِه ســـبحانه عـــن إفْـــكِ ذي البهتـــان

فإن أسماء الله الحسنى، وصفاته العُلى ليس كمثلها شيءٌ من خلقه، فينبغي الإيمان بها كما جاءت في الشرع بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فينبغي إجراء النصوص على ظاهرها من غير إنكار ولا تأويل، والإيمان بها كما أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ - ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال الشافعي رحمه الله: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «القصيدة النونية» (صـ١٤٦).

(٣) من كتاب «شرح لمعة الاعتقاد» (صـ٣٦)، وراجع «الرسالة المدنية» لابن تيمية (صـ١٢١)مع «الفتوى الحموية»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما ما قال الشافعي فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقولٍ يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا..**»، و«**إن الله يُرى في القيامة**»، وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ونصدق بها، لا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍ ولا غاية، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، ونقول كما قال.

ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعَت، ولا نتعدَّى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كُنْهُ ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتثبيت القرآن»(١).

فسبحان الله! كيف يشبه المملوكُ مالكَه، والمرزوقُ رازقَه، والمخلوق خالقَه؟!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

مثال ذلك: لله سمع، ولكنه ليس كسمع خلقه، فسَمْعُ الناس يكون بجارحة تطرأ عليها الأمراض ويصيبها الخلل، ثم إذا سمعت فإنها تسمع الصوت العالي وقد لا تسمع المنخفض، وتسمع القريب ولا تسمع البعيد، وتسمع الجهر ولا تسمع السر وتختلط عليها الأصوات فلا تميز بعضها عن بعض، ثم يذهب ما تبقى منها ويفنى بالموت، أين هذا من سمع الله جل جلاله وتقدست أسماؤه؟! فإنه يسمع ما تحت الأرض كما يسمع ما فوق السماء، ويسمع الجماعة كما يسمع الفرد، والقريب والبعيد عنده سواء، والسر عنده مثل العلن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: ١٣].

---

(١) راجع: «الصواعق المنزلة» لابن القيم (١/ ٢٦٥)، و«مختصر الصواعق المرسلة» لابن الموصلي (٢/ ٢٥١)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (صـ١٥٦)، وترجمة الإمام أحمد في «تاريخ الإسلام» للذهبي (صـ٢٧).

فلا تشتاه الأصوات الكثيرة عن الصوت المنفرد، ولا أصوات صاخبة عن صوت منخفض، فإن الله - تبارك وتعالى - يسمع دبة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

وانظر إلى عائشة رضي الله عنها وهي تسبِّحُ ربها لِما علمت من إحاطة سمعه بالأصوات، فتقول: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١]»(١).

مثال آخر: لله وجه، ولكنه ليس كوجوه الخلق، فمن وجوه الخلق ما يكون دميمًا، ولو كان جميلًا، فهو جمالٌ بشريٌ ناقصٌ تأتي عليه الأغيار، والحوادث، فالمرض يُذْبلُ نضرَته، والهِرَم يطفئ وضاءته، ثم هو على كُلِّ الأحوال إلى فناء، أين هذا من وجه الله - تبارك وتعالى - الذي يفيض بالجلال ويستحي من جماله الجمال، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن الله جميل يحب الجمال**»(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصف جمال وجه الله: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(٣)، وجماله ثابتٌ لا يتغير، ودائمٌ لا يفنى، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢) تعليقًا، وأحمد (٦/ ٤٦)، وابن ماجه [١٨٨]، والحاكم (٢/ ٤٨١٠)، وصححه الحاكم، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» [١٥٥]، وانظر: «الإرواء» (٧/ ١٧٥٠).

(٢) أخرجه مسلم [٩١] من حديث ابن مسعود.

(٣) جزء من حديث: «**إن الله لا ينام**»، وقد تقدم (صـ١٩) والسبحات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره، وهي جمع سبحة، قال صاحب العين والهروي: «وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه»، انظر: «صحيح مسلم» بشرح النووي (٣/ ١٣، ١٤) باب ما جاء في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ.

القاعدة الرابعة- الأسماء الحسنى ليست أعلامًا فقط، ولكنها تحمل صفات ومعاني:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

أسماؤه أوصافُ مدحٍ كلها قد حملَتْ لمعاني

والاسم العلم هو ما دل على صاحبه وعرَّفه وميَّزه عن غيره، كأن يُسمى رجلٌ صادق أو كريم، ولكنه ليس بالضرورة أن تكون صفتُه الصدق أو الكرم، فقد يُسمى كريمًا ويكون بخيلًا في صفته، أو يكون اسمه صادقًا، والكذب من صفاته.

أما أسماء الله الحسنى فهي أعلام وأوصاف معًا، تحمل معاني وتعبر عن صفات الله التامَّة الكمال والجمال، فمثلًا من أسماء الله تعالى: (الغفور، والرحيم)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

فهو الغفور: فإنه يغفر الذنوب جميعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهو الرحيم: فرحمته وسعت كل خلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

مثال آخر: اسمه الخالق – جل جلاله – فإنه يحمل صفة الخالق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وكذلك اسمه الكريم عَزَّ وَجَلَّ، فإن الخلق جميعًا يحيون من نعمه ويُرزقون من كرمه.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يد الله ملأى لا تغيضها(٢) نفقة سَحَّاء(٣) الليل والنهار**»، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده**»(٤).

---

(١) النونية.

(٢) وقوله: لا تغيضها: أي لا ينقصها.

(٣) وقوله سحاء أي: دائمة السح والصب والهطل بالعطاء.

(٤) أخرجه البخاري [٤٦٨٤]، ومسلم [٩٩٣]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القاعدة الخامسة- باب الصفات أوسع من باب الأسماء:

أي أن الصفات أكثر من الأسماء، وذلك لأن كل الأسماء تحمل صفات، كما تقدم شرحه، فكل اسم تشتق منه الصفة التي يحملها، ولكن لا يصح اشتقاق اسم من أسماء الله تعالى من الصفات، فكل اسم يحمل صفة وليس كل صفة تحمل اسمًا.

مثال ذلك: اسم الله (الرحمن) يحمل صفة الرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧].

وكذلك اسمه (العزيز) يحمل صفة العزة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥]، وهكذا.

ولكن في الصفات ليس كذلك.

مثال ذلك: أن لله صفة الكلام؛ لقوله تعالى لنبيه موسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، فهل يصح الادعاء بأن من أسماء الله تعالى اسم (المتكلم)؟ لا يصح بالطبع، وكذلك صفة (المكر) و(الكيد)، فقد ثبتت بالدليل من كتاب الله، فقال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق:١٥-١٦]، فلا يصح أن يُقال إن من أسماء الله «الماكر» أو «الكائد»؛ وذلك لأن أسماء الله كلها حُسْنَى، فكل ما تحمله من الصفات العُلَى، أما الصفات في اللغة فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول- أن تكون صفات كمالٍ مطلق كالحياة، والعلم، والقدرة، فهي تثبت لله كلها ويُنفى عنها ما يضادها من صفات النقص مثل إثبات صفة الحياة ونفي صفة الموت، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

الثاني- نقص مطلق كالعجز، والموت، والفقر، فهي تُنْفَى عن الله كلها، ولكن **يثبت لله تعالى ما يضادها.**

مثال ذلك: صفة الظلم فإنها تنفى كلها عن الله تبارك وتعالى، ويثبت له العدل بل الكرم؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]؛ لأن نفي النقص وحده لا يعني الكمال، فلابد من نفي النقص وإثبات ضده.

الثالث- صفات تحتمل كمالًا من وجه ونقصًا من وجه آخر، فيُثْبَتُ لله تعالى فيها وجوه الكمال، وينفى عنه منها وجوه النقص.

مثال: «المكر» و«الخداع» فإنها لو كانت من ضعيف لا يقوى على أخذ حقه فهو نقص، وإن كانت من منافق خبيث يمكر بالمؤمنين ويخادعهم لتحقيق غرض خبيث في نفسه فهو نقص وهو من مذموم الصفات وهذا وأمثاله ينفى كله عن الله جل جلاله.

أما إن كان «المكر» عقوبة بالماكرين وانتقامًا من المخادعين فهو من الكمال، وإن كان بغير ظلم ولا ضعف فهو من الكمال، وإن كان بعد التحذير والإنذار والإمهال فهو تمام العدل والرحمة، فهذا وأمثاله يُثْبَتُ لله جل جلاله ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣].

القاعدة السادسة- الأسماء الحسنى لا تزيد ولا تنقص:

فإن أسماء الله الحسنى بالغة في الحسن ذروته، وفي الكمال غايته، كمالًا لم يسبقه نقصان ولا يأتي عليه من الأغيار في الأزمان، فالزيادة تكون أحد أمرين:

الأول- إما أن تكون الزيادة من أسماء الله حسنى أيضًا، وهذا يستحيل في حق الله عَزَّ وَجَلَّ؛ إذ أن الأسماء الحسنى قد صُرفت كلها لله وحده سواءً التي سمَّى بها نفسه، أو التي أنزلها في شرعه، أو استأثر بها في علم الغيب عنده أو علَّمها لأحدٍ من خلقه.

والثاني- أن يكون الزيادة ليست من الأسماء الحسنى، وهذا لا يليق بالله جل جلاله وتقدست أسماؤه، وأن الشر لا يصح صرفُه لله، فقد قال النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»(١).

القاعدة السابعة- هل حُصِرَت الأسماء الحسنى بعددٍ معين؟

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين؛ لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**»(٢).

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به، فأما قوله ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(٣). فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك. ونظير ذلك أن تقول: «عندي مائة درهم أعددتُها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة. ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف(٤).

---

(١) أخرجه مسلم [٧٧١] من حديث علي، رضي الله عنه، في حديث طويل.

(٢) تقدم في (ص١٧).

(٣) تقدم في (ص١٥).

(٤) أخرجه الترمذي [٣٥٠٧]، والحاكم (١/ ١٦، ١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانظر: «ضعيف جامع الترمذي» [٦٩٦].

الباب الثالث

أربعة تنبيهات هامة

الباب الثالث

أربعة تنبيهات هامة

أولاً- من أحصاها دخل الجنة:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إن لله تسعةً وتسعينَ اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»[1].

فما هو معنى الإحصاء[2]؟ قيل في معنى الإحصاء عدة أقوال؛ منها:

الأول- أن يَعُدَّها حتى يستوفيها حفظًا ويدعو ربه بها، ويثني عليه بجميعها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٨]. واستدل له الخطابي بقوله ﷺ كما في الرواية الأخرى: «**من حفظها دخل الجنة**»[3].

وقال النووي: «قال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًا في الخبر». وقال في الأذكار: وهو قول الأكثرين، وقال ابن الجوزي: «من أحصاها أي: من عدها ليستوفيها حفظًا».

وقد ردَّ هذا القول الحافظ ابن حجر، فقال: «وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ «حفظها» تعيين السرد عن ظهر قلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي»[4].

يقصد – والله أعلم – أن يحترم أسماء الله ويوقرها ويحافظ على ما تقتضيه من معاني الإيمان ويعمل به.

---

(١) تقدم في (ص٥).

(٢) انظر كتاب «النهج الأسمى» للشيخ محمد الحمود النجدي (١/ ٥٢: ٥٦).

(٣) أخرجه البخاري [٦٤١٠].

(٤) «الفتح» (١١/ ٢٢٦).

وقال الأصيلي: «ليس المراد بالإحصاء عدَّها فقط؛ لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العلم بها.

الثاني- أن يكون المراد بالإحصاء «الإطاقة»؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]

وكقول النبي ﷺ «**استقيموا ولن تحصوا**»[(١)]، أي: لن تبلغوا كل الاستقامة.

وقال أهل اللغة: «لن تحصوا: أي لا تحصوا ثوابه»[(٢)].

فيكون المعنى: أن يطيق الأسماء الحسنى ويحسن المراعاة لها وأن يعمل بمقتضاها، وأن يعتبرها فيُلزم نفسَه بواجبها، فإذا قال: «يا رحمن يا رحيم، تذكر صفة الرحمة، واعتقد أنها من صفات الله سبحانه، فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته، وإذا قال: «السميع البصير» علم أنه يراه ويسمعه وأنه لا يخفى عليه خافية وأنه يعلم السر كما يعلم العلن، ويعلم الباطن كما يعلم الظاهر، فيحافظ على قدسيتها ويرعى حرمتها، فيخافه في سره وعلنه ويراقبه في كافة أحواله، فإذا حدثته نفسه بمعصيةٍ ذكَّرها بقدرة الله وعظمته وأسمائه وصفاته لعلها تنزجر كما قيل:

إذا ما خلوتَ بريبةٍ في ظلمةٍ ... والنفسُ داعيةٌ إلى العصيان
فاستحي من نظرِ الإلهِ وقُلْ لها ... إنَّ الذي خلقَ الظلامَ يراني

---

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٨٩]، وأحمد (٥/ ٢٧٦، ٢٧٧)، وابن ماجه (٢٧٧) من حديث ثوبان ﷺ، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» [٢٢٤].

(٢) «معاني المفردات» للأصفهاني.

الثالث- أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة:

فيكون معناه أن من عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة وهو مأخوذ من الحصاة وهي العقل، والعرب تقول: «فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة بالأمور»(١).

الرابع: قال القرطبي: «المرجو من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على أحد هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاثة للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين.

ثانيًا- ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الأعراف: ١٨٠]

قال ابن السكِّيت: «إن الملحد هو المائل عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه، والإلحاد في اللغة، هو الزيغ والميل والذهاب عن سنن الصواب، ومنه يمسي الملحدُ ملحدًا؛ لأنه مال عن طريق الحق. والإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أسماؤه أوصافُ مدحٍ كلها ... مشتقةٌ قد حملَتْ لمعانِ

إياك والإلحادَ فيها إنه ... كفرٌ معاذَ اللهِ من كُفْرانِ

وحقيقةُ الإلحادِ فيها الميل ... بالإشراكِ والتعطيلِ والكفرانِ

---

(١) «شأن الدعاء» (ص٢٨، ٢٩)، و«الفتح» (١١/ ٢٢٥).

والإلحاد في أسماء الله أنواع:

الأول- أن تسمى الأصناف بها، فسمى المشركون الأحجار والأشجار والأوثان التي كانوا يعبدونها آلهة، وسمَّوا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز، ومناة من المنان.

فهذا إلحاد؛ لأنهم عدلوا ومالوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني- تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له «أبًا»، وتسمية الفلاسفة له «موجبًا بذاته»، أو«علة فاعلة بالطبع»، وقول الرامية أنه «جسم»، وقول بعضهم إنه «جوهر»، ونحو ذلك.

وهذه الأسماء باطلة؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسميته بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة يُنَزَّه الله تعالى عنها.

الثالث- وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص:

كقول اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة: «إنه فقير»، وقولهم: «إنه استراح بعد أن خلق الخلق»، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

الرابع- تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، وأنها مجرد أعلام فقط لا تتضمن صفات ولا معاني وهو مذهب الجهمية وأتباعهم، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم. ويقولون: «لا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إدارة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء المعطلة سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحدٌ في أسمائه جل جلاله وتقدست أسماؤه».

الخامس- تشبيه صفاته بصفات خلقه:

تعالى الله عما يقول المُشَبِّهون علوًا كبيرًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وهذا الإلحاد يقابل إلحاد المعطلة، الذين سبق ذكرهم، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها، وهؤلاء شبَّهُوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وقد صدق من قال: «من شبه فكأنما يعبد صنمًا، ومن عطل فكأنما يعبد عدمًا».

السادس- الميل عن الصواب في نطق أسماء الله وتغيير حروفها من اللغة العربية التي أنزل بها القرآن وجاءت به السنة المتضمنة لأسماء الله الحسنى إلى لهجات أخرى مثل العامية، كأن يقول الرجل «اللاه» يقصد بها «الله»، ويقول: «الأُدُّوس» يقصد بها اسم الله تعالى «القدوس» أو يقول: «الجوي» يقصد بها اسم الله «القوي» جل جلاله وتقدست أسماؤه، وكذلك من يقول: «الرَّزاء»، وهو يقصد بذلك اسم الله «الرزَّاق»، تبارك وتعالى، وهذا خطأ عظيم، إذ أن معنى «الرزاء» أي: الذي يأتي بالمصائب والبلايا، بخلاف الرزاق الذي يأتي بالرزق والخير، وهذه من الأخطاء التي يجب التنبيه عليها والتحذير منها واجتنابها بالذات لمن عرفها ويستطيع تغييرها إلى الصواب في النطق.

السابع- إدخال أسماء لم يرد بها دليل صحيح في الأسماء الحسنى:

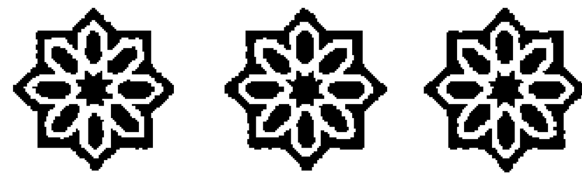
كان يطلق بعض الناس على الله اسم «الموجود» أو «المقصود» أو«المُهدي»، وكذلك اسم «العال»، ولكن الذي ورد «العلي، والأعلى، والمتعال»، وليس منها «الونيس»، و«المُتجلِّي».

أو كما يدعي الجهلاء من عُبَّاد القبور أن من أسمائه كلمة «هو»، وهو معلوم أنه ضمير قد يضاف إلى غائب، وهو ليس من أسماء الله تبارك وتعالى.

ثالثًا- فادعوه بها:

وهذا من أعظم ثمرات معرفة الأسماء الحسنى؛ إذ أنه لا يصح دعاءُ الله - تبارك وتعالى - إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يُثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، وكذلك لا يُسئل إلا بها»[(١)].



(١) انظر: كتاب «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ١٦٤).

ودعاء الله تبارك وتعالى
بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى ثلاثة أنواع

الأول- دعاء الإيمان والعبادة:

كما في قوله تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٨].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له»[١].

وكما في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٠].

قال ابن كثير رحمه الله: «**إنما أدعو ربي**» أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ولا أشرك به أحدًا[٢].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الدعاء هو العبادة**».

الثاني- دعاء الحمد والثناء:

وهو الدعاء الذي يُظهر العبدُ فيه محبته لربه بالثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهذا هو أفضل الدعاء؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله**»[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٩).

(٢) أخرجه الطيالسي [٨٣٨]، وأحمد(٤/ ٢٦٧)، وأبو داود [١٤٧٨]، والترمذي [٢٩٦٩] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وصححه الترمذي، انظر: «صحيح سنن أبي داود» [١٣١٢].

(٣) أخرجه الترمذي [٣٣٨٣]، وابن ماجه [٣٨٠٠]، وابن حبان [٨٤٦]، والحاكم (١/ ٥٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه، وصححه الحاكم، وانظر: «صحيح جامع الترمذي» [٢٦٩٤].

ولذلك فقد كان أفضل ما يقوله أهل الجنة وهم في أعظم نعمة وأكمل رحمة وقد امتلأت قلوبهم بحب ربهم هو «الحمد لله»، قال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠].

الثالث- دعاء المسألة والطلب:

وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وكقوله جل وعلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]

فيكون دعاءُ المؤمنين لربهم بما عرفوا من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى مما زادهم في كرمه طمعًا، وفيما عنده رجاءً، وعليه توكلًا فيطلبوا منه المغفرة لأنه الغفور، ويسألوه العفو لأنه العفو.

وإليك أمثلة من هذا النوع من الدعاء:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان يعدُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «**رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الغفور**»[(١)].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت: يا رسول الله! أرأيتَ إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟»، قال: «**قولي: اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الطيالسي [٢٠٥٠]، وأحمد (٢/ ٢١)، وأبو داود [١٥١٦]، والترمذي [٣٤٣٤]، وابن ماجه [٣٨١٤]، وانظر: «السلسلة الصحيحة» [٥٥٦].

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ١٧)، والترمذي[٣٥١٣]، وابن ماجه [٣٨٥٠]، وصححه الترمذي، وانظر: «صحيح جامع الترمذي» [٢٧٨٩].

ويسأل الهبة؛ لأنه الوهاب:

فكان من دعاء سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

ومن دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

رابعًا- النهي عن التسمّي بأسماء الله من أجل ذلك:

قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسماء الله ما يُسَمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسمى به غيره، كاسم «الله»، و«الخالق» و«الرَّزَّاق» ونحو ذلك»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن أَخْنَع اسمٍ عند الله رجلٌ تَسَمَّى مَلِك الأملاكِ؛ لا مالك إلا الله**»(٢).

قال سفيان: مثل شاهان شاه، أي: ملك الملوك باللغة الفارسية، و«أخنع» يعني: أوضع وأحقر، وفي رواية: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**» وأغيظ من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضًا عند الله مغضوبًا عليه،والله أعلم.

قوله: «أخبثه» وهو يدل على أنه خبيث عند الله فاجتمعت في حقه ثلاثة صفات ذميمة هي الخبث والذل وأنه بغيض إلى الله؛ لأنه نازع الله بعض أسمائه وصفاته وادعى لنفسه ما ليس له؛ لأن الله هو خالق الخلق، ومالك الملك كله على الحقيقة كما ورد في الحديث: «**اللهم ربَّ كل شيء، ومالك كلِّ شيء، وإلهَ كلَّ شيء**»(٣).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري [٦٢٠٦]، ومسلم [٢١٤٣].

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١١٧)، وأبو داود [٥٠٥٨]، من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤٢٢٩].

ولذلك يجب تغيير هذه الأسماء؛ لأنها لا تُطْلَق إلا على الله عَزَّ وَجَلَّ.

عن هانئ بن يزيد والد شريح بن هانئ، أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ هو الحكم، وإليه الحُكْم، فلِمَ تكنى أبا الحكم؟**». **فقال**: «إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين». **فقال** ﷺ: «**ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟**». **قلت**: «شريح، ومسلم، وعبد الله». **قال**: «**فمَنْ أكبرُهُم؟**»، قلت: «شريح»، قال: «**فأنت أبو شريح**»(١).



---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٨١١]، وأبو داود [٤٩٥٥]، والنسائي [٥٤٠٢]، وابن حبان [٥٠٤]، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤١٤٥].

الباب الرابع

شرح الأسماء الحسنى

الباب الرابع

شرح الأسماء الحسنى

«الرحمن - الرحيم»

جل جلاله وتقدست أسماؤه

أولاً- المعنى اللغوي:

الرحمة: هي الرقة والتعطف، والاسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، و«رحمن» أشد مبالغة من «رحيم»؛ لأن بناء «فعلان» أشد مبالغة من «فعيل»، ونظيرهما نديم وندمان، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[(١)].

ثانيًا- ورود الاسمين في القرآن الكريم:

ذُكر «الرحمن» في القرآن سبعًا وخمسين مرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. وقوله سبحانه: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان:٢٦]. وأما اسمه «الرحيم»، فقد ذُكر أكثر من مائة مرة؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، وهو كثير في القرآن، انظر سورة «البقرة» (١٧٣، ١٨٣، ١٨٩).

---

(١) «جامع البيان» (١/ ٤٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

الاسمان مشتقان من الرحمة، و«الرحمن» أشد مبالغة من «الرحيم»، ولكن ما الفرق بينهما؟ هناك ثلاثة أقوال في الفرق بين هذين الاسمين الكريمين:

الأول- أن اسم «الرحمن»: هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، و«الرحيم»: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

فذكر الاستواء باسمه «الرحمن»؛ ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، فخصَّ المؤمنين باسمه «الرحيم»(١). ولكن قد يُردُّ على هذا القول بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

القول الثاني- هو أن «الرحمن» دال على الصفةِ القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم «أي: بمن يرحمهم الله»، فكان الأول للوصف والثاني للفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمَّل قوله: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، ولم يجئ قط «رحمن بهم» فعلم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة و «رحيم» هو الراحم برحمته(٢).

القول الثالث- أن «الرحمن» من الأسماء التي نُهِيَ عن التسمية بها لغير الله تبارك وتعالى، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل به الاسم الذي لا يشاركه فيه غيره، وهو الله(٣).

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١/ ٤٣).

(٢) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤).

(٣) «النهج الأسنى» (١/ ٧٩).

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اسم «الرحمن»: ولما كان هذا الاسم مختصًا به تعالى حَسُنَ مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك ولم يجئ قط تابعًا لغيره بل متبوعًا وهذا بخلاف العليم، والقدير، والسميع والبصير، ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة[(١)].

وعن الحسن أنه قال: «الرحمن» اسم لا يستطيع الناسُ أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى، ولذا لا يجوز أن يُصْرَف للخلق[(٢)].

وأما «الرحيم» فإنه تعالى وصف به نبيَّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيث قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فيُقال: «رجل رحيم»، ولا يقال: «رحمن».

قال ابن كثير: «والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يُسمى به غيره، ومنها ما لا يُسمى به غيره، كاسم «الله»، و«الرحمن»، و«الخالق»، و«الرازق»، ونحو ذلك فلهذا بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولًا تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص[(٣)] اهـ.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

أولاً: التعرُّف على الله برحمته والإيمان بها:

وسنحاول فيما يلي التعرض إلى جانبٍ من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، عسى أن ترقَّ القلوبُ إلى خالقها وتشتاق النفوس إلى بارئها.

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤).

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٢).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢١).

١- ربكم ذو رحمة واسعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

٢- رحمة الله تغلب غضبه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال ابن كثير في هذه الآية: أوجبها على نفسه الكريمة تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه، إن رحمتي سبقت غضبي**».

وفي رواية: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه هو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تَغْلِبُ غضبي**»[(٢)].

٣- إن لله مائة رحمة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ لله مائةَ رحمةٍ أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنسِ والبهائمِ والهوامِّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحشُ على ولدها**».

وفي رواية: «**إنَّ الله خلقَ الرحمةَ يومَ خَلَقَها مائةَ رحمة**».

وفي رواية: «**كل رحمةٍ طباق ما بين السماء والأرض، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة**»[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٣٠).

(٢) رواه البخاري(٧٤٠٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) رواه البخاري (٩٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢/ ١٨- ١٩، ٢٧٥٣/ ٢١).

هذه رحمة الله المخلوقة، فكيف برحمة الله التي هي من صفاته وليست مخلوقة ولا تنفد أبدًا وليس لها حدّ، ولا نهاية، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ولذلك فقد قال النبي ﷺ: «**لو يعلمُ الكافر ما عندَ الله من الرحمةِ ما قَنطَ من جَنَّتهِ أَحَد**»(١).

٤- إن الله - تبارك وتعالى - بيده الرحمة وحده:

ومن رحمته: أن أحدًا من خلقه لا يستطيع أن يحجب رحمته أو يمنعها عن أحبابه، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر:٢]

فرحمة الله لا تعزُّ على طالب في أي زمان أو مكان، وجدها إبراهيم وسط ألسنة النار، ووجدها يوسف في غيابات الجُبِّ وغياهب السجن، ووجدها إسماعيل وأمُّه هاجر في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، ووجدها يونس في بطن الحوت، ووجدها موسى في اليمِّ وهو طفل وفي قصر فرعون وهو متربص به، ووجدها أصحاب الكهف حين افتقدوها في القصور بين أقوامهم، ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار وهما مطاردان(٢).

٥- الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أرحم بعباده من الأم بولدها:

وذلك لأن رحمة والديك بك مهما بلغت فهي جزءٌ من جزءٍ من المائة جزءٍ التي خلقها الله فكيف برحمته هو الواسعة جل جلاله وتقدست أسماؤه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «قُدِم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من كتاب «لهذا أحب ربي» للدكتور/ خالد أبو شادي.

تبتغي». وفي رواية البخاري: «تسعى إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته». فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**». قلنا: «لا والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه». فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذه بولدِهَا**»(١).

وقال حماد بن سلمة: «ما يسرني أن أمري يوم القيامة صار إلى والديَّ؛ إن ربي أرحم بي من والديَّ».

ثانيًا- فانظر إلى آثار رحمة الله:

إن آثار وعلامات رحمة الله أظهر من أن تُبين وأكثر من أن تُحْصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ففي كل نعمة رحمة يستدل عليها كل ذي عقل صحيح، ويعرفها كل ذي قلب سليم، ولا ينكرها إلا كل ظلوم كفارٍ، وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى دليل، كما قال الشاعر:

وكيف يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ إلى دليلِ

وقد اخترنا بعض هذه الآثار على سبيل المثال، فمن ذلك:

١- خلق الإنسان:

فمن رحمة الله تعالى أنه خلق الإنسان من عدم وأنشأه وجعل له السمع والبصر والفؤاد والعقل، كل هذا من تراب فأيُّ فضل وأيُّ نعمة بعد اصطفاء الله لبعض التراب والطين ليجعله إنسانًا يعقل ويشعر ويؤمن ثم يدخله الجنة، فسبحان الله وبحمده، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١- ٤].

---

(١) أخرجه البخاري [٥٩٩٩]، ومسلم [٢٧٥٤].

٢- النبوة والرسالة رحمة:

فقد سُمِّيت النبوة والوحي رحمة كما في قوله تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨].

قال ابن كثير في هذه الآية: «أي: على يقين وأمرٍ جليّ، ونبوةٍ صادقة وهي الرحمة العظيمة من الله به»(١).

٣- إرسال النبي صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني لم أُبعث لعَّانًا وإنما بُعثتُ رحمة**»(٢). وفي الحديث الآخر: «**إنما أنا رحمةٌ مهداة**»(٣).

٤- نزول القرآن:

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٥- أن جعلك مسلمًا:

قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال ابن كثير: «أي بهذا الذي جاءهم من الهدى ودين الحق فليفرحوا فإنه أولى ما يفرحون به»(٤). وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي أُمر فيه بالفرح.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٢٧).

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه البزار (٢٣٦٩- كشف)، والطبراني في «الأوسط» [٢٩٨١]، والحاكم (١/ ٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٦).

٦- نداؤه في الثلث الأخير من الليل ليرحم عباده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يتنزَّلُ ربُّنا - تبارك وتعالى - كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخرُ يقولُ: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفرَ له؟**»[(١)].

وفي حديث آخر: «**من ذا الذي يَسْتَرْزِقُني أَرْزُقْه؟ من ذا الذي يستكشفُ الضرَّ أَكْشِفْه**»، حتى ينفجر الصبح[(٢)].

وفي حديث آخر: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملكُ، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني..**»[(٣)].

بالله عليك لو أن أمير بلدك، أو رئيس دولتك بعث إليك أنه سوف يأتي إليك ليحقق لك ما تتمنى منه، ألا يجعلك هذا له مُحبًّا وإلى لقائه متشوقًا؟ هل كنت تنام وتتركه؟ أو تنسى موعده؟ وهل ستكون موقنًا على تنفيذ ما تتمنى أم لا؟

هذا من بشر ضعيف لا يملك لك ولا لنفسه نفعًا ولا ضرًا فكيف برب العالمين جل جلاله؟!

٧- تقرُّبه إلى خَلقِه:

سبحان الله! يتقرب من خلقه وهو غني عنهم، ويتوددُ إليهم وهم لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا، ولكن نعمة منه وفضلًا ورحمة وإحسانًا.

---

(١) صحيح. أخرجه البخاري (ج١١/ ٦٣٢١).

(٢) حسن. أخرجه أحمد (ج٢ ص٥٢١).

(٣) صحيح. أخرجه مسلم (جـ١ - صلاة المسافرين- ١٦٩)، والترمذي (جـ٢/ ٤٤٦)، وأحمد (جـ١٤/ ٧٧٧٩) وغيرهم.

وانظر - أخي الكريم - وتأمَّل هذا الحديث الذي تنفطر له القلوبُ وتدمعُ له العيونُ، فعن أبي هريرة قال: «ربما ذكر النبي ﷺ قال: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: إذا تَقَرَّبَ العبدُ منِّي شِبْرًا تقرَّبتُ منه ذراعًا، وإذا تقرَّب مني ذراعًا تقربت منه باعًا أو بوعًا**»[(١)].

يا الله، يا الله، مَنْ يتقرب إلى مَن؟ ومَنْ يُهرول إلى مَنْ؟ يتقرب الخالق إلى المخلوق ويهرول ملك الملوك إلى عبد فقير صعلوك، سبحان الله ما أرحمه وما أكرمه!!

٨- ذكره لعباده الصالحين:

وعن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: «**قال الله: يا ابنَ آدم، إنْ ذَكَرْتني في نفسِك ذَكَرتُك في نفسي، وإنْ ذَكَرتني في ملأٍ ذكرتُك في ملأٍ من الملائكة، أو في ملأٍ خير منهم، وإنْ دنوتَ مني شِبرًا، دنوتُ منك ذراعًا، وإنْ دنوتَ مني ذراعًا دنوتُ منك باعًا، وإنْ أتيتني تمشي، أتيتُكَ أهرول**»، قال قتادة: «فالله عَزَّ وَجَلَّ أسرع بالمغفرة»[(٢)].

أخي الكريم، هل تصورت كيف يذكرك ربك؟ هل تخيَّلْتَ أن يذكرك الله باسمك؟ نعم يذكرك أنت باسمك بين ملائكته في الملأ الأعلى، من الذي يذكرك؟ الله. الله الذي يذكرك.

فيا له من عظيم شرفٍ وكبير قدرٍ لا يعرفه إلا من عرف ربَّه وأحبَّه، فانظر إلى واحد من هؤلاء وهو أبي بن كعب رضي الله عنه حين عَلِمَ أن الله تبارك وتعالى قد ذكره باسمه، وكيف هطلت عيناه دمع الفرح والحنين إلى أرحم الراحمين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٧٥٣٧)، باعًا: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالًا.

(٢) «شرح السنة» للبغوي.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبي بن كعب: «**إنَّ الله أمـرني أن أقـرأ عليـك**: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [البينة:١]». قـال: «وسمَّاني لك؟»، قال: «**نعم**»، فبكى(١).

قال يحيى بن معاذ الرازي: يا غفول يا جهول لـو سـمعت صريـر الأقـلام وهـي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمتَّ شوقًا إلى مولاك.

فليس العجب من قوله: «فاذكروني»، ولكـن العجـب كـل العجـب مـن قولـه: «أذكركم»، فليس العجب أن يذكر الضعيفُ القويَّ، أو يـذكر الفقـيرُ الغنـيَّ، أو يـذكر الذليلُ العزيزَ، إنما العجب أن يذكر القويُّ الضعيف، والغنيُّ الفقير، والعزيزُ الذليلَ.

٩- صبر الله - جلَّ جلاله - على الأذى من خلقه:

فسبحان الله ما أحلمه، وما أكرمه وما أرحمه! يخلق ويُعْبَدُ غيرُه، ويـرزق ويُـشكرُ سواه، خيره إلى العباد نازل وشرهم إليه صاعد من الذين يدَّعون له الولـد يـصبر عـلى أذاهم ويبعث إليهم بأرزاقهم، عسى أن يصادف هذا الكرم عقلًا زاكيًا أو قلبًا واعيًـا أو نفسًا طيبة أو فطرة سليمة تفيق من غفوتها وترجع عـن ضـلالتها تعـرف ربَّهـا فتعبـده وحده وتحبه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما أحدٌ أَصْبر على أذىً سَمِعه من الله؛ يدَّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**»(٢).

هذه رحمته سبحانه بمن أشرك به، فكيف رحمته بمن وحَّده وعبده وأطاعه وأحبه وأحب رسوله وجاهد في سبيله.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به.

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

١٠- رحمته بالتائبين[١]:

فإن التائبين قد انكسرت قلوبهم لعظمته، وذلَّت جباههم لعزته، وأتوه راجين رحمته ويخافون عذابه، فما عسى أن تكون رحمة الله بهم؟

فإليك شيء منها:

أولًا- يغفر الذنوب مهما عَظُمَت:

عن أنس رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قال الله تعالى: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتي غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُرَاب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرَابها مغفرة**»[٢].

ثانيًا- ويبسط يده للتائبين ليلاً ونهارًا:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله تعالى يبسطُ يدَهُ بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَهُ بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِهَا**»[٣].

ثالثًا- ويفرح بتوبة عبده:

والله غني عن توبة خلقه ومع هذا فقد فرح بها فرحًا هو أشد من فرحة رجلٍ وجد حياته بعدما عدَّ نفسه من الأموات، وهي فرحة إحسانٍ وبِرٍّ ولطف، لا فرحة محتاجٍ إلى توبة عبده منتفعٍ بها.

(١) انظر: شرح الاسمين الكريمين «الغفار، والغفور»، كما سيأتي إن شاء الله.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. عنان السماء، قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عنَّ لك منها أي ظهر، وقراب الأرض: هو ما يقارب مِلئها.

(٣) رواه مسلم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لله أَفْـرحُ بتوبـةِ عبدِه من أحدِكُم سقطَ على بعيرِه وقد أضلَّه في أرض فلاة»[(١)].

وفي رواية: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فـأتى شـجرةً فاضـطجع في ظِلِّها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك؛ إذ هو بها قائمة عنده بخِطَامها ثم قال مـن شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[(٢)].

ففي هذا الحديث دليل على فرح الله - عَزَّ وَجَلَّ - بالتوبة من عبده إذا تاب إليـه، وأنه يحب ذلك - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - محبة عظيمـة، ولكـن لا لأجـل حاجتـه إلى أعمالنـا وتوبتنا، فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم فإنه يحب أن يغفر، وأن يغفر أحـبُّ إليه من أن ينتقم ويؤاخذ، ولهذا يفرح بتوبة الإنسان[(٣)].

رابعًا- ويبدل السيئات حسنات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيئ العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا، وأبدلهم بالفجور إحصانًا، وأبدلهم بالكفر إسلامًا[(٤)].

١١- صلاته - جلّ جلاله - على المؤمنين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم؛ الخِطام بكسر الخاء «الحبل» الذي تُقاد به الدابة.

(٣) شرح كتاب «رياض الصالحين» (١/ ٨٩، ٩٠)، باب التوبة، شرح العلاّمة محمد بن صالح بن عثيمين.

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

قال ابن كثير: «والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة»، حكاه البخاري عن أبي العالية.

وقال غيره: «الصلاة من الله - عَزَّ وَجَلَّ - الرحمة، وقد يقال: «لا منافاة بين القولين، والله أعلم»(١).

١٢- مضاعفة الحسنات والأجور:

فمن رحمته سبحانه مضاعفة الحسنات إلى أضعاف كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلُّ عملِ ابنِ آدم يضاعَفُ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سبعمائةِ ضِعْف**»(٢).

ومن الأعمال ما ينمِّيها الله حتى يجعلها كالجبل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَن تَصدَّق بعدْل تمرةٍ من كسبٍ طيبٍ ولا يقبل الله إلا الطيب، فإنَّ الله يتقبَّلُها بيمينه ثم يربِّيها لصاحِبِها كما يربِّي أحدُكُم فَلُوَّه حتى تكونَ مثلَ الجبل**»(٣).

١٣- رحمة الله تبارك وتعالى بقلوب عباده:

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**القلوبُ بين أُصْبُعين من أصابعِ الرحمنِ يقلِّبها كيفَ يشاء**»(٤).

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (جـ٢ - صيام/ ١٥٩)، وبنحوه النسائي (جـ٤ - ص١٦٢)، وأحمد (جـ١٩/ ١٠١٧٨)، وابن ماجه (ج١/ ١٦٣٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم، وأحمد، والفَلُوُّ: هو المُهْرُ، ويقال بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١١٢)، والترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه [٣٨٣٤]، من حديث أنس رضي الله عنه، وانظر: «صحيح ابن ماجه» [٣٠٩٢].

١ - فإذا شاء الله لعبدٍ الهدى شرح قلبه للإسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢ - وإذا أراد بعبد رشادًا حبّبَ إليه وزينه في قلبه فعاش بالإيمان سعيدًا وعن الكفر والعصيان بعيدًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨]

٣- ويُسعد المؤمنين بحبهم له ولرسوله وحب المؤمنين في الله فيشعر بحلاوة الإيمان ولذة القرب من الرحمن جل جلاله، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمان، أنْ يكونَ اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يكرهَ أنْ يعود في الكفرِ بعد أنْ أنقذَهُ اللهُ منه كما يكرهُ أن يقذفَ في النار**»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، وذلك بعكس الطغاة والعصاة أمثال المشركين من أهل الكتاب، فقد قَالَ تَعَالَىٰ في النصارى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

١٤- الجنة من رحمة الله عزّ وجلّ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تحاجّت الجنةُ والنّارُ، فقالت النّارُ: أوثِرْتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنةُ: ما لي لا يَدْخلني إلا ضعفاءُ النّاسِ وسقطُهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنتِ رحمتي أرحَمُ بكِ مَن أشاءُ من عبادي، وقال للنار: إنما أنتِ عذابٌ أعذِّبُ بكِ من أشاءُ من عبادي**»(٢).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٥٩٥).

١٥- دخول الجنة برحمة الله عَزَّ وَجَلَّ:

قال رسول الله ﷺ : «**لا يُدْخل أحدًا الجنةَ عملُهُ**»، قالوا: «ولا أنت يارسول الله؟»، قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني اللهُ بمغفرةٍ منه ورحمة**»(١).

١٦- شفاعة أرحم الراحمين في أهل النار:

فما من أحدٍ يملك لغيره شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

وسيجعل الله درجاتٍ للشفاعة والشافعين، فهناك شفاعة للأنبياء والمرسلين، وشفاعة للصديقين، وشفاعة الشهداء فيُشَفِّعُهم الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم بعد ذلك يشفع هو سبحانه وبحمده شفاعة فيخرج أضعاف ما أخرجه كل هؤلاء حتى يعجب أهلُ الجنة من ذلك، وإليك صورًا من شفاعة أرحم الراحمين.

شفاعته - عَزَّ وَجَلَّ - في الموحِّدين:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة الطويل: «**ثم يقال: ادعوا الصِّدِّيقين فيشفعون، ثم يقال: «ادعوا الأنبياء، قال: فيجيء النبيُّ ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسةُ والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال: ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، وقال: فإذا فعلت الشهداء ذلك، قال: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا أرحم الراحمين، أَدْخِلُوا جَنَّتي من كان لا يُشْرك بي شيئًا**». قال: «فيدخلون الجنة...»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٣، ٦٤٦٧)، ومسلم(٢٨١٦، ٢٨١٨)، من حديث أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (جـ١/ ١٥)، وابن حبان (٥٨٩- موارد)، وأبو عوانة (جـ١ ص١٧٥).

وفي حديث آخر: «**فيقول: وعزَّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله**»(١).

وفي رواية: أن الله تبارك وتعالى يقول للرسل: «**اذهبوا، أو انطلقوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه**»، ثم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «**أنا الآن أُخْرِج بعلمي ورحمتي**»، فيُخرج أضعافَ ما أخرجوا وأضعافه فيكتب في رقابهم عتقاء الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم يدخلون الجنة(٢).

١٧- رحمته بالنمل، سبحان الله وبحمده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**قَرَصَتْ نملةٌ نبيًا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: «أنْ قَرَصَتْك نملةٌ أحرقت أمةً من الأمم تُسبح الله»**»(٣).

وفي رواية: «**فأوحى الله إليه: فهلَّا نملة واحدة**»(٤).

فسبحان من لم تمنعه عظمته وكبرياؤه من رحمة الضعيف الصغير من خلقه حتى يعاتب نَبيًا له من أجل نملٍ، لا حول له ولا قوة إلا بربه سبحانه.

ثالثًا: ليس كمثله شيء في رحمته:

وذلك من عدة أوجه:

أولاً: رحمة الخلق مخلوقة فتوجد بوجودهم وتفنى بفنائهم:

أما رحمة الله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنها صفة ذاتية له لا تفنى ولا تبيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦- ٢٧].

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٧٥١٠)، ومسلم (ج١-إيمان٣٢٦).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (جـ٣/ ص٣٢٥).

(٣) رواه البخاري (٦/ ١٥٤) (رقم الحديث: ٣٠١٩)، ومسلم (جـ٤- السلام-١٤٨)، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (جـ٦/ ٣٣١٩)، ومسلم(جـ٤- السلام- ١٥٠).

ثانيًا- رحمة الخلق قليلة محدودة:

أما رحمة الله فقد وسعت كل شيء، فكلٌّ يرحم بقدر قدرته، فالناس يرحمون في حالٍ دون آخر، فيرحمون القريب دون الغريب، ويرحمون الحبيب دون العدو، أما رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ فقد عمَّت الخلق جميعًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ثالثًا-رحمة الناس تختلط باللهفة والضعف لمن يرحمون:

فالأم إذا مرض ولدُها تحزن، وإذا غاب عنها تقلق وإذا مات هلعت؛ وذلك من حبها له ورحمتها عليه،وقد بكى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موت ابنه إبراهيم، وحزن عليه؛ وذلك من رحمته به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على ابنه إبراهيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يَا رسولَ الله؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ» ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى ، فَقَالَ: «إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلب يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»(١).

ولكنَّ الله جل جلاله لا يحزن ولا يتألم ولا يبكي ولا يقلق، ولا يتلهف، وهكذا ما لهذه الصفات من نقص وضعف لا يخفى على كل عاقل أن هذا لا يليق بالله سبحانه وبحمده، إنما يرحم من قوة، ويعفو من قدرة، ويغفر في عزّة ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

رابعًا: لا تقنطوا من رحمة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) رواه البخاري، وروى بعضه مسلم.

قال النبي ﷺ: «**لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبةِ ما طَمِع بجنَّتِه أَحَد، ولو يعلمُ الكافرُ ما عند الله من الرحمةِ ما قَنط من جنَّته أحد**»(١).

ولذا فإن القنوط من رحمة الله من علامات الكفر والضلال، وما يقنط من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ إلا رجلٌ من اثنين: ضال، أو كافر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦].

وقد نصح يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بنيه بألا ييأسوا من روح الله أبدًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]

عن جندب أن رسول الله ﷺ حدَّث أن رجلًا قال: «**والله لا يغفرُ اللهُ لفلان**»، وإن الله تعالى قال: «**مَن ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عملك**»(٢).

وعَن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد قال لضمضم بن جوس اليمامي: يا يمامي، لا تقولنَّ لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا». فقال له: يا أبا هريرة، إن هذه الكلمة، يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه، إذا غضب، قال أبو هريرة: فلا تقلها، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**كان في بني إسرائيل رجلان؛ كان أحدهما مجتهدًا في العبادة، وكان الآخر مسرفًا على نفسه، فكانا متآخين، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب**»، فيقول: «**يا هذا أقصر، فيقول: خلّني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا؟ قال: إلى أن رآه يومًا على ذنب استعظمه، فقال له: «ويحك أقصر»، قال: «خلني وربِّي أبعثت عليَّ رقيبًا؟ قال: «فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة أبدًا**»، قال أحدهما:

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٧٥٥) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ١٣٧)، البر والصلة.

«قال: فبعث الله إليهما مَلَكًا فقبض أرواحهما واجتمعا عنده»، فقال للمذنب: «اذهب فادخل الجنة برحمتي»، وقال للآخر: **«أكنت بي عالمًا؟ أكنت على ما في يدي خازنًا؟ اذهبوا به إلى النار»**، قال: **«فوالذي نَفْسُ أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»**(١).

خامسًا: من أسباب الحرمان من رحمة الله تبارك وتعالى:

فبالرغم من سعة رحمة الله وعظمتها، إلاَّ أن هناك من الناس من حرموا أنفسهم منها بذنوبهم، وسنذكر فيما يلي جانبًا منهم:

أولاً: من لا يَرحم لا يُرحم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحسنَ بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا»، فقال الأقرع: «إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا»، فنظر إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: **«من لا يَرْحَمُ، لا يُرْحَم»**(٢)، ولمَ يرحم الله من لم يرحم عباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا يرحمُ الله مَن لا يَرْحم النَّاس»**(٣).

ثانيًا: تعذيب الناس:

فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: **«اعلم أبا مسعود أنَّ الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام»**، فقلت: «لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا».

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (ج١٦/ ٨٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٥٨) الحديث رقم [٧٣٧٦].

وفي رواية: فقلت: «يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله»، فقال: «**أما لو لمْ تَفْعَل لَلَفَحَتْكَ النارُ، أو لَمَسَّتْكَ النارُ**»(١).

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما قال: «أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ الله يُعذِّب الذين يُعذّبون الناس في الدنيا**»(٢).

ثالثًا: تعذيب الحيوانات:

فقد حرَّم الله تعذيب الحيوان والحشرات، ويعاقب من فعل ذلك؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عُذِّبت امرأةٌ في هِرَّة، حبستها حتى ماتَتْ فدخَلَتْ فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشَاشِ الأرض**»(٣).

رابعًا: الاختلاف والفرقة:

وكفى بنزع الرحمة عن المختلفين ثلاثة أمور كل منها أشد من الأخرى.

الأولى: حِرمان المغفرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تُفْتَح أبوابُ الجنةِ يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفَرُ لكلِّ عبدٍ لا يُشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنظِرُوا هَذَيْنِ حتى يَصْطَلِحا، أَنْظروا هَذَيْن حتى يَصْطلحا**»(٤).

الثانية: ضياع الهُدى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما حُضِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمرُ بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**هَلمَّ أكتبْ لكم كتابًا لن تضلوا**

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه، وخشاش الأرض: هوامها، وحشراتها.

(٤) رواه مسلم، والشحناء: هي العداوة، وأنظروا أي: أخِّروا.

بعده»، فقال عمر: «إن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قرِّبوا يكتب لكم النبي ﷺ كتابًا لن تضلوا بعده. ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ ،قال رسول الله ﷺ : «**قوموا عنِّي**».

وكان ابن عباس يقول: «إن الرَّزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم»[1].

الثالثة: إخفاء ليلة القدر عن المسلمين:

عن عبادة بن الصامت قال: «خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: «**خرجتُ لِأُخبركم بليلةِ القدرِ فتلاحَى فلانٌ وفلان، فَرُفِعَت...**»[2].

سادسًا: من أسباب رحمة الله لخلقه:

١ - **طاعة الله ورسوله:** فكلما كان العبدُ أكثر طاعة لله - تبارك وتعالى - ورسوله ﷺ كلما كان أكثر استحقاقًا لرحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٢ - **الإحسان:** قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال النبي ﷺ : «**إنَّ الله كتبَ الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة...**»[3].

---

(١) رواه البخاري [٥٦٦٩]، كتاب المرض، وكتاب العلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

٣- تقوى الله تبارك وتعالى: فإن كانت رحمة الله قد وسعت كل شيء وشملت البر والفاجر، والمسلم والكافر، فما من أحد إلا وهو يتقلب في رحمة الله آناء الليل وأطراف النهار وهذا في الدنيا وتلك هي الرحمة العامة، أما الرحمة الخاصة بدخول الجنة في الآخرة فهي للمؤمنين والمتقين وحدهم، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٤- صلة الرحم: عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقتُ الرَّحِمَ وشققتُ لها اسمًا من اسمي، فَمَنْ وصلها وَصلتهُ، ومن قطعها بتَّه»[١]، وبَتَّه: أي قطعتُه.

فانظر - أخي الكريم - إلى هذه الشكوى المُرَّة من الرَّحم المقطوعة إلى الله، وانظر أتحب أن تكون من الواصلين للرحم أم من القاطعين؟!

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الرَّحم مشْجَنةٌ من الرحمن، تقول: «يا ربِّ، إني قُطِعْتُ، يا ربِّ، إني ظُلمتُ، يا ربِّ، إني أسيءَ إليَّ، يا ربِّ، يا ربِّ، فيُجيبُها ربُّها عزَّ وجلَّ، فيقولُ: «أما تَرْضَيْنَ أن أَصِل من وَصَلك وأَقْطع من قَطَعك؟»[٢].

وفي رواية: «ألا تَرْضين أن أَصِل مَن وَصَلك، وأَقْطع مَن قَطَعك؟». قالت: «بلى يا رب»، قال: «فذاك». قال أبو هريرة: «اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢][٣].

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (ج٤/ ١٩٠٧)، وأحمد (ج٣/ ١٦٨٦)، وأبو داود (ج٢/ ١٦٩٤)، والحميدي (جـ١/ ٦٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (ج٩/ ٩٨٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص٣٦/ ٣٥)، والحاكم (جـ٤/ ص١٦٢)، وابن حبان.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (جـ٨/ ٤٨٣٠)، ومسلم (جـ٤/ - البر والصلة- ١٦) وغيرها.

٥- **التماس مرضاة الله**: عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ العبدَ ليلتمسُ مرضاةَ الله، ولا يزالُ بذلك، فيقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لجبريل: إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإنَّ رحمتي عليه**»، فيقول جبريل: «رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم حتى يقولها أهلُ السماواتِ السبعِ، ثم تَهبطُ له إلى الأرض»[(١)].

٦- **الصبر على الابتلاء**: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

قال ابن كثير: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة:١٥٧]، أي: ثناء عليهم، وقال سعيد بن جبير: «أي أَمَنَة من العذاب»[(٢)].

ومن رحمة الله بمن استرجع عند المصيبة أنه يخلف له خيرًا منها، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهمَّ أْجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا آجره اللهُ في مصيبتِهِ وأَخْلَف له خيرًا منها**». قالت: «فلما تُوفِّيَ أبو سلمة قلتُ كما أمرني رسول الله ﷺ، فأخلف الله لي خيرًا منه، رسول الله ﷺ»[(٣)]، فيا لسعادة أم سلمة، فقد تزوجها النبي ﷺ بصبرها.

٧- **رحمة الناس**: فعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «**ارحموا تُرْحَمُوا، واغفروا يَغْفِرِ اللهُ لكم**»[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٨٨).

(٣) أخرجه مسلم [٩١٨].

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥، ٢١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٨٠]، وانظر «الصحيحة» [٤٨٠].

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن صبيًا قد رُفع في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ونفسه تقعقع ففاضت عينا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له سعد: «ما هذا يا رسول الله؟». قال: «**هذه رحمةٌ وضعها الله في قلوب من شاء من عباده، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء**». وفي رواية: «**إنما يرحمُ اللهُ من عبادِهِ الرحماء**»(١).

«من رَحِم رُحم ومن تجاوز تجاوز الله عنه»، والجزاء من جنس العمل.

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حُوسِب رجلٌ ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيءٌ إلا أنه كان يخالطُ الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر**»، قال: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**»(٢).

قد يعجب المرء من رحمة الله بعبدٍ تجاوز عن فقير فيكافؤه بالنجاة من النار والخلود في الجنة، ولكنه يكون أكثر عجبًا حين يرحم الله امرأة من البغايا ويغفر لها من أجل شربة ماء سقتها لكلب، فما أرحم الله، وما أكرمه، وما أعظمه!!

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»(٣).

٨- من جوائز الرحمن لمن رحم إخوانه: فمن رحم الناس رحمه الله، ومن قضى حاجة إخوانه، قضى الله حاجته، ومن أحسن إلى الناس، أحسن الله إليه، والجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٤، ٥٦٥٥، ٦٦٠٢)، (٦٦٥٥، ٧٣٧٧، ٧٤٤٨)، ومسلم [٩٢٣]، وتقعقع: أي في سكرات الموت.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم(جـ٣- المساقاة- ٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٩٣]، والترمذي (جـ٣/ ١٣٠٧)، وأحمد (جـ٤/ ١١٨).

(٣) متفق عليه، يطيف: يدور حول «رَكِيَّة» وهي البئر.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينًا أو يطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كَظَم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أَثْبتَ الله قَدَمه يوم تزول الأقدام، وإنَّ سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل »(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فَرَّج عن مسلم كربة، فَرَّجَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»(٢).

٩- الجماعة رحمة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هُود: ١١٨- ١١٩]

وقد جاء في بعض الحديث: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يد الله مع الجماعة».

ويقصد بالجماعة: أي جماعة المسلمين والرفقة الصالحة فإن لزومهم كله خير، فإنهم يذكرونك إن غفلت، ويعلمونك إن جَهلْتَ، ويُواسُونَكَ إن أُصِبْتَ.

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء، وعُدَّةٌ في البلاء، ولا تصاحب إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره.

(١) صحيح، «السلسلة الصحيحة» رقم [٩٠٦].

(٢) متفق عليه.

سابعًا: دعاء الله باسميه «الرحمن، الرحيم»:

١- **دعاء الثناء والحمد**: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « قال الله تعالى: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله: أثنى عليَّ عبدي...**»(١).

٢- **ومن ذلك أيضًا دعاء المسألة والطلب**: قال ابن كثير: «قال ابن المبارك: «الرحمن إذا سُئِل أعطى، والرحيم إذا لم يُسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من لم يسأل اللهَ يَغْضب عليه**»(٢)،

وقال بعض الشعراء:

لا تسألن بنيَّ آدم حاجة وسَل الذي أبوابُه لا تحجبُ

الله يغضبُ إن تركتَ سؤالَه وبنيَّ آدم حين يسألُ يغضبُ

فمن عرف رحمة الله - تبارك وتعالى - وسَعَتَها ازداد فيها طمعًا، واشتد فيها عند الله طلبًا وعزم في سؤال حاجته.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقولن أحدكم: «اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم في المسألة، فإنه لا مُسْتكْرِه له**»، وفي رواية: «**وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مُكْرِه له**»(٣).

وعن أنس بن مالك قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لفاطمة: «**ما يمنعك أن تَسمعي ما أوصيك به؟! أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: «يا حيُّ يا قيومُ برحمتك**

(١) صحيح: أخرجه مسلم (جـ١ - الصلاة- ٣٨)، وأحمد (جـ١٣/ ٧٢٨٩).

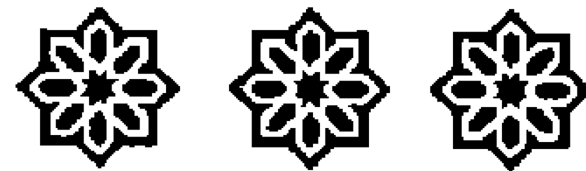
(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي صالح الخوزي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٤٧).

أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[(١)].

ومن دعاء المؤمنين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، وكان من دعاء أصحاب الكهف لمَّا هجروا قومهم خوفًا منهم وهربًا من طغيانهم وظلمهم فلم يجدوا ملاذًا إلا رحمة الله تعالى، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ١٠].

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾



(١) إسناده حسن، أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» [٥٧٠]، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٤٨]، والبزار [٣١٠٧] «زوائد»، والحاكم (١/ ٥٤٥)، والبيهقي في «الأسماء» (ص١١٢) من طرق عن زيد بن الحباب حدثني عثمان بن موهب الهاشمي قال: «سمعت أنس بن مالك يقول فذكره»، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

«الملك، المالك، المليك» جلّ جلاله وتقدست أسماؤه

الملك: هو التصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: «ملك الناس»، ولا يقال: «مَلِكُ الأشياء»

والملكُ الحقُّ الدائم لله.. والملكوت مختص بِملْكِ الله تعالى وهو مصدر مَلَكَ أدخلت فيه التاء نحو: رحموت، ورهبوت، قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، والمملكة: سلطان المَلِكَ وبقاعه التي يتملّكها.

وملاك الأمر: ما يُعْتَمد عليه منه، وقيل: «القلب ملاك الجسد»، والمِلاكُ: التزويج، وأملكوه: زوجُوه، شبّه الزوج بملِكٍ عليها في سياسته، وبهذا النظر قيل: «كاد العروس أن يكون مَلِكًا»(١).

قال ابن سيده: المْلك، والمُلك، والمِلك: احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به، وتملكه: أي ملكه قهرًا، وأملكه الشيء وملّكه إياه تمليكًا جعله ملكًا له.

الدليل على ورود هذه الأسماء الكريمة:

أما اسم الله الملك، فقد جاء في القرآن عدة مرات؛ منها قوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ﴾ [الحشر: ٢٣]

وأما اسم المليك فلم يرد إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

---

(١) «المفردات» للراغب (ص٤٧٢).

وقد جاء اسم «المالك» في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا مالك إلا الله**»(١).

المعنى في حق الله عزَّ وجلَّ:

قال الزجاج: «وقال أصحاب المعاني: الملك، النافذ الأمر في ملكه إذ ليس كل مالك ينفذ أمره أو تصرفه فيما يملكه، فالملك أعمُّ من المالك، والله تعالى مالك المالكين كلهم، وإنما استفادوا التصرف في أملاكهم من جهته تعالى(٢).

قال الخطابي:«الملك: هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات، فأما المالك: فهو خاص الملك(٣).

وقال الليث: «الملك هو الله تعالى وتقدس، ملك الملوك، له الملك وهو مالك يوم الدين(٤).

وقال ابن جرير: الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه(٥).

وقال ابن كثير: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ﴾ [الحشر:٢٣]، أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة(٦).

قال ابن القيم رحمه الله: «الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره، وهذا هو الفرق بين الملك والمالك؛ إذ المالك هو المتصرِّف بفعله،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص٣٠).

(٣) «شأن الدعاء» (ص٤٠).

(٤) «اللسان» (٦/ ٤٢٦٦).

(٥) «جامع البيان» (٢٨/ ٣٦) بتصرف.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤٣).

والملك هو المتصرِّف بفعله وأمره، والرب تعالى مالك الملك فهو المتصرف بفعله وأمره»[1].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

١- لا ملك إلا الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا ملك إلا الله**»[2].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ولا يملك أحدٌ شيئًا إلا من بعد إذنه.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

٢- فعَّال لما يريد:

١- **قال ابن القيم**: «الملك الحق هو الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرَّف في خلقه بقوله وأمره»[3]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فالملك الحق هو الله جل جلاله، فكل شيء تحت قهره ويحدث بقَدَرِه ويتحرك بأمره كما جاء في الحديث القدسي أن أبا ذر رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: «أفعل ما أريد، إنما أمري بشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»**[4].

---

(١) «بدائع الفوائد» (٤/ ١٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢١٤٣).

(٣) «بدائع الفوائد» (٤/ ١٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٤٩٥)، وأحمد (٥/ ٧٧، ١٥٤)، وابن ماجه نحوهما (٢/ ٤٢٥٧).

فقد ملك الله كل شيء بأمره ونهيه وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١- **في خلق السماوات والأرض:** عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، قال للسماء: «أخرجي شمسك وقمرك ونجومك»، وقال للأرض: «شقّقي أنهارك وأخرجي ثمارك»، فقالتا: «أتينا طائعين»(١).

٢- **في خلق آدم وذريته:** قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٣- **في نجاة إبراهيم عليه السلام من النار:** فعندما كسَّر الأصنام التي تُعبد من دون الله أراد قومه أن يحرقوه، فلما ألقوه في النار ما بعث الله ريحًا لتطفئها ولا ماءً ليخمدها ولا ملكًا ليُخرج إبراهيم عليه السلام، إنما تكلم بكلمة إلى النار فخضعت لأمر الملك الجبار، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

٤- **في عقوبة أصحاب السبت:** لما اعتدى أصحاب السبت واحتالوا على أمر الله فاصطادوا يوم السبت عاقبهم الله ولكن بم عاقبهم؟ عاقبهم بكلمة منه، كلمة غيرت حياتهم وصورتهم وآخرتهم إلى أبشع حال، فأما صورتهم فتحولت إلى صورة القرود ونهايتهم في جهنم وبئس الورد المورود، وذلك جزاء ناقض العهود، إنهم اليهود قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦]

سبحان الملك، بكلمة منه أصبحوا قردة، فإن الأجساد ملك لله فهو خالقها

---

(١) أخرجه الحاكم (جـ١ ص٢٧) وقال: «تفسير الصحابي عند الشيخين مسند».

ومدبرها ورازقها وملكها وهي تدين له بالولاء والطاعة كبقية مخلوقات الله، فعندما قال لهم: كونوا قردة استقبلت أجسامهم الأمر فأصبحت أجسام قردة واستقبلت أيديهم وأرجلهم الأمر فأصبحت أيدي وأرجل قردة، بل وقلوبهم أصبحت قلوب قردة، كما قال مجاهد.

سبحان الله! أجسامهم بين أيديهم، وقلوبهم في أجوافهم ولا يملكون منها مثقال ذرة ويملكها الله عَزَّ وَجَلَّ من فوق سبع سموات بكلمة واحدة، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣].

٣- ذلّ الملوك بين يدي ملك الملوك جل جلاله وتقدست أسماؤه:

فإن ملوك الأرض قد اخْتُصُّوا في الدنيا بالعزة والمنعة والسلطان والقوة وهذه نعمة من الله عليهم فمن شكرها فقد فاز ومن كفر تلك النعمة ولم يؤدِّ شكر هذه الخصوصية اختصه الله بعذابٍ من عنده، والجزاء من جنس العمل، فمن ذلك.

١- **غَلْقُ أبواب السماء دون حاجتهم:** فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد جمع لهم أسباب الحكم والعطاء وجعل بيدهم خزائن الأرض فمن حجبها عن الضعفاء والمساكين حجب الله عنه ما ينفعه وعطل عليه حاجته.

فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من إمام أو والٍ يغلقُ بابه دون ذوي الحاجة والخلة، والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، وحاجته ومسكنته**»(١).

٢- **احتجاب الله عنهم يوم القيامة:** فمن ملك من أمر الناس شيئًا تَطَلَّعوا إليه ورجوا ما عنده، فإن حجب نفسه عنهم وحرمهم مما يرجون احتجب الله عنه يوم القيامة وحرمه مما يرجو من النجاة.

---

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي عن عمر بن مرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٥٥٦١]، و«الصحيحة» رقم [٦٣٠].

فقد قال النبي ﷺ: **«من ولي من أمور المسلمين شيئًا فاحتجب دون خلتهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته، وفاقته، وفقره»**(١).

وقال النبي ﷺ: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، وملكٌ كذَّاب، وعائلٌ مستكبر»**(٢).

٣- يأتي الملوك إلى الله مغلولة أيديهم إلى أعناقهم: فكما كانوا أحرارًا طلقاء في الأرض لا يسألهم أحدٌ من الخلق ولا يتقيدون في حركتهم كبقية الرعية فإنهم يأتون يوم القيامة مغلولين إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال النبي ﷺ: **«ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى اللهَ مغلولة يده إلى عنقه، فكَّه بِرُّه أو أوثقه إثمه، أَوَّلها ملامة، وأَوْسطها ندامة، وآخِرها خزيٌ يوم القيامة»**(٣).

٤- ويحرمون من شفاعة النبي ﷺ: فكما أن الظلمة من ملوك الأرض ظلموا الناس حقوقهم، ولم يعدلوا فيهم بشرع الله ولم يشفع عندهم ضعف الرَّعية ومسكنتهم فإنهم يُحْرَمُون من شفاعة النبي ﷺ.

فقد قال النبي ﷺ: **«صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكلُّ غالٍ مارق»**(٤).

---

(١) صحيح: لأبي داود، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أبي مريم الأزدي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٦٤٧١]، و«الصحيحة» رقم(٦٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة.

(٣) حسن: أحمد في «مسنده» عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٥٥٩٤]، و«الصحيحة» رقم [٣٤٨].

(٤) حسن: الطبراني في «الكبير» عن أبي إمامة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٦٩٢] و«الصحيحة» رقم [٤٧٠].

٥- **لا يدخلون الجنة**: فكما أن الأمن والعدل يكون نعيمًا للضعفاء والمساكين، بل ولكل الرعية وقد حرمهم منهم الملك الظالم وغشَّهم وضيَّع مصالحهم فإنه يُحرم من دخول الجنة. فقد قال النبي ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حرَّم الله عليه الجنة**»(١).

٦- وهم أشد الناس عذابًا:

فإن أشد الظلم ما كان من ولي الأمر وأعظم الألم من الجور هو ألم تعذيبه لما له من قوة وما عنده من سلطان، فإن عذَّب الناس لا يجدون من بطشه مفرًّا إلا إلى الله؛ ولذلك فإن الظالم من الملوك لن يجد مفرًّا من النار، فقد قال النبي ﷺ: «**أيما راعٍ استرعي رَعِيَّة فَغَشَّها فهو في النار**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**أشد الناس يوم القيامة عذابًا إمام جائر**»(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه: «يؤتى بالولاة يوم القيامة عادِلِهِمْ وجائِرِهِمْ، حتى يقفوا على جسر جهنم، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «فيكم طلبتي، فلا يبقى جائرٌ في حكمه، مُرتشٍ في قضائه، مميلٌ سَمْعَه أحدَ الخصمين إلا هوى في النار سبعين خريفًا، ويؤتى بالرجل الذي ضرب فوق الحد فيقول الله: «لم ضربت فوق ما أمرتك؟»، فيقول: «يا رب، غضبت لك»، فيقول: «أكان لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟! ويؤتى بالذي قصرَ، فيقول: «عبدي لمَ قصرت؟». فيقول: «رحمته»، فيقول: «أكان لرحمتك أن تكون أشدَّ من رحمتي؟!»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار.

(٢) صحيح: رواه ابن عساكر عن معقل بن يسار، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٢٧١٠]، و«الصحيحة» رقم [١٧٥٤].

(٣) حسن: رواه أبو يعلى في «مسنده»، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي سعيد وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [١٠١٢].

(٤) حسن لغيره: أخرجه أبو يعلى كما في «كنز العمال» (جـ٦/ ١٤٧٦٩).

٤- لمن الملك اليوم؟

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]، وهو يوم القيامة الذي يزول فيه كل مالك ومملوك إلا ملك الملوك جل جلاله، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٢٦].

وعن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقيِّ، ليس فيها عَلَمٌ لأحد**»(١)، ليس عليها مملكة لملك، ولا سلطنة لذي سلطان، ولا قوة لحاكم، ولا حكم لقاضي، ولا قدرة لوالي، ليس على الأرض معلم لذي عرش ولا تاجٍ ولا صولجان، و﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٢٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض»**(٢).

فقد ذهب الملوك وما ملكوا، وقد فني الحُكَّام، وما حكموا، فقد هلك كسرى وقيصر، وذي يزنٍ، وساسان، و﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾، ولله درُّ القائل:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ ... من سرَّه زمن ساءته أزمانُ
وعالم الكون لا تبقى محاسنُه ... ولا يدوم على حالٍ لها شانُ

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٧٢) الرقاق، ومسلم (١٧/ ١٣٤) صفة القيامة، واللفظ له، والعَلَمُ: أي ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٦٥١٩)، ومسلم (١٧/ ١٣١) صفة القيامة.

أين الملوكُ ذوُوا التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أكاليل وتيجانُ
وأين ما شاده شدَّاد من إرم ... وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ
وأين ما حازه قارون من ذهب ... وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ
أتى على الكل أمرٌ لا مَرَدَّ له ... قَضَوْا فكأن الكلَّ ما كانوا(١)

٥- النهي عن التسمية بملك الملوك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**».

وفي رواية: «أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجل تسمى بملك الأملاك»(٢).

قال سفيان: «مثل شاهان شاه: أي ملك الملوك باللغة الفارسية».

فنبه سفيان على أن الاسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملك الأملاك بل كل ما أدَّى معناه بأي لسان كان فهو مراد بالذم(٣).

ومعنى أخنع: أي أوضع اسم وأذله، قال أبو عبيد: «الخانع الذليل وخنع الرجل ذلَّ».

قال ابن بطال: «وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذُلًا حتى أخنى: أي أفحش اسم من الخنا وهو الفحش في القول.

(١) شعر لأبي البقاء الرندي الأندلسي من قصيدته في «رثاء الأندلس»، وقد حذفت البيت الرابع والخامس حتى لا أطيل على القارئ وهما:

٤- يمزق الدهر حتما كل سابغة ... إذا نبت مشرفيات وخرصان

٥- وتنتفي كل سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزنٍ والغمد غمدان

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم(٢١٤٣/ ٢١).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٥٩٠) باختصار، بأي لسان: أي بأي لغة.

وجاء في رواية مسلم: «**أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه**».

قال ابن حجر: واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد، ويلحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء[(١)].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة أيضًا قال: «قال رسول الله ﷺ: «**اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك؛ لا ملك إلا الله**»[(٢)].

٦- التواضع:

فإن من عرف أن الله هو الملك الحق، فلا بد له من أن يتواضع ولا يرفع نفسه فوق منزلة العبيد حتى لو كان من الملوك فإنه لا يعدو كونه عبدًا فقيرًا يقع تحت قهر الله وسلطانه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قال رسول الله ﷺ: «**يطوي الله عَزَّ وَجَلَّ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: «أنا الملك، أين الجبارون، أين المتكبرون...**»[(٣)].

فبماذا يجيب الجبارون والمتكبرون بعد هذا النداء؟ وقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعًا لربه، ومن أجل ذلك اختار أن يكون عبدًا رسولًا وأبى أن يكون ملكًا نبيًا.

عن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ، **فنظر إلى السماء، فإذا مَلَك ينزل، فقال جبريل: «إن هذا الملك ما نزل منذُ يوم خُلِقَ قبل الساعة»، فلما نزل،**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٩٢).

(٣) رواه مسلم.

قال: «يا محمد، أرسلني إليك ربك»، قال: «أفَملِكًا نبيًا يجعلُك أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: «تواضع لربك يا محمد، قال: «بل عبدًا رسولًا»(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئًا يقول: «آكل كما يأكل العبدُ، وأجلس كما يجلس العبدُ»(٢).

٧- لكل مَلِك حِمَى:

فإياك ومعصية الله عَزَّ وَجَلَّ فإنها منطقة خطيرة، وبقعة وَعِرة، فمن ارتكب شيئًا من محارم الله فقد تعدى حدَّه وعرَّض نفسه لعقوبة الملك، فمن أراد لنفسه النجاة فليتَّقِ عقوبة الملك باجتناب محارمه.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ الحلال بيِّنٌ وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمَى يُوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكل ملكٍ حِمَى، ألا وإن حِمَى الله محارمه...**»(٣).

وقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتركون ثلاثة أرباع الحلال خشية الحرام، وكان ابن عمر يقول: «أُحب أن أجعل بيني وبين الحرام حائلًا من الحلال»، وجاء في بعض الحديث: «**لن يبلغ العبد أن يكون تقيًا حتى يدع ما لا بأس به خشية مما به بأس**».

(١) صحيح: أخرجه أحمد(جـ٢) (ص:٢٣١).
(٢) صحيح لغيره: أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» [٦١٠]، والبغوي [ج١٣/ ٣٦٨٣].
(٣) متفق عليه، وبقيته: «...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحَت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

٨- ليس كمثله شيء في ملكه:

أولًا: ملك الخلق سببي وملك الله ذاتي:

فإن الخلق لا يكونون ملوكًا إلا بأسباب الملك، فلا بد له من مملكة يملكها أو ناس يحكمهم، ولا بد له كذلك من أعوان على ملكه، فلا بد له من بطانة تحميه، ووزراء يُشاورهم، وجنود ينفِّذون أمره على الرعية، فملوك الخلق يحتاجون إلى ملكهم.

أمَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن ملكه ذاتي لا يحتاج إلى سماوات ولا أرض ولا عرش ولا شيءٍ أبدًا، فهو الملك قبل الخلق، وهو الملك بعد الخلق، وهو الملك بدون الخلق، وكذلك ليس لله وزير ولا نظير ولا بطانة، حتى جنود الله فإنهم لا يحمونه ولا يملكون له نفعًا ولا ضرًا، إنما هو الذي بيده النفع والضر وحده وبيده الملك وحده، والخلق كلهم لله وبالله ويحتاجون إلى الله ولا يحتاج هو إلى أحدٍ منهم.

ملك الخلق فانٍ، وملك الله باقٍ:

فإن الفناء قد كُتب على المخلوقات، فإما أن يفنى المُلك بضياعه من يد صاحبه فُتسلب المملكة من صاحبها أو يزول الملوك أنفسهم عن ممالكهم بالمرض، أو يجور عليهم من هو أشد قوة من الملوك، أو يموت ويترك ذلك.

أما الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه الحي القيوم، ملكه ثابت، لا يتغير، باقٍ لا يفنى، دائم لا يزول، فلا يفارقه ملكه، ولا يزول عنه بجور جائر ولا بظلم ظالم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، فهو صاحب القوة والعظمة والكبرياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

وكذلك لا يفارق هو ملكه بالغياب أو الموت؛ لذلك انظر إلى الحسرة والألم الذي يحدث للملوك عند تركهم المُلك بل والدنيا وما فيها.

فقد حُكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩].

ورُوي عن المأمون أنه افترش رمادًا واضطجع عليه وقال: «يا من لا يزول ملكه، ارحم من زال ملكه، ويا من لا يموت ارحم من يموت».

هذا ما يساويه الملك في الدنيا:

سأل هارون الرشيد بعض العلماء أن ينصحه فقال له: «يا أمير المؤمنين، إذا عطشت وحُبس عنك الماءُ فكم تساوي شربة الماء عندك؟ فقال هارون الرشيد: «نصف ملكي»، فقال له: «وإذا شربتها وحُبِسَت في جسدك فكم يساوي إخراجها؟» قال:«النصف الآخر من ملكي». قال: «يا أمير المؤمنين، اتق الله في ملك نصفه شربة ماء والنصف الآخر إخراجها».فبكى هارون الرشيد.

٩- دعاء الله بهذه الأسماء الكريمة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عِدلَ عشرِ رقاب**(١) **وكتِبَتْ له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحدٌ بأفضل مما جاء به إلا رَجُلٌ عمل أكثر منه**»(٢).

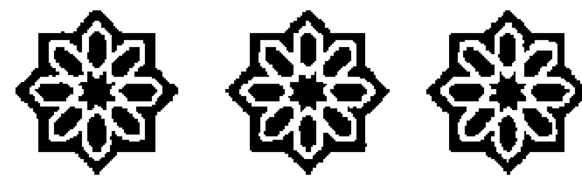
---

(١) أي: في ثواب عتقها.

(٢) متفق عليه.

٢- وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعةَ أنفسٍ من ولد إسماعيل»(١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قال الله تعالى : «قَسَمت الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: «الحمد لله ربِّ العالمين، قال الله تعالى : «حمدني عبدي»، وإذا قال: «الرحمن الرحيم»، قال الله تعالى : «أثنى عليَّ عبدي»، وإذا قال: «مالك يوم الدين»، قال: «مجَّدني عبدي»، وقال مرة: «فَوَّض إليَّ عبدي»(٢).



(١) متفق عليه.

(٢) صحيح، أخرجه مسلم (ج:١- الصلاة ٣٨)، وأحمد(ج:١٣/ ٧٢٨٩)، والحميدي (جـ٢/ ٩٧٣)، والبيهقي (جـ٢) (ص:٣٨)، والترمذي(جـ٥/ ٢٩٥٣)، وابن ماجه(جـ٢/ ٣٧٨٤) .

«القدوس» تبارك وتعالى

المعنى اللغوي:

وله معنيان في اللغة:

الأول- أن «القدوس» فعول من القدس وهو الطهارة، و«القَدَس» بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز؛ لأنه يُتقدس منه: أي يتُطهر منه.

وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

قال الزجاج: «معنى «نقدس لك» أي: نطهر أنفسنا لك».

ولهذا قال: «بيت المقدس» أي: البيت المطهر، أو المكان الذي يُتَطَهَّر به من الذنوب.

وقال الفراء: «الأرض المقدسة الطاهرة، وهي دمشق وفلسطين وبعض الأردن، و«روحِ القدس» هو جبريل عليه السلام معناه روح الطهارة، أي: خُلِقَ من الطهارة.

وقيل: لأنه ينزل بالقُدْس من الله، أي: بما يُطَهِّرُ به نفوسنا وهو القرآن، والحكمة، والفيض الإلهي.

المعنى الثاني- أنَّ القدس: هي البركة، والأرض المقدسة أي: المباركة، وهو قول قتادة، وإليه ذهب ابن الأعرابي، ويقويه أن الله تعالى قد بيَّن أن الأرض المقدسة مباركة، وذلك في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١]، وهي الأرض المقدسة.

«والقُدُّوس» على وزن: «فعول» بالضم من أبنية المبالغة(١).

---

(١) من كتاب «النهج الأسمى»، وقد عزاه إلى «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٢٣)، و«اللسان» (٥/ ٣٥٤٩)، و«أسماء الله الحسنى» (ص:٣٠)، «شأن الدعاء» (ص:٤٠).

الدليل الشرعي:

وقد ورد في القرآن والسُّنة، أما في القرآن فقد جاء في موضعين:

الأول- في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر:٢٣].

الثاني- في مطلع سورة الجمعة وهو قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة:١].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن القيم: «القدوس»: المنَزَّه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كلِّ عيب، المنَزَّه عمَّا لا يليق به(١).

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة:٣٠]، ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾، ننزهك ونبرؤك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك، ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾، ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهلُ الكفر بك»(٢) اهـ.

وقال البيهقي: «القدوس» هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفة يستحقها بذاته(٣).

وقال الغزالي: هو المنزه عن كل وصف يدركه حسٌّ، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضي به تفكير(٤).

(١) كتاب «الأسماء الحسنى» من مؤلفات ابن القيم (ص:١٠٣).
(٢) «جامع البيان» (١/ ١٦٧) من كتاب «النهج الأسمى» (ص١١٠).
(٣) «الاعتقاد» للبيهقي صـ(٥٤)، وانظر كذلك: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٢٣)، و«شرح أسماء الله الحسنى» للرازي(ص:١٨٦).
(٤) «المقصد الأسنى» (ص:٣٨).

وقال ابن كثير في معنى القدوس: أي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال[١].

وقال الآلوسي: «القدوس: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانًا أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به، أو الذي لا يحد ولا يتصور»[٢].

وقال ابن القيم في النونية:

هذا ومن أوصافه القدوس ذا الـ   تنزيه بالتعظيم للرحمن

من آثار الإيمان بالاسم الكريم

١- القدسية التامة لله من جميع الوجوه:

فهو القدوس في أسمائه وصفاته وأفعاله، فأسماؤه كلها حُسنى لا شرّ فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة وعزة لا خلل فيها، فإن الله تبارك وتعالى هو القدوس من كل النقائص والعيوب منزه عن كل الآفات، فمن ذلك على سبيل المثال:

أولاً- تقدّس أن يكون له شريك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البَقَرَة:٢٥٥]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

ثانيًا- تقدّس أن يكون له زوجة أو ولد:

أخبر تعالى عن الجن أنهم قالوا: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن:٣]

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٦٣).

(٢) «روح المعاني» (٢٨/ ٦٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة:١١٦].

ثالثًا- تقدّس عن الموت، والنوم:

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال النبي ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»(١).

رابعًا- تقدس عن الظلم:

قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا»(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]، وذلك مع قدرته على خلقه فهو خالقهم ومالكهم، ولذلك فقد ورد اسم«القدوس» مرتين في القرآن اقترن فيهما باسمه الملك جل جلاله.

خامسًا- تقدّس عن الكذب:

فقوله الصدق وخبره الحق، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

سادسًا- تقدّس عن الضلال والنسيان:

أخبر تعالى عن نبيه موسى أنه قال: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢].

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٥)، ومسلم (١/ ١٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم(جـ٤- البر والصلة/ ٥٥)، (جـ:٤) (ص١٩٩٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠)، والحاكم (جـ:٤) (ص:٢٤١)، والبيهقي(جـ:٦) (ص:٩٣).

سابعًا: تقدّس عن الفقر والبخل جل جلاله وتقدست أسماؤه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

و قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، و قال النبي ﷺ: «يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سَحَّاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده»[(١)].

ثامنًا: تقدّس عن الفناء:

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

تاسعًا: تقدّس عن الشبيه والمثيل:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلم يُقدِّس الله من شبهه بخلقه أو نفى عنه أسماءه وصفاته فكلاهما على ضلال مبين.

ولو استقصينا أوجه التقديس لله عَزَّ وَجَلَّ ما استطعنا أبدًا ولا أحصيناها؛ لأنها لا نهاية لها وقال النبي ﷺ: «لا أُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك»[(٢)].

٢- ليس كمثله شيء في قدسيته:

فسبحان الله الملك القدوس عن كل نقص وعيب، ومن قدسيته أنه ليس كمثله شيءٌ فيها؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «لما خلقت بيدي» (رقم الحديث ٧٤١١) (١٣/ ٣٩٣) مع الفتح.

(٢) رواه مسلم «كتاب الصلاة» باب ما يقال في الركوع والسجود.

أولاً- قدسية الله تامة وكاملة، وقدسية الخلق ناقصة:

فإن قدسية الخلق وطهارتهم إنما تكون في حالٍ دون حال، وفي جهة دون أخرى، وعلى كل حال، ومهما بلغت درجة كمال المخلوق، فهي قدسية تناسب المخلوق الضعيف الناقص؛ فقد يتطهر العبد وقت العبادة في الصلاة أو غيرها ولكنه لا يملك هذا في جماعه لزوجته أو حال قضائه لحاجته، وقد يطهر نفسه بالطاعة والعبادة ولكنه يتدنس مرة أخرى بالمعصية والذنوب، ومن ذلك قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون**»(١).

وقد يقدس العبد نفسه بألا يذلها للناس ويتعفف عما في أيديهم، ولكنه سيظل دائمًا أبدًا محتاجًا إلى الله، فقيرًا لغناه ذليلًا لعزته.

أما الله - جل جلاله - فهو القدوس من جميع الوجوه، منزه عن كل نقص من جميع الجهات مُبرأ من كل عيبٍ.

ثانيًا- قدسية الله دائمة، وقدسية الخلق مؤقتة:

فقدسية الخلق لها بداية ولها نهاية فوجودهم سبقه العدم، ويلحقه الفناء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقَالَ تَعَالَىٰ لنبيه زكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩].

فقد سبق قدسية الخلق عدمُهم، وقد كان قبل كمالهم نقصُهم ويلحق بكل ذلك فناؤهم فقدسية الخلق محدودة بالوقت والحال.

فعن بسر بن جحاش القرشي أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزق يومًا في كفه فوضع عليها إصْبَعه ثم قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «**يا ابن آدم، أنَّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل**

---

(١) حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» [٢٣٤١].

هذه حتى إذا سويتك وعَدَلْتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التَّراقي قلت: أتصدق وأنَّى أوانُ الصدقة»(١).

ويُروَى أن أحد الملوك كان ماشيًا في موكبه فرأى رجلًا جالسًا تحت شجرة، فلما مرَّ عليه لم يقم الرجل ولم يعظمه، فقال له: «أو لا تعرفني؟»، قال: «بل أعرفك»، «أوَّلُك نطفة قذرة، وآخرك جيفة مزرة، وأنت بين ذلك تحمل في بطنك العذرة(٢)».

أمَّا قدسية الله – جل جلاله – فهي قدسية دائمة فلم يسبق وجودها عدم، ولا دنس ولا يلحقها نقص ولا خلل، وليس لها نهاية ولا فناء.

ثالثًا- التقديس الحق لله - تبارك وتعالى - يكون بشرعه:

كما قال تعالى عن الملائكة في قولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فالتقديس لله وتقديس الله بمعنى واحد، وأفضل ما يمكن تقديس الله به هو عبادته بما جاء في شرعه من كتاب وسنة رسوله بالعقائد الصحيحة، والأقوال الطيبة والأعمال الصالحة، وهذا ما ارتضاه الله لنفسه من خلقه، ومن ذلك:

أولاً- تقديس الله بالتوحيد والإيمان الصحيح:

فأعظم ما يُقَدِّس العبادُ به ربهم هو الإيمان والتوحيد ونفي الشركاء عنه والأنداد وتنزيهه عن كل نقص وعيب نسبه إليه الكافرون والمشركون؛ لذلك حين سُئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنوب قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**»(٣)؛ ولأن الشرك

---

(١) حسن: «المسند» (٤/ ٢١٠)، وأخرجه من أربعة طرق عن حريز عن ابن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش القرشي به، وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٢٧٠٧)، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح»، **والوئيد**: صوت شدة الوطء على الأرض، **والتراقي**: عظام بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) **العذرة**: أي البراز.

(٣) رواه البخاري، وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه.

هو أعظم السبِّ لله جل جلاله وتقدست أسماؤه فقد قال تعالى في الحديث القدسي: «**كذَّبني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشَتَمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبُهُ إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أوَّلُ الخلقِ بأهونَ عليَّ من إعادتهِ، وأما شَتْمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد**»[(١)].

ومن أجل ذلك كان أعظم الأعمال وأفضلها هو الإيمان بالله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**إيمانٌ بالله ورسوله...**»[(٢)].

ثانيًا- تقديس الله بالقلوب:

فإن الله ينظر إلى القلوب فلا بد من تطهيرها لتليق بنظر الله إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صُوَركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[(٣)].

وفي رواية لمسلم أيضًا زاد فيها: «...**وأعمالكم**».

فمن ذلك حسنُ الظن بالله تعالى وحبُّه وخشيتُه والتوكل عليه وحب النبي صلى الله عليه وسلم وحب المؤمنين في الله تبارك وتعالى، وتطهير القلوب من النفاق والرياء والشهوات المحرمة؛ ليسلم القلب لتقديس الله عَزَّ وَجَلَّ، فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٩٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٧٧) مع «الفتح» كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، رقم الحديث [٢٦].

(٣) رواه مسلم.

ثالثًا- تقديس الله بالأعمال:

كالطهارة: وهي تقديس البدن ليليق بعبادة الله وتلاوة كلامه المقدَّس والوقوف بين يديه في الصلاة.

والصلاة: فإن العبد يقدس الله فيها بالتسبيح والتكبير والتعظيم، وكذلك بالركوع والسجود؛ ولذلك فإن الصلاة تطهر العبد من دنس المعاصي والذنوب من جهتين:

الأولى- أنها سبب لطهارته من ذنوبه السابقة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟»**، قالوا: **«لا يبقى من درنه شيء»**، قال: **«فذاك مَثَل الصلواتِ الخمسِ يمحو الله بهنَّ الخطايا»**[1].

الثانية- النهي عن الخبائث فيما يعرض له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والزكاة: بأن يطيب ما ينفق في سبيل الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا»**[2].

وهي كذلك تطهير للنفس من الخبائث، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تطيب الصدقة وتعطرها قبل أن تعطيها السائل وتقول: «إنها لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل».

---

(١) متفق عليه، والدرن: الوَسَخ.

(٢) رواه مسلم.

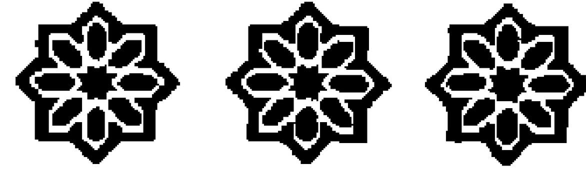
دعاء الله باسمه القدوس:

١- فقد كان النبيُّ ﷺ يذكر الله بهذا الاسم في ركوعه وسجوده، وهو دعاء ثناء وحمد.

فعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوح قدوسٌ رب الملائكة والروح**»(١).

٢- ذكر الله وتسبيحه به بعد الوتر:

فقد كان النبيُّ ﷺ يسبح الله به بعد فراغه من صلاة الوتر كما جاء في حديث أُبي بن كعب قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، فإذا سلم قال: «**سبحان الملك القدوس**» ثلاث مرات»(٢).



(١) أخرجه مسلم [٤٨٧] «كتاب الصلاة»، باب ما يقول في الركوع والسجود.

(٢) إسناده صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٢٣)، وأبو داود [١٤٣٠]، والنسائي في الوتر (٣/ ٢٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٩٧٦٢] عن طلحة الأيامي عن زر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب مرفوعًا به.

«الغَنِيُّ» جل جلاله وتقدست أسماؤه

المعنى اللغوي:

الغنيُّ في كلام العرب الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك الله ليس بمحتاج إلى أحـدٍ جـلَّ وتعـالى عـن ذلـك علـوًّا كبـيرًا، كـما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[1] [العنكبوت: ٦].

وقال الراغب الأصفهاني: «الغِنَى يقال على ضُروب»:

أحدها- عدم الحاجات، وليس ذلك إلا لله تعالى وهو المذكور في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤].

الثاني- قلة الحاجات؛ وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨].

الثالث- كثرة القنيات؛ كما جاء في قوله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦].

الرابع- وقد يعني عدم الاحتياج إلى ما عند الناس فلا يفتقر إليهم فيتعفف عما عندهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

وكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْس**»[2].

وكما قال الشاعر:

العيش لا عيش إلا ما قنعت به　　　قد يَكْثُرُ المالُ والإنسانُ مُفْتَقِر

---

(١) «اشتقاق الأسماء» (ص: ١١٧).

(٢) أخرجه البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [١٠٥١]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الخامس- قد يعني «الكفاية» يقال: «أغناني كذا، وأغنى عنه كذا إذا كفاه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴾ [الحاقة:٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران:١٠].

وقيل: «تَغَنَّى» بمعنى استغنى، وحُمِل قوله ﷺ: «ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن»[١]، على ذلك[٢].

الدليل الشرعي:

ورد الاسم في ثمان عشرة آية من كتاب الله؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام:١٣٣]، وقوله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٤٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر:١٥].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن كثير: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الأنعام:١٣٣]، «وربك يا محمد»، الغنيُّ: أي عن جميع خلقه من جميع الوجوه وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم[٣].

وقال أيضًا: «غَنِيٌّ عمَّا سواه وكلُّ شيءٍ فقير إليه»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري [٧٥٢٧] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وانظر: «صفة صلاة النبي» ﷺ للألباني (ص:١٠٦، ١٠٧).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٥١٥- ٥١٦) بتصرف (مختصرًا).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٧١).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٢٣).

وقال ابن جرير في قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، واعلموا أيها الناس أن الله عَزَّ وَجَلَّ غنيٌّ عن صدقاتكم وعن غيرها، وإنما أمركم بها وفرَضَها في أموالكم رحمةً منه لكم؛ ليُغْنِي بها عَائِلكم ويقوي بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم لا من حاجة به فيها إليكم[(١)].

وقال الزجاج: وهو «الغَنِيُّ» المُسْتَغْنِي عن الخلق بقدرته وعز سلطانه والخلق فقراء إلى تَطَوُّلِهِ وإحسانه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨][(٢)].

وقال الزجاجي: «الغني في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك الله ليس بمحتاج إلى أحد، جلّ وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فالله عَزَّ وَجَلَّ ليس بمحتاج إلى أحد فيما خلق ويخلق ودبَّر ويُدبِّر، ويُعْطِي ويَرْزُق، ويَقْضِي ويُمْضِي لا رادَّ لأمْرِه وهو على ما يَشاءُ قدير[(٣)].

وقال الخطابيُّ: «الغَنِيُّ» هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، كما وصف نفسه تعالى فقال عزّ من قائل: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو الغني بذاته فغناه ذا … تيٌّ له كالجود والإحسان

---

(١) «جامع البيان» (٣/ ٥٨).

(٢) «تفسير الأسماء» (ص: ٦٣).

(٣) «اشتقاق الأسماء» (ص: ١١٧).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أولاً- لا يوصف بالغنى المطلق إلا الله:

فإن الله غني بذاته عن كل ما سواه، **قال البيهقي**: «الغَني هو الذي لا تَعَلُّق له بغيره لا في ذاته، ولا في صفاته، بل يكون مُنَزَّهًا عن العلاقة مع الأغيار، ومن علامات ذلك الغني:

١- أن الله عَزَّ وَجَلَّ «غني عن الطعام والشراب»، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

٢- «وهو غني عن الزوجة والولد»، وهذا يعني الوحدانية المطلقة ليس كما يَسُبُّه الكفارُ أصحاب عقيدة التثليث؛ فإن الحاجة إلى الزوجة والولد ضعف وافتقار، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس: ٦٨].

٣- «غني عن خلقه»، فما خلق الله الخلقَ ليستأنس بهم من وحشة، ولا ليستكثر بهم من قلة، ولا لينصروه على عَدُو؛ ولكن خلقهم ليذكروه كثيرًا ويعبدوه طويلًا ويسبحوه بكرة وأصيلًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

فإن الله جل جلاله غنيٌ عن العلائق والروابط والصلات، فصِلاتُه بخلقه صِلاَتُ ربٍ رزَّاق لعباد محتاجين، وصلته بهم صلة عطاء وتفضل بعد خلق وإيجاد، أما صلة الخلق به سبحانه صلة أخذٍ من رزقه وانتفاع بما عنده، فالعبد يدعو والله يجيب، والخلق يحتاجون والرزَّاق يعطيهم، والعباد يفتقرون والغنيُّ يغنيهم، وإذا قدَّموا شيئًا من أموالهم فإنما هم الذين ينتفعون به ويجازيهم بأضعاف ما عملوا ويزيدهم من فضله،

وانظر إلى أجمل حديث يعبِّر عن هذا المعنى، قَالَ اللهُ تَعَالَى في الحديث القدسي: «...يا عبادي، كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائعٌ إلا من أطعمته فاستطعموني أُطْعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أَكْسُكم. يا عبادي، إنكم تُخْطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ولن تبلغوا نَفْعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقصَ ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُحْصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»(١).

٤- «وغني عن عبادة خلقه»: فهو غني عن إيمانهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]. وغنيٌّ عن شكرهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. «وغني عن جهادهم»؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

ثانيًا- أنتم الفقراء إلى الله:

فالرب سبحانه غنيٌّ بذاته، والعبد فقير بذاته، محتاج إلى ربه، لا غنى له عنه، ولو طرفة عين. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن الله هو الغني المطلق، والخلق فقراء محتاجون إليه،

(١) أخرجه مسلم [٢٥٧٧] من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وانظر «جامع العلوم والحكم» الحديث [٢٤].

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، بيَّن سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمرٌ ذاتيٌ لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًا حميدًا ذاتي له، فغناه وحمده ثابتٌ له لذاته، لا لأمرٍ أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يُعلَّل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه.

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلَّة، وكل ما يُذكر ويُقدر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة لا عِلَلٌ لذلك، إذ ما بالذات لا يُعلل، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته.

وفقر العالم إلى الله سبحانه أمر ذاتي لا يُعلَّلُ فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته. فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيًا، كما أنه يستحيل أن يكون العبدُ إلا عبدًا، والربُّ إلا ربًا. وقد قيل: من استغنى عن الله طرفة عين كفر.

ثالثًا- فقر العباد إلى ربهم فقران:

مما سبق عُرف أن فقر العباد إلى ربهم فقران:

الأول- فقرٌ اضطراري، وهو فقرٌ عام لا خروج لبرٍ ولا فاجرٍ عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحًا ولا ذمًا، ولا ثوابًا ولا عقابًا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقًا، ومصنوعًا.

الفقر الثاني- فقر اختياري، وهو فقر الخشية والطاعة وذلة العبودية، وهو نتيجة علمين شريفين؛ أحدهما: معرفة العبد لربه، والثاني: معرفته بنفسه، فمتى حصلت له

هاتان المعرفتان أنتجتا فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغني المطلق، عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة، عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعِزِّ التام، عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة التامة، عرف نفسه بالجهل.

فإن الله تعالى قد أخرج العبد من بطن أمه ضعيفًا مسكينًا، جاهلًا، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨]، سخر الله له ما في البر والبحر مما يصلحه ويعينه على أمر دينه ودنياه، فلما شعر بأن له قدرة على السعي، واستطاعة على التدبير ظن المسكين أن له نصيبًا من الملك، وادَّعى لنفسه مُلكًا مع الله سبحانه، ورأى نفسه غير هذا الضعف الأول الذي كان عليه، ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة؛ حتى كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأن ذلك شخص غيره.

كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي أن النبي ﷺ بزق يومًا في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: «**قال الله: ابن آدمَ، أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتُك وعدَلْتُك مشيتَ بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قُلت: «أتصدق، وأنى أوانُ التَّصَدُّق**»(١).

ومن هنا خُذِلَ من خذل، ووفِّقَ مَنْ وفِّق، فحجب المخذول عن حقيقته ونسي نفسه، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠)، والحاكم (٢/ ٥٠٢)، وصححه الحاكم.

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦-٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠].

فأكمل الخلق أكملهم عبودية، وأعظمهم شهودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين.

وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس افتقارًا إلى ربه، وكان من دعائه: **«اللهم رحمَتَك أرجو، فلا تَكِلني إلى نفسي طَرْفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت»**(١). وقد كان يعلم أن قلبه الذي بين جنبيه بين أصبعين من أصابع الرحمن عَزَّ وَجَلَّ لا يملك منه شيئًا، وأن الله سبحانه يُصرِّفه كما يشاء، وكان يدعو: **«يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قَلْبي على دينِك»**(٢)، ولما عرض عليه الملكُ والعبودية اختار أن يكون فقيرًا لربه، وعبدًا لمولاه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائشة، لو شئتُ لسارتْ معي جبال الذهب، جائني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة، فقال: إنَّ ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إنْ شئتَ نبيًا عبدًا، وإنْ شئتَ نبيًا ملكًا؟ فنظرت إلى جبريل** عليه السلام**، فأشار إليَّ أن ضَعْ نفسك، قال: فقلت: نبيًا عبدًا»**، قالت: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئًا يقول: **«آكل كما يأكل العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ»**(٣). فأصبح بهذا النوع من الافتقار سيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وأول

(١) أخرجه أحمد(٥/ ٤٢) والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٠١] وأبو داود [٥٠٩٠] وابن حبان [٩٧٠] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطيالسي [١٧١٣] وأحمد (٣/ ١١٢)، (٦/ ٣١٥)، والترمذي (٢١٤٠/ ٢٢/ ٣٥٢٢) من حديث أنس وأم سلمة رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو يعلى [٤٩٢٠]، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٤٧-٢٤٨)، وقال الهيثمي في

من تفتح له الجنة، وصاحب المقام المحمود، وأسري به في السماوات السبع؛ لأنه كان كامل العبودية، وكامل الافتقار لربه، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، واستحق أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ففي حديث الشفاعة: إن المسيح يقول لهم: «**ائتوا محمدًا عبدًا غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر**»(١).

رابعًا- ليس كمثله شيء في غناه:

أولًا- كثرة ما عند الله: قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة: ١٢٠]. **قال ابن كثير في هذه الآية:** «أي: هو الخالق للأشياء المالك لها المتصرف فيها القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت قهره، وقدرته وفي مشيئته، فلا نظير له ولا وزير، ولا عديل ولا والد، ولا صاحبة، ولا إله غيره ولا رب سواه»(٢).

ثانيًا- غناه دائم: فما من مخلوق أصبح غنيًا إلا بعد فقر أو تكون عاقبته إلى فقر أو يفنى المال وصاحبه، أما الله - جل جلاله - فغناه دائم لا يفنى أبدًا، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ثالثًا- غناه ذاتي: أي أن غنى الله في ذاته وليس فيما يراه الناس من الملك في السماوات والأرض فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ولكن غنى الخلق إنما يكون بما يمتلكون من ثروات وأموال، فكل من وصف بالغنى من الخلق فإنما يحتاج

=«المجمع» (٩/ ١٩): إسناده حسن، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٣١)، وأبو يعلى [٦١٠٥] وابن حبان [٦٣٦٥] والبغوي (١٣/ ٢٤٨-٢٤٩)، من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(١) أخرجه البخاري (جـ١٣/ ٧٤٤٠)، وأحمد (ص:٣/ ١١٦-٢٤٢) والطيالسي [٢٠١٠].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١١٧).

إلى ما يملك، وأما الله جل جلاله فإنما يحتاج كل ملكه وكل خلقه إليه، فلا يحتاج الله إلى العرش ولا حملته ولا الكرسي وعظمته، ولا يحتاج إلى ميكائيل ليرزق الخلق، ولا إلى جبريل لتبليغ رسالته، بل كل هؤلاء وغيرهم من خلق الله يحتاجون إليه من كل الوجوه وهو غني عنهم من كل الوجوه.

ولله درُّ القائل:

غنيت بلا مال عن الخلق كلهم وإن الغنى الغالي عن الشيء لا به

رابعًا- غناه مطلق:

فإن الخلق يحتاجون إلى ما تقوم به أبدانهم وأرواحهم، وهذا يجعلهم فقراء إلى رزق الله من كل الوجوه، فإنهم فقراء إلى الطعام وإلى الشراب، والنفس والروح والسعادة والزوجة والولد، والسمع والبصر، وهذا فقرٌ مطلق إلى الله الذي بيده هذه النعم وغيرها مما لا غنى عنه للخلق، أما الله - جل جلاله - فغنيٌ عن ذلك كله، بل وعن كل ما سواه تبارك وتعالى؛ لذلك فإن غنى الله غنى مطلق وكل العباد فقرهم إلى الله فقر مطلق.

خامسًا: وأنه هو أغنى وأقنى:

من أسباب الغنى:

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فإن الغنى والعطاء بيد من له ملك الأرض والسماء، فلا يغتني أحدٌ إلا بإذنه، ولا يُرزق أحد إلا من عطائه، وقد جعل الله لرزقه أسبابًا يُغني بها من أراد من عباده، فمن هذه الأسباب:

١- المتفرغ للعبادة:

قال تعالى في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ**»(١)، وفي رواية قال: «يا ابن آدم، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم، لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا وأملأ يديك شغلًا»(٢).

٢- من نزلت به فاقة فأنزلها بالله:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسدَّ فاقته(٣)، ومن أنزلها بالله فيوشك(٤) اللهُ له برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ**»(٥).

ولله درُّ القائل:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدم حاجةً ... وسلْ الذي أبوابُه لا تحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ ... وبُنَيُّ آدمَ حين يسألُ يغضبُ

٣- المتابعة بين الحج والعمرة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تابعوا بين الحجِّ والعُمْرة، فإنهما يَنْفيان الفقرَ والذنوبَ كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحَديد**»(٦).

---

(١) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (جـ١٦/ ٨٦٨١)، والترمذي (جـ٤/ ٢٤٦٦) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال...

(٢) صحيح لغيره: أخرجه الحاكم (جـ٤/ ص٣٢٦)، والطبراني (جـ٢٠/ ٥٠٠) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٣) الفاقة: الحاجة والفقر.

(٤) يوشك: أي يسرعُ.

(٥) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٦) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧) والترمذي [٨١٠] من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه، وانظر: «صحيح جامع الترمذي» (٦٥٠).

٤- تقوى الله عزّ وجلّ:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

٥- الاستغفار:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن لَزِم الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كل ضيقٍ مخرجًا، ومن كل همٍ فرجًا، ورزَقه من حيث لا يحتسب»**(١).

٦- إرادة الزواج تعففًا:

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ الْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢]، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **«أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى»**(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **«التمسوا الغنى في النكاح»**(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ثلاثةٌ حقٌّ على الله عَوْنُهم: النَّاكِح يُريد العفَاف، والمكاتبُ يريد الأداء، والغازي في سبيل الله»**(٤).

---

(١) رواه أبو داود، وقال الشيخ الألباني: لكن فيه مجهول كما بينته في «الضعيفة» (٧٠٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٧- الاستغناء بالله عن الخلق:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «... **مَن يستعفف يعفَّه الله، ومَن يستغنِ يُغْنه الله**»(١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس الغِنَى عن كثرة العرض، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفس**»(٢).

وقد أحسن من قال: «ما أجمل إحسان الأغنياء إلى الفقراء؛ رجاءً لثواب الله، وأحسن منه تيهُ الفقراء على الأغنياء ثقة فيما عند الله».

٨- صلة الرحم:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٣).

٩- الزكاة والصدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: أَنفِق أُنفِق عليك**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما فَتَح رجلٌ بابَ عطيةٍ بصدقةٍ أو صلةٍ إلا زاده الله تعالى بها كثرة، وما فَتَح رجلٌ بابَ مسألةٍ يريد منها كثرة إلا زاده الله تعالى بها قلة**»(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه، ومعنى «ينسأ له في أثره» أي: يؤخر له في أجله وعمره.

(٤) رواه أحمد في مسنده، والبخاري ومسلم.

(٥) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٥٢٢].

١٠- من كان همه الآخرة:

قال النبي ﷺ : «**من كانت الآخرةُ نِيَّته، جَمع اللهُ له أمره، وجعل غِنَاه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة...**»(١).

وكان أصحاب النبي ﷺ ينصح بعضهم بعضًا بثلاثة أمور، فيقولون: «**مَن أَصْلح ما بينه وبين الله أَصْلح اللهُ الذي بينه وبين الناس، ومن أَصْلح سَرِيرته أَصْلح الله علانيته، ومن اهتمَّ بآخِرَته كَفَاه الله أمرَ دنياه**».

١١- الدعاء:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: «**إذا بقي ثلث الليل ينزل الله عَزَّ وَجَلَّ إلى سماء الدنيا، فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه؟ من ذا الذي يستكشف الضرَّ أكشفه**»(٢).

وعن سلمان رضي الله عنه قال لما خلق الله آدم عليه السلام قال: «واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي: تعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك: فما عملت من شيءٍ جزيتك به، وأنا أغفر وأنا غفور رحيم، وأما التي بيني وبينك: منك المسألة والدعاء، وعليَّ الإجابة والعطاء»(٣).

من أسباب الفقر... «وهؤلاء يفقرهم الله»:

١- المعصية:

جاء في «الأثر»: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣/ ٥٢٤-٥٢٥)، وابن حبان [٧٢] عن زيد بن ثابت، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» [٩٥٠].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد في «الزهد» (ص:٤٧).

وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ روحَ القُدُس نَفَث في رُوعي أنَّ نفسًا لن تموت حتى تستكملَ أَجَلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأَجْملوا في الطَّلب ولا يحملنَّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»(١).

٢- سؤال الناس:

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ أقسم عليها وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: ما نقص مالُ عبد من صدقة ولا ظُلم عبدٌ مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عِزًا، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله عليه بابَ فقر...»(٢).

وقال ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»(٣).

٣- الربا:

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

قال ابن كثير: «يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا؛ أي: يُذهبه، إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»(٤)»(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن أبي أمامة، «صحيح الجامع» [٢٠٨٥].
(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح، عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري، رضي الله عنه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) رواه أحمد واللفظ له (١/ ٣٩٥) وابن ماجه [٢٢٧٩]، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» [١٨٤٨].
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٠).

٤- الكذب:

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«البيّعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحِقَتْ بركةُ بيعهما»**(١).

٥- الحلف في البيع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«الحلفُ مَنْفقةٌ للسلعة، مَمْحَقة للكسب»**(٢).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«إياكم وكثرةَ الحلف في البيع: فإنه يُنَفِّقُ ثم يَمْحَقُ»**(٣).

٦- مانع الزكاة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لم يمنع قومٌ زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائمُ لم يمطروا»**(٤).

٧- ترك الحكم بما أنزل الله: «وخمس بخمس»:

فإن من فعل ذلك فقد خالف الغني في حكمه فأفقرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«خمس بخمسٍ: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقرُ، ولا ظهرت فيهم**

---

(١) متفق عليه: مُحقت أي: ذهبت ولم يحصلا إلا على التعب.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٠٨٠]، و«الصحيحة» رقم [١٠٦].

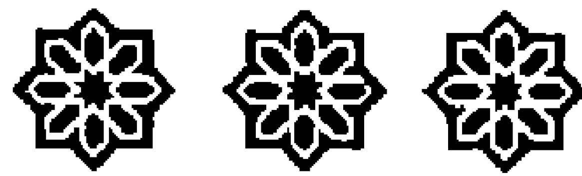
الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، واخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القَطْر»(١).

٨- السخط والقنوط:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إن من ضعف اليقين إرضاء الناس بسخط الله، وحمدهم على رزق الله، وذمهم على قدر الله وجلب الرزق بمعصية الله؛ فإن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا تدفعه كراهية كاره، وإن الله برحمته جعل الروح في الرضى واليقين، وجعل الفقر في السخط والقنوط».

٩- من كانت الدنيا همه:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»**(٢).



(١) حسن، رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٢٣٥].

(٢) تقدم تخريجه.

«الوهَّاب» تبارك وتعالى

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكـــذلك الوهـــابُ مـــن أسمائـــه فـــانظر مواهبَـــه مـــدى الزمـــانِ

أهـــل الـــسماوات العُلـــى والأرضِ عـــن تلـــك المواهـــب لـــيس ينفكـــانِ

المعنى اللغوي:

الواهب: الكثير الهبة والعطية، والوهـاب عـلى وزن الفعـال للمبالغـة، فـالله عَـزَّ وَجَلَّ هو الوهَّاب يهبُ بغير عوض ولا غرضٍ وبغير قدرة من الموهوب على كسبها ولا تكون هبة إلا بهذين الركنين:

١- التملك. ٢- بلا عوض[(١)].

الدليل الشرعي:

ورد اسم «الوهاب» - تبارك وتعالى - في كتاب الله سبحانه وتعالى ثـلاث مـرات وهي:

الأولى- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

الثانية- قال جل جلاله: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥].

(١) «الأسنى» للقرطبي.

معنى الاسم في حق الله جل جلاله:

قيل: «الوهَّاب» هو الذي يهب العطاء دون عوض ويمنحُ الفضل بغير غرض.

قال الخطابي: «الوهَّاب» هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة؛ أي من غير طلب للثواب من أحد.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فانظر إلى هباته سبحانه وبحمده، تتابعت نعمه، وفاض كرمه، وزاد بره، وكثر خيره.

«يغفر ذنبًا، ويُفرج كربًا، ويجبر كسيرًا، ويغني فقيرًا، ويشفي سقيمًا، ويخصب عقيمًا، ويعلم جاهلًا، ويهدي ضالًا، ويرشد حيرانًا، ويغيث لهفانًا، ويفك عانيًا، ويكسو عاريًا، ويسلي صابرًا، ويزيد شاكرًا، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، ويعطي محرومًا، وينصر مظلومًا، ويقصم ظالمًا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويزيل لوعة».

وكل ذلك في غير استحقاق من عباده ولا حق لهم عليه.

ولله درُّ القائل:

ما للعباد عليه حقٌّ واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائعُ

إن نُعِّموا فبفضله أو عُذِّبوا ... فبعَدلِه وهو الكريمُ الواسعُ

لذلك قيل: «الوهَّاب» هو المتفضل بالعطايا الذي ينعم بها لا عن استحقاق عليه، بل هي محض تفضل منه، وما دفع أحدٌ من خلقه ثمنًا لها ولا كافأه عليها تبارك وتعالى، وقيل أيضًا: «الوهَّاب» هو الذي يجود بجزيل العطاء والنوال كثير المنِّ والأفضال واللطف والإقبال، يعطي من غير سؤال، ولا يقطع فيما يحبه الآمال، وصدق من قال:

وهَّاب ما ترجو الخليقة من نعم سبحانه من رازق وهَّاب

والشاكرون من العباد يزيدهم نعمًا ويعطيهم بغير حساب

فانظر إلى هباته جل جلاله تحدثك عن خالقها، وواهبها بأفصح لغة، فتنطق بلسان حالها «قائلة»: إن الله – عَزَّ وَجَلَّ – هو الذي وهبها في حالها ومآلها، ولا وهَّاب لها غيره ولا رازق لها سواه.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ
حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)
أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ
أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

ولو استقصينا الأدلة التي تتحدث عن هبات الله – جل جلاله – في القرآن والسنة لا نكاد نحصيها كثرة وتعددًا وتنوعًا واختلافًا من كثرتها وتعددها واختلافها،

فما من مخلوق أعطي رزقًا إلا والله هو الذي أعطاه، وما من عبدٍ وُهب نعمة إلا والله هو الذي وهبه. كما في قوله تعالى حين سُئل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الله: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

فالولد الصالح أيضًا هبة:

قال تعالى عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقال – عَزَّ وَجَلَّ – عن نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

وقال جل وعلا عن نبيه زكريا: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقد يجمع الله عَزَّ وَجَلَّ لعبد من عباده كلا الهبتين من الذكور والإناث، كما في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

والزوجة الصالحة هبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال تعالى عن نبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الأهل هبة:

قال تعالى في نبيه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [ص: ٤٣]، الأخ الصالح هبة، قَالَ تَعَالَىٰ عن نبيه موسى حين أرسل معه أخاه هارون: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٣].

النبوة هبة:

قال - جل وعلا - عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١].

وأخبر عن نبيه إسحاق ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩].

الأخلاق الطيبة هبة:

فقد كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اهْدِني لأحسنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[(١)].

وقال عَزَّ وَجَلَّ عن هباته لبعض الأنبياء والرسل: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥٠].

من آثار الإيمان باسم الله «الوهَّاب» تبارك وتعالى

أولاً- أن «الوهَّاب» على الحقيقة هو الله وحده:

فإن كل من يهب شيئًا من الخلق إنما يهب من هبات الله له، فلابد أن يهبه الله ليهب، وأن يعطيه الله ليُعطي، وأن يرزقه الله ليرزق، أما الله فإنه يُطعِم ولا يُطعم وهو يجير ولا يُجار عليه، وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

ثانيًا- دعاء الله باسمه الوهَّاب:

وهذه ثمرة معرفة الله بهذا الاسم الطيب رجاؤه وسؤاله من هباته وواسع فضله سبحانه وبحمده، فمن نظر إلى واسع كرمه، وجليل نعمه طمع في رحمته. وخير من عرف الله هم الأنبياء الكرام عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه مسلم [٧٧١] من حديث علي رضي الله عنه في حديث طويل.

فانظر إلى نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - الحكم والصلاح، فيقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء: ٨٣].

وتأمل نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يسأل الملك فيقول: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص: ٣٥].

وانتبه إلى دعاء نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يسأل الولد فيقول: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران: ٣٨].

ثالثًا- العلم بأن الهبة ليست مجرد عطاء:

فإن العطاء لا يكون هبة حتى يكون مقرونًا بطاعة وخير وبركة في الدنيا والآخرة.

قال القاضي أبو بكر العربي: «ولا تكون الهبة منه سبحانه والعطاء إلا أن يتعلق بنوع ما يكون به منعمًا محسنًا وذلك بما لا ألَم فيه ولا ضرر فإذا كان ما يخلق ضررًا وألمًا لم تكن هبة».

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

فقد علَّم الله أولياءه كيف يسألونه الإنعام والإحسان على وجه لا يكون فيه مكر ولا استدراج، كما فعل بالكفار حين خلق لهم ومكنهم مما فيه ضررهم وهلكتهم «كالذي يرزق فيطغى» فالمرجو منه سبحانه هبة يكون مآلها كحالها، لا تنفصل ولا تتغير ولا يقترن بها ضررٌ ولا ألم.

وقد كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يسألون ربهم تبارك وتعالى الهبات المقرونة بالمغفرة، كما قال تعالى عن نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا ﴾ [ص: ٣٥].

ونبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يسأل مجرد الولد والذرية ولكنه سأل وليًا لله صالحًا؛ إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وسمعنا أن نبي الله يحيى كان كثير البكاء، فقال أبوه (نبي الله زكريا): يا رب! إن ابني كثير البكاء، فأوحى إليه أن هذا ما سألته، قال: سألت وليًا، فقيل له: كذلك الأولياء لا يجف دمعهم.

وقد وصف الله عباد الرحمن فكان من دعائهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يعنون من يعمل بطاعة الله فَتَقَرَّ به أعينهم في الدنيا والآخرة»[١].

فهم لا يسألون مجرد زوجة، بل يسألون الصالحة منهن وهذا ما يسعدهم، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك»**[٢].

ولا يسألون مجرد الولد والذرية، ولكنهم يسألون أولادًا عُبادًا زهادًا، صالحين قانتين، من الأبرار ليسوا من الفجار، علماء ليسوا من الجهلاء.

رابعًا- شكر الله على هباته:

من رأى هبات الله لا يسعه إلا أن يسبح بحمده تبارك وتعالى، كما قال خليل الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ حين وهبه الله ولديه إسماعيل وإسحاق: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»**[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١٣).

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢١٨]، وأبو داود [٤٨١١]، والترمذي [١٩٥٤]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤٠٢٦].

خامسًا- الزهد:

أيها الأحبة في الله، هل رأيتم هبة من هبات الدنيا قد بقيت لصاحبها؟ فليعلم كل من وهبه الله شيئًا من الدنيا أنه زائل عنه ولابد، فكما أخذه لابد أن يذهب عنه، فلا ينشغل بالخلق عن خالقه، ولا بالرزق عن رازقه، ولا ينشغل بالهبة عن واهبها تبارك وتعالى، ولا شغله الفاني عن الباقي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ (٢٦) وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]

سادسًا- الرضا:

الرضا إذا أُعطي والرضا إذا مُنع، إن أُعطي علم أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أعطاه برحمته، وإن مُنِع علم أن الله تبارك وتعالى قد منعه بحكمته، ولا يكون كعبد الدينار والدرهم، فإنه لا يرضى إلا للدنيا ولا يسخط إلا لها، فقد قال النبي ﷺ: «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطِي رضي، وإن لم يُعْطَ لم يَرْضَ**»(١).

سابعًا- الصبر:

الصبر عند المصيبة بضياع النعم والهبات: فقد يكون المنع هو عين العطاء، فإن ابتلاك الله بالحرمان من نعمة بأن صرفها عنك أو أخذها بعد أن وهبك إياها فلابد وأن هناك حكمة من ذلك، فاصبر لحكم ربك، وذلك لعدة أمور منها:

١- أن الله يحب الصابرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقرب الله أجمل من كل قريب، وحب الله أحلى من كل حبيب.

---

(١) رواه البخاري.

ولله در القائل:

لكـــل شـــيءٍ إذا فارقتـــه عـــوض   ولـــيس لله إن فارقـــت مـــن عـــوض

٢- لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو صاحب النعم، ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «أرسلَتْ بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم إن ابني قد احتُضِر فاشهدنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيءٍ عنده بأجل مُسمى فلتصبر ولتحتسب**»»(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فمن أعظم ما يُسلي العبد ويُصبره إرجاعه الأمر لصاحبه وتسليمه الملك لمالكه ويعلم أنه لا حق له في النعم، ولله أن يعطي ويمنع، ويقبض ويبسط ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «**أرأيت لو كان لك ولد فأدرك ورجوت خيره فمات أكنت تحتسب به؟**» قلت: نعم، قال: «**فأنت خلقته؟**» قال: بل الله خلقه، قال «**فأنت هديته؟**» قال: بل الله هداه، قال: «**فأنت ترزقه؟**» قال: بل الله كان يرزقه، قال: «**كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه، فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر**»(٢).

٣- أن الله يجزي الصابر على مصيبته، والمحتسب الأجر عليها بخير مما فقد منه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة**» حبيبتيه: أي عينيه(٣).

---

(١) متفق عليه، احتُضر أي: حضرته مقدمات الموت.

(٢) إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه النسائي في «الكبرى» [٩٠٢٧]، والبيهقي في «الشعب» [١١١٧١] من طريق أبي عامر بن عمرو بهذا الإسناد.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٠/ ٥٦٥٣)، والبيهقي (٣/ ٣٧٥).

ومن الأمثلة المشرقة بالصبر، والناطقة بالرضى والاحتساب وقت المصيبة ما فعلته أم سُليم رضي الله عنها حين مات ولدها فغسَّلته وكفنته وتزينت لزوجها حتى جامعها، فماذا كان جزاء هذا الصبر الجميل؟ هذا ما يجيبنا عليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما اتفق عليه الشيخان؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبِض الصبي، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان، فقربت له العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وارُوا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**» قال: نعم، قال: «**اللهم بارك لهما**» فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي النبي صلى الله عليه وسلم، وبعث معه بتمرات، فقال: «**أمعه شيء؟**» قال: نعم تمرات، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فِي (أي: فمه) الصبي، ثم حَنَّكه وسماه عبد الله.

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: «فرأيت تسعة أولاد قد قرأوا القرآن يعني: أولاد من عبد الله المولود».

وفي رواية لمسلم: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم (أي: أقرضهم شيئًا) أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت: فاحتسب ابنك.

الثالث- أن الله وإن ابتلى عبدًا بمصيبة فإنما يبتليه بشيء من المصائب، ولكنه يُعافيه في كثير من النعم ويُنزل عليه أيضًا كثيرًا من الأرزاق، فإذا تذكر العبدُ ما أنعم الله به عليه هان عليه ما أصابه من البلاء وأعانه ذلك على الصبر والرضى عن الله، ولقد

كان هذا هو حال السلف الصالح، وسنذكر منها مثلًا ينطق بالحب وينبض بالرضى عن الله في قضائه وقدره:

عروة بن الزبير بن العوام:

قطعت ساقُه ومات ولدهُ في يوم واحد، فلما جاءه الناس ليخففوا عنه ويواسوه، قال: إني والله لراضٍ عن ربي، فقد أعطاني الله أربعة من الولد فأخذ واحدًا وأبقى ثلاثة فالحمد لله، وأعطاني أربعة أطراف فأخذ واحدًا وأبقى ثلاثة، فالحمد لله.

ثامنًا- ليس كمثله شيء في هباته:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ هو «الوهَّاب» فلا يشبهه أحدٌ من مخلوقاته في هباته، وذلك من وجوه:

أولاً- لأنه خالق الهبات:

فما من أحد من خلق الله يهب هبة إلا وهو محتاج إلى شيء موجود مخلوق ليهبه، وما خلق هذه الهبات وغيرها إلا الله تبارك وتعالى، فالناس يهبون من هبات الله، والله يعطي من هباته هو ومِن صُنع يده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢].

ثانيًا- يهب بغير عوض ولا غرض:

فكل من يهب شيئًا لغيره من الخلق فإنما يهبه لغرض في نفسه، ومقابل يرجوه، ولو لم يوجد هذا الغرض وذلك المقابل للهبات لم يُتصور حدوث الهبة، فالرجل يعطي الهبة لولدٍ أنجبه أو امرأة يتزوجها أو صديق يحبه، ولو تصورنا أن هذه الروابط قد انفصلت أو انعدمت لم يتصور معها الهبات، فلو أن الولد عقَّ والده وهجره، أو أن المرأة طُلقت من زوجها وتزوجت بآخر، أو أن الصديق نقض عهده وخان وده، لم يُتصور وجود الهبات، حتى العطاء للفقراء والمساكين الذين لا يُرجى منهم عطاءٌ ولا

يتوقع منهم جزاءٌ فإنما يعطيهم من أجل غرض آخر؛ وهو النجاة يوم القيامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩].

أما الله عَزَّ وَجَلَّ فيهب بغير غرض ولا عوض، يهب تفضلًا منه وإحسانًا ولطفًا منه وبرًا، فكل المصلحة عائدة على العبد من هبات الله في الدنيا والآخرة، فمن ذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ أنزل المال لخلقه؛ ليعينهم به على عبادته ثم يجزيهم على تلك العبادة الجنة في الآخرة، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قال: إنا أنزلنا المال؛ لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»(١).

ثالثًا- كثرة هباته وعظمتها:

فإن الناس وإن وهبوا فتكون هباتهم قاصرة ضعيفة، فقد يهب الرجل مالًا أو نوالًا، ولكن هل يستطيع أن يهب شفاءً لسقيم، أو ولدًا لعقيم؟ لا يقدر على ذلك وغيره إلا الله وحده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر: ٢١].

رابعًا- الله عَزَّ وَجَلَّ هو الوهّاب على الحقيقة:

وكل الناس واهبون على المجاز أي لا يملكون العطاء إلا لمن أراد الله، فالوهاب في حقيقة الأمر وأصله هو الله، ولكن يجعل لذلك أسبابًا، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك**»(٢).

وحين جاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ قال لها: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾، وفي قراءة أخرى: (ليهب لك غلامًا زكيًا) أي: أن

(١) صحيح: أخرجه أحمد (ج:٥/ ص:٢١٨)، وصححه العراقي في «تخريج الإحياء» والألباني في «صحيحه».

(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

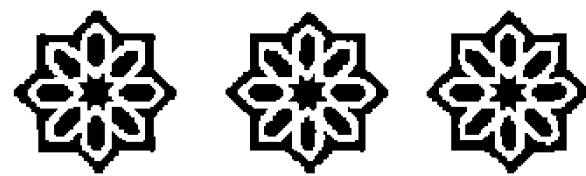
الوهاب على الحقيقة هو الله، ولكن جبريل هو الذي تجري الهبة على يديه فيكون واهبًا على المجاز.

خامسًا- عموم هباته وشمولها للخلق جميعًا:

فإن العبد إن وهب غيره فإن هباته تكون خاصة بشخص دون آخر أو بجماعة دون غيرهم، ولكن الله وهب خلقه جميعًا البر منهم والفاجر، المؤمن والكافر، فما من أحد إلا وهو يتقلب في نعمة وينعم في هباته، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠].

سادسًا- الحكمة في الهبة:

فإن الناس قد يهبون من لا يستحق أو من تضره الهبة، فيضروه من حيث أرادوا نفعه، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه حكيم فيما يهب ولمن يهب عليم بمن يستحق خبير بمن تصلحه الهبات ممن تفسده؛ ولذلك فإنه لا يملك الهبة والنفع بها إلا الله وحده، ولذلك فإنه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].



«العلي - الأعلى - المتعال» جل جلاله وتقدست أسماؤه

المعنى اللغوي:

يأتي العلُو في اللغة على أربعة معانٍ:

١ - علو كل شيء: ارتفاعه: ويقال: علا فلانٌ الجبل إذا رقيه ويعلو عُلُوًا.

٢ - القهر والغلبة: يقال: علا فلانٌ فلانًا إذا قهره، وعلوت الرجل غلبتُه، ومن قول العرب:

فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسرٍ وكاسرٍ

٣- رفعة الشأن وعُلو القدر: تقول العرب: على كعبه أي ارتفع شأنه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤]، والمعنى: هي الأشرفُ والأفضل بالإضافة إلى هذا العالم، وتعالى: أي ترفَّع.

٤- الكبر: كما قال تعالى في فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، وقال أيضًا: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]، وأيضًا كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٦].

ورود هذه الأسماء في القرآن الكريم:

ورد اسم الله «العليُّ» في ثمانية مواضع منها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

- وقوله تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

وأما اسم «الأعلى» فقد جاء في موضعين:

- في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]

- وأما «المتعال» فقد جاء مرة واحدة في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

معنى الأسماء في حق الله تعالى:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، فكل شيءٍ تحت قهره وسلطانه وعظمته لا إله إلا هو ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه تعالى وتقدس، وتنزه عَزَّ وَجَلَّ عما يقول الظالمون المعتدون علوًا كبيرًا.

فتعالى الله عما يقول الجهمية وأشباههم أن الله في كل مكان، وأنه أعلى وأسفل ووسط، ومع كل شيء، وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو، وهو من صفات المدح له بذلك، والتعظيم؛ لأنه من صفات الكمال كما مدح نفسه بأنه العظيم، والعليم، والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك وأنه الحي القيوم، ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى فلا يجوز أن يتصف بأضداد هذه الصفات».

فلا يجوز أن يوصف بضد الحياة والقيومية والعلم والقدرة مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب، ولا بضد العزة وهو الذل، ولا بضد الحكمة وهو السفه،

فكذلك لا يُوصف بضد العلو وهو السفول، ولا بضد العظيم وهو الحقير، بل هو سبحانه مُنزه عن هذه النقائض المنافية لصفات الكمال الثابتة له، فثبوت الكمال له ينفي اتصافه بأضدادها وهي النقائض.[١] اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هــذا ومــن توحيــدهم إثبــات أو ... صــاف الكمــال لربنــا الــرحمنِ

كعلــوِّه ســبحانه فــوق الــسمـ ... ـاوات العُلى بل فوق كل مكانِ

فهــو العلــيُّ بذاتــه ســبحانه ... إذ يــستحيل خــلافُ ذا ببيــانِ

وهو الذي حقًا على العرش استوى ... قــد قــام بالتــدبير للأكــوارِ

من آثار الإيمان بهذه الأسماء الكريمة

١- وجوب الإيمان بالعلو المطلق لله - تبارك وتعالى - من كل الوجوه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهــو العلــي فكــل أنــواع العلــ ... ــوِّ لــه فثابتــةٌ بــلا نكــرانِ[٢]

وقال السعدي «العليُّ الأعلى»: وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات وعلو القدر والصفات، وعلو القهر والكبرياء، فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى.[٣] اهـ.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٩٧-٩٨).
(٢) «النونية» (٢/ ٢١٣-٢١٤).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠).

إذن فجميع أنواع ومعاني العلوم ثابتة له - سبحانه وتعالى - دون أن نعطل أو نؤول شيئًا منها، ومن أنواع العلو لله - جل جلاله - ما يلي:

أولًا- إن الله هو العلي في ذاته(١):

فقد قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأخبر تعالى أن الأعمال الصالحة والكلام الطيب إليه يصعدان، قال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥].

قال ابن كثير في تلك الآية: يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم على جميع مخلوقاته(٢).

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في («العقيدة المشهورة عنه»): «طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه، فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه»(٣).

---

(١) فقد تضمنت هذه الأشياء إثبات علو ذات ربنا سبحانه وأنه على كل شيء وفوق كل شيء ولا شيء فوقه، بل هو فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وهو أعلم بنفسه.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٧٢).

(٣) «نقض تأسيس الجهمية» (٢/ ٣٨).

٢- ثبوت الإيمان لمن آمن بعلو الله تبارك وتعالى:

من غير تعطيل ولا تأويل، فها هو الرسول ﷺ يشهد بالإيمان لمن آمن بعلو الله.

فعن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله عنه قال: وكان لي جارية ترعى غنمًا لي قِبَل أحدٍ والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكني صككتُها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ قلتُ: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**»، فأتيته بها، فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].

قال أبو سعيد الدارمي: ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن، ولو كان عبدًا فأعتق لم يُجْزِ في رقبة مؤمنة إذ لا يعلم أن الله في السماء.[2] اهـ.

٣- التواضع وذم التعالي والتكبر:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من تواضع لله تخشعًا رفعه الله، ومن تكبر تجبرًا قسمه الله. وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تواضعًا لربه، فكان يقول: «**آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد**»[3].

وانظر إلى ذكائه ﷺ وكم كان ربانيًا، فعندما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: «**اجعلوها في ركوعكم**»، وعندما نزلت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٤٨)، ومسلم (١/ ٥٧٣).

(٢) «الرد على الجهمية» (ص:٣٩).

(٣) تقدم تخريجه.

«اجعلوها في سجودكم»(١)، فاختار للناس تعظيم الله في حال الخضوع وهو الركوع، وأمرهم في أعظم موقف تذل فيه جباههم وتغبر فيه وجوههم بأن يذكروا الله ويسبحوه باسمه الأعلى ليتذكروا ذلتهم لعزته وخضوعهم لقوته، فيكون ذلك سبب عزهم وهو أقرب المواقف للعبد من ربه، فقد قال النبي ﷺ: **«أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجِدٌ فأكثروا من الدعاء»**(٢).

٤- ما علا شيء من الدنيا إلا وُضع:

وما من طيرٍ طار وارتفع ... إلا كما طار وقع

عن أنس رضي الله عنه **قال:** كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق أو لا تكاد تُسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه النبي ﷺ فقال: **«حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه»**(٣).

وصدق من قال: الدنيا إذا حلت أوحلت، وإذا كست أوكست، وكم من ملكٍ له علامات، فلما علا مات.

أما التعالي الذي يعني التكبر ورغبة الترفع بالنفس عن الناس يجعل العبد جبارًا متكبرًا حتى يظن نفسه ندًا لله - جل جلاله - فيكون في ذلك هلاكه، كما قال فرعون لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤-٢٦].

---

(١) أخرجه الطيالسي [١٠٩٣]، وأحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود [٨٦٩]، وابن ماجه [٨٨٧]، وابن خزيمة (٦٠٠/ ٦٧٠)، وابن حبان [١٨٩٨]، والحاكم (١/ ٢٢٥) وصححه أيضًا الحاكم، وتعقبه الذهبي، وانظر: «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي (٧/ ١٧٦)، و«الإرواء» (٢/ ٤٠).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

والمتكبر الذي يريد التعالي على خلق الله إنما ينازع الله صفاته، وقد قَالَ تَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيءٍ منهما عذبتُه**»(١).

ما من يدٍ إلا ويد الله فوقها ولا ظالم إلا سيُبْلى بظالم

٥- الإخلاص:

فإذا علم العبد أن الله تعالى هو العلي الأعلى فوق خلقه فهو فوقهم قاهر، وعليهم قادر فلابد وأن يخشاه وحده، ويرجوه وحده ويطلب منه الثواب وحده، وقد وصف الله المخلصين بذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾

[الليل:١٩-٢٠]

٦- إن الله يحب معالي الأمور:

إن الله - تبارك وتعالى - هو العلي، ولذلك فهو يحب معالي الأمور في كل شيء كالتوحيد والجهاد وحسن الخلق... وهكذا.

وقد روي في بعض الحديث قال: «**إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**»(٢).

٧- «أولئك لهم الدرجات العُلى»:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يرفع ويخفض ولا يعلو أحدٌ إلا بطاعته، ولعلو الناس عند الله - تبارك وتعالى - أسباب.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدبُ المفرد» [٥٥٢].

(٢) عزاه الشيخ الألباني إلى ابن عساكر، والضياء في «المختارة» عن سعد تبعًا للسيوطي في «زوائد الجامع الصغير» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٢٣).

فمن أسباب العلو:

١- **الإيمان والعلم،** قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فإن الله يرفع بالعلم العبدَ المملوك حتى يجلسه مجالس الملوك، وقد جاء في الصحيح أن نافع بن الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان قد استعمله على أهل مكة فقال له عمر: «من استخلفت على أهل الوادي؟» قال: استخلفت عليهم ابن أبزي فقال: ومن ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: «**إنَّ الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويَضَع به آخرين**»(١).

قال إبراهيم الحربي: كان عطاء بن رباح عبدًا أسود لامرأة من مكة وكان أنفه باقلاه، قال: وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين على عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه إليهم، فقال سليمان لابنيه، قوما فقاما، فقال: يا بُنَيَّا لا تقصِّرا في طلب العلم فإني لا أنسى ذُلنا بين يدي هذا العبد الأسود.

وقال الحربي: وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخلة في بدنه وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس قومٍ إلا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك، فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرتعد حتى يقوم.

وقال عبد الله بن داود: سمعت سفيان الثوري يقول: إن هذا الحديث عِزٌّ فمن أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها.

---

(١) رواه مسلم (٦/ ٩٨) «صلاة المسافرين».

قال سفيان بن عيينة: أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وصدق القائل:

مـا الفـضلُ إلا لأهـلِ العلـمِ إنهـمُ ... علـى الهـدى لمـن اسْـتَهدى أدلاءُ

وقدرُ كلِّ امريءٍ ما كان يحسنه ... والجـاهلون لأهـل العلـمِ أعـداءُ

فَفُـزْ بعلـمٍ تَعِـشْ حيًـا بـه أبـدًا ... النـاسُ مـوتى وأهـلُ العلـم أحيـاءُ

٢- القرءان تلاوته وحفظه والعمل به:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله يرفعُ بهذا الكتاب أقوامًا ويضعُ به آخرين**»[(١)].

فإن الله يرفع صاحب القرءان في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا بالبركة في العمر والسعة في الرزق وحب الناس. وأما في الآخرة فإن صاحب القرءان يرفعه الله في الجنة ولا يزال يُرقيه حتى آخر آية معه.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يُقال لصاحب القرءان: اقرأ وارتقِ**[(٢)] **ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرة الكرام البَرَرة والذي يقرأ القرءان ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) وارتق: أي: في درج الجنة بقدر ما حفظته من آي القرءان.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) متفق عليه.

والماهر: أي: الذي يُجيد لفظه على ما ينبغي بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته، (مع السفرة) أي: الملائكة أو الرسل (عليهم الصلاة والسلام) أي: معهم في منازلهم في الآخرة.

قال القاضي: «يُحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى. قال: ويُحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم»(١).

٣- التواضع:

لله ما أجمل هذه الصفة وما أعظمها فكم قربت من الله عبدًا بعيدًا وكم أعقبت بعد تعبٍ عهدًا سعيدًا، وكم أثمرت بعد خمول ذكرٍ صيتًا مجيدًا، وكم رفعت بعد ذلٍّ عبدًا رشيدًا. والجزاء من جنس العمل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾

[القَصَص :١٨٣]

وقال النبي ﷺ: **«ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«ما من آدمي إلا في رأسه حكمة(٣) بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: (ارفع حكمته) وإذا تكبر قيل للملك: (ضع حكمته)»**(٤).

---

(١) شرح الحديث في «صحيح مسلم» (٦/ ٨٤) بشرح النووي «فضيلة حافظ القرءان».

(٢) رواه مسلم.

(٣) الحكمة هي: لجام الدابة ولكل إنسان من بني آدم حكمة يمسكها ملك من الملائكة.

(٤) صحيح لغيره: أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج:٢/ ١٢٩٣٩).

ولذلك فإن المتكبر والذي يُريد العلو على الخلق فإن الله يجزيه بضد ما قصد.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يُسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار**»(١).

وقيل: إن التواضع: «هو أن تخرج من بيتك فما تلقى أحدًا إلا ظننته خيرًا منك».

٤- «**الشهادة في سبيل الله**»: فإن الشهيد قد قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا، وقُتل من أجل ذلك فجازاه الله بأن رفعه وأعلى درجاته في الجنة فمن ذلك:

أولاً- جَعل مأواهم تحت العرش:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أرواحَ الشهداء في جوف طير خضر، لها قناديلُ تحت العرش، تسرحُ من الجنة حيث شاءت، ثمَّ تأوي إلى تلك القناديل**»(٢).

ثانيًا- للمجاهدين في الجنة مائة درجة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**وإنَّ في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد، وروي عن ابن عمرو وقال ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»: موقوف، إسناده حسن، انظر: (٤/ ٣٧٥) حديث رقم [٤٦٢٩] عن المطالب، و(الذر) هو: النمل الصغير.

(٢) رواه مسلم، والترمذي عن ابن مسعود.

(٣) رواه البخاري (٦/ ١١)، ومسلم (١٣/ ٢٨) الإمارة، والترمذي (١٠/ ٨) صفة الجنة، وابن ماجه [٤٣٣١] «الزهد».

ثالثًا- من الشهداء من يسكن الفردوس الأعلى:

عن أنس رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال: «**يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»(١)، الله أكبر! ما أهنئه من عيش، وما أعظمه من رزق في الفردوس الأعلى أتدري أخي الحبيب ما هي الفردوس؟.

لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢).

رابعًا- من الشهداء من يكلمه الله بغير حجاب:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «**يا جابر، مالي أراك منكسرًا؟**». قلت: يا رسول الله! استشهد أبي، قتل يوم أحدٍ وترك عيالًا ودينًا. قال: «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟**». قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب**»، وأحيا أباك فكلمه كفاحًا(٣)، فقال: «**يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطك**»، قال: يا رب! تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عَزَّ وَجَلَّ: «إنه قد سبق مني: أنهم إليها لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا** ﴾ [آل عمران: ١٦٩](٤).

---

(١) أخرجه البخاري [٢٨٠٩] من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠/ ٧٤٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كفاحًا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٤) حسن: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٠١٠)، وابن ماجه (١/ ١٩٠) (٢/ ٢٨٠٠).

٩- ليس كمثله شيء في علوه:

فإن الله هو العلي الأعلى جل جلاله وتقدست أسماؤه، فلا يدانيه أحدٌ في علوه، ولا يماثله شيء في رفعته، وذلك من وجوه منها:

١- له العلو المطلق من جميع الوجوه:

فما من أحد من الخلق بلغ علوًا إلا كان علوًا ناقصًا، فقد يعلو في مالٍ ولا يعلو في رياسة أو حُكم، أو يعلو في الدنيا ولا يعلو في الآخرة، وقد يعلو في وقتٍ دون آخر، أو في حال دون حال، كمثل من يعلو في حال قوته دون ضعفه، أو مرضه، أو شبابه دون هرمه. أما العلو المطلق من جميع الوجوه وفي كل الأحوال فهو لله عَزَّ وَجَلَّ، فإن الله تعالى هو العلي الذي لا أعلى منه ولا يعلو عليه بل لا يدانيه أحدٌ من خلقه.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فإنه قد علا في الأرض وتكبر فيها ولم يستطع أن يعلو في السماء.

٢- علو الله دائم:

فعلو الخلق مؤقت يسبقه العدم ويلحقه الفناء. أما علو الله - عَزَّ وَجَلَّ - فهو علوٌ لم يسبقه انخفاض ولا يلحقه دنو، دائم لا يتغير، ثابت لا يتبدل.

٣- رحمته في علوه:

فكل من أصابه شيء من علو الدنيا فإنه يبتعد عن الضعفاء والمساكين، وقد يأنف منهم. أما الله - سبحانه وبحمده - قريب في علوه، رحيم في كبريائه، ودودٌ في عظمته، عفوٌ في قدرته، لا يمنعه شيءٌ عن خلقه إذا دُعي أجاب، ولا يقف على بابه الحُجَّاب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]

«الواسع» تبارك وتعالى

المعنى اللغوي:

قال الجوهري: الوسع والسعة: الجدة والطاقة. قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي: على قدر غناه وسعته. وأوسع الرجل: إذا صار ذا سعة وغنى.

قال الأصبهاني: السعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الأفعال، كالقدرة، والجود ونحو ذلك. ففي الأماكن قال تعالى: ﴿أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، وفي الحال كقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾، وكقوله جل ذكره: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، وفي القدرة قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، قيل: لا يكلفهم إلا ما يُثمر لهم السعة أي: جنة عرضها السموات والأرض كما قال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، فوصف لله - جل ذكره - نحو قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، فعبارة عن سعة قدرته وعلمه ورحمته وأفضاله كقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وكما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(١).

وروده في القرآن الكريم:

جاء في القرآن ثمان مرات منها:

قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصبهاني.

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦٨].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٦١].

وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١١٥].

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال الحليمي: «الواسع» ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته المنبسط فضله ورحمته، وهذا تنزيه له من النقص والعلة واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ورحمته وسعت كل شيء[(١)].

قال ابن جرير: «إن الله واسع عليم» يعني - جل ثناؤه - بقوله (واسع) يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير[(٢)].

وقال: «والله واسع عليم» والله واسع بفضله فينعم به على من أحب، ويريد به من يشاء، (عليم) بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه وفضله الذي يعطيه، فيعطيه؛ ذلك لعلمه به وأنهَ لما أعطاه أهل إما للإصلاح به، وإما لينتفع هو به[(٣)] كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: (إن الله واسع عليم) أي: جواد يسع لما يُسأل[(٤)]، وذلك كقوله تعالى في الحديث القدسي: **«يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر»**[(٥)].

---

(١) «المنهاج» (١/ ١٩٨) ذكره في الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله جل وعلا، وكذا في (الأسماء).

(٢) «جامع البيان» (١/ ٤٠٣) وقال مثله ابن كثير (١/ ١٦٠).

(٣) «المصدر السابق» (٢/ ٣٨١).

(٤) «مجاز القرآن» (١/ ٥١).

(٥) رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه.

وفي المقصد: (الواسع) مشتق من السعة، والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيفما قدر وعلى أي شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى؛ لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحة لبحر معلوماته، بل تنفد البحار لو كانت مدادًا لكلماته، وإن نُظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف والذي لا ينتهي إلى طرف هو أحقّ باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق؛ لأن كل واسع بالإضافة (أي: بالمقارنة) إلى ما هو أوسع منه ضيق، وكل سعة تنتهي إلى طرف فالزيادة عليها متصورة، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يُتصور عليه زيادة[1].

من آثار الإيمان باسم الله الواسع

أولًا: العلم بأن الله هو الواسع الحق: في صفاته ونعوته فقد قال السعدي:

الواسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها بحيث لا يحصي أحد ثناءً عليه كما قال النبي ﷺ: «**لا أُحصي ثناءً عليك**»[2]، بل هو كما أثنى على نفسه واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم.

ومن صور السعة في أسماء الله وصفاته ما يلي:

١- فالله - عَزَّ وَجَلَّ - واسع في رحمته:

قال تعالى: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، قال النبي ﷺ: «**إن لله مائةَ رحمة**»[3]. وقد سبق توضيح ذلك.

---

(١) «المقصد الأسنى» (ص:٧٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري [٩٤٦٩]، ومسلم (٢٧٥٢/ ١٨-١٩-٢٧٥٣/ ٢١) وراجع شرحنا لاسمه الرحمن - جل جلاله - فهناك توضيح لمعنى هذا الحديث.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابنَ آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة**»(١).

٢- (واسع الملك) فقد وسع الله ملكه على خلقه:

فوسع الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، ووسع في السماء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الأرض في السماء الأولي كحلقة في فلاة، وأن السماء الأولى في الثانية كحلقة في فلاة، وهكذا كل سماء في التي تليها، حتى قال والسموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كحلقة في فلاة.

٣- واسع في رزقه:

قال الأصبهاني: ومن أسمائه الواسع وسعت رحمته الخلق أجمعين، وقيل وسع رزقه الخلق أجمعين، لا تجد أحدًا إلا وهو يأكلُ رزقه، ولا يقدر أن يأكل غير ما رُزق(٢).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

٤- واسع في علمه:

وعلم الله من أعظم الصفات التي تجلت فيها سعة الله وأكثر الأسماء التي اقترنت باسم الواسع هو اسم العليم فقد ورد اسم الواسع ثمان مرات اقترن فيها باسم العليم

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٤٠) وانظر شرحنا لاسميه الغفار والغفور تبارك وتعالى.
(٢) «الحجة» (ق:٢٣ب).

سبع مرات؛ وهذا لكثرة الخلق وتعددهم، فإن الله يعلم عدد قطرات المطر، وأوراق الشجر وحبات الثمر، والحسنات والسيئات؛ لذلك نجد أعظم الخلق إيمانًا بالله - عَزَّ وَجَلَّ - يسبحون بحمده ويثنون عليه بسعة علمه.

فقد قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، وقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٨٧]، وسأل فرعون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥١-٥٢]، فالله - عَزَّ وَجَلَّ - وسع علمه الماضي والحاضر والمستقبل ويعلم الغيب كما يعلم الشهادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ويعلم السر كما يعلم العلن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣]، فلا يشغله علم الغيب عن الشهادة، ولا علم السر عن العلن، ولا الكثير عن القليل فقد وسعها جميعًا علمًا وأحصاها عددًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٨].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعلانِ

وكذلك يعلم ما يكون غدًا ... وما قد كان والموجود في ذا الآنِ

وكذاك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ ... ـف يكون ذاك الأمر ذا إمكانِ

ولهذا لو أن أشجار الأرض أصبحت أقلامًا والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا لكتابة هذه الكلمات والمعلومات من كلمات الله لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم تنفد كلمات الله.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وقال ابن القيم رحمه الله:

كلماته جلَّت عن الإحصاءِ ... بل عن حصر ذي الحُسبانِ
لو أن أشجارَ البلاد جميعها ... الأقلام تكتبها بكل بنانِ
والبحر تلقي فيه سبعة أبحر ... لكتابة الكلمات كل زمانِ
نفدت ولم تنفد بها كلماته ... ليس الكلام من الإله بفانِ

٦- الواسع في شرعه:

فقد وسع الله شرعه على خلقه فوسع جميع أصنافهم وأحوالهم فمن ذلك:

أولاً- أنه يسع كل الناس:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثتُ إلى الناس عامة**»(١).

(١) في الصحيحين مرفوعًا عن جابر رضي الله عنه.

وقال أيضًا: «بعثت إلى الأبيض والأحمر»(١) قال مجاهد يعني الجن والإنس وقال غيره: يعني العرب والعجم، والكل صحيح(٢).

ثانيًا- سعة الشرع لكل شيء:

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فما من شيء في الكون إلا ولكتاب الله عليه سلطان إما تصريحًا أو تلميحًا أو إشارة.

فقد وسع الشرع كل أحوال الناس في النوم واليقظة في الحياة والموت، والصغير والكبير، الرجال والنساء، كما علمهم الإيمان والعبادات والطهارة والأخلاق والمعاملات كما وصف الغيب من الملائكة واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار، وجميع الحياة الدنيا والآخرة؛ لذا فإن شرع الله - تبارك وتعالى - يوصف بالشمول والإحاطة.

ثالثًا- اليسر في الأحكام:

قال القرطبي: الواسع أي يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم(٣).

فما من عزيمة إلا ومعها رخصة والأمر إن ضاق على الناس وسَّعه الله عليهم ومصداق ذلك من كتاب الله قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥).

(٣) «الأسنى» للقرطبي.

وكقوله عز وجل: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ وقال النبي ﷺ: «إنَّ الدِّين يُسر»(١).

فمن هذا اليسر:

١- في الصلاة:

كانت خمسين فجعلها الله خمسًا في العمل وخمسين في الأجر.

٢- التيمم عند فقد الماء أو تعذر استعماله:

عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أُسيد بن الحُضير رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها: جزاك الله خيرًا فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وجعل للمسلمين بركة(٢).

وقال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

٣- الرخص للمسافر والمريض:

خففت الصلاة للمسافر فأصبحت الصلاة الرباعية ركعتين فقط، ورخص له في الجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، ورخص للصائم في الإفطار إن كان مسافرًا ثم يقضي في أيام أخر وكذلك للمريض.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والبخاري.

٤- إباحة الطلاق لمن ضاقت عليهم حياتهم الزوجية:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾

[النساء: ١٣٠]

قال ابن جرير: يُغنِ الله الزوج والمرأة المطلقة من سعة فضله أما هذه فبزوج هو أصلح لها من المطلق، أو برزق واسع وعصمة، وأما هذا فبرزق واسع وزوجة هي أصلح له من المطلقة أو عفة: «وكان الله واسعًا» يعني لهما في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه (حكيمًا) فيما قضى بينهما من الفرقة والطلاق، ونسمع الآن عن اتجاه الغرب للرجوع إلى الطلاق بعد أن حرموه على أنفسهم وضيقوا ما وسعه الله عليهم.

ثانيًا: من عبادة الله باسمه الواسع:

١- الطمع في رحمة الله ومغفرته:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾.

فمن علم أن الله واسع الرحمة طمع فيها وازداد رجاؤه لها ولا ييأس منها أبدًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا قال: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لقد حجَّرت واسعًا»**(١) يريد رحمة الله.

٢- الفرار بالدين من الفتن:

فإن الله قد وسع على خلقه في الأرض ليعبدوه فإن ضيق عليهم موضع وسع الله غيره قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري [٦٠١٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه حجَّرت أي: ضيقت، والقائل يريد رحمة الله بعض رواته وكأنه أبو هريرة انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٣٩).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**البلادُ بلادُ الله، والعبادُ عبادُ الله فحيثما أصبت خيرًا فأقم**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يوشك أن يكون خيرَ مال المسلم غنمٌ يتبع بها شَعفَ الجبال، ومواقعَ القَطْر يفرُّ بدينه من الفتن**»(٢).

ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين من الناس هناك أَصْحَمة النجاشي ملك الحبشة - رحمه الله تعالى - فآواهم وأيدهم بنصره(٣).

وروي عن عطاءٍ في قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ [الزمر: ١٠]، قال: إذا دُعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم تلا الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

٣- الإنفاق في سبيل الله:

فإن الله واسع الرزق يوسِّع على من وسَّع على خلقه ويجازيه بأعظم مما أعطى وخيرًا مما بذل حتى يجعله له سبعمائة ضعف أو يزيد؛ ولذلك عقب على جزاء المنفقين باسمه الواسع جل جلاله.

(١) رواه أحمد (١/ ١٦٦) والطبراني [٢٥٠] من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه، وضعفه محققو المسند، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ٧٢-٥/ ٢٥٥) والعراقي في «تخريج الإحياء» [٧٣٤]، والسخاوي في «المقاصد».

ولبعضه شاهد من حديث عروة أخرجه أبو داود [٣٠٧٦] مرسلًا بلفظ «الأرض أرض الله، والعباد عباد الله» وقال الألباني: صحيح الإسناد «صحيح أبي داود» [٢٦٤١].

وآخر من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أخرجه الطبراني (١٨/ ٣١٨) [٨٢٣] بلفظ مرسل عروة المتقدم، وقال في «المجمع» (٤/ ١٥٧): رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٩٦).

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كلُّ عملِ ابنِ آدم يضاعَفُ الحسنةُ بعشرٍ إلى سبعمائة ضعف**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تصدَّق بعدْل تمرةٍ من كسبٍ طيب، ولا يقبلُ اللهُ إلا الطيبَ فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربِّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل**»[(٢)].

٤- الصبر هو أوسع الرزق:

فإن الصبر جواد لا يكبو، وسلاح لا يَفِل وما رُزق عبد الصبر إلا وُسِّع عليه أمره في الدنيا والآخرة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**ومَن يتصبَّر يصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»[(٣)].

وانظر إلى بشرى الصابرين يوم الفزع وأمنهم يوم الخوف، وتأمل ما أعطاهم الله يوم الحرمان فيجازي الناس بأعمالهم فإن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر ويجزي الصابرين بغير حساب والجزاء من جنس العمل. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٥- حب الله - تبارك وتعالى - وطاعته هما أوسع الفضل:

فإن حب الله هو أعظم الرزق وأكرمه وأفضله فإذا رزقه الله عبدًا فقد وسع عليه في حياته الدنيا والآخرة؛ لذا فإن هذا الرزق العظيم والفضل العميم يحتاج إلى سعة الله

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم وهو في «اللؤلؤ والمرجان» (ح:٥٩٥).

(٣) متفق عليه.

في رزقه وفضله على خلقه، فانظر إلى الموضع الذي ذُكر فيه أحباب الله وصفاتهم وتأمل كيف عقَّب الله بعدها باسمه الواسع مما يدل على عظمة هذا الرزق وفضله ولا يأتي به إلا الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[المائدة: ٥٤]

ولذلك أنعم الله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأعظم السعة فوسع عليه حياته الدنيا والآخرة فشرح صدره بالإيمان وحُبِّ الرحمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

[الشرح: ١]

ثالثًا: المعصية والتنطع هما أعظم أسباب الضيق:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد وسَّع على خلقه في شرعه؛ لذلك فمن خالف الشرع بالمعصية أو بالتشدد والتنطع فقد ضيق على نفسه ما وسعه الله عليه. فبالمعصية يُضيق على العبد رزقه كما جاء في بعض الآثار: «إنَّ الرَّجل ليُحْرم الرزقَ بالذنب يصيبه».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إن المعصية لظلمة في القلب ولعتمة في الوجه ولقلة في الرزق ولضعف في البدن ولبغضة في قلوب الخلق».

وضيق الصدر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

بل وتضيق الأرض كلها على العاصي، فعندما تخلف ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن غزوة تبوك وعلموا أنهم عصوا الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنوا على ذلك، واعتزلهم الناس، وضاقت عليهم حياتهم، بل والأرض كلها وضاقت عليهم أنفسهم حتى تاب الله عليهم وعفا عنهم (عليهم الرضوان). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ

ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

التنطع:

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**هَلَكَ المتنطِّعون**» قالها ثلاثًا.

دعاء الله باسمه الواسع:

١- الاستغفار:

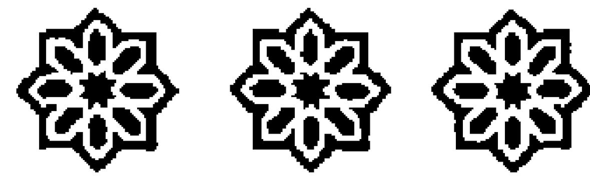
من علم أن الله قد وسع كل شيءٍ رحمة وعلمًا فلابد وأن يسترحم ربه، ويستغفره من ذنبه، ويدعوه بذلك كما قالت الملائكة في استغفارهم للمؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

٢- الاستخارة:

من علم أن الله واسع العلم يعلم السر والعلن والغيب والشهادة، وأنه واسع القدرة فهو على كل شيءٍ قادر، وفوق خلقه قاهر، ولا ينفع ولا يضر غيره إلا بإذنه لا يسعه إلا أن يفوض إليه أمره، ويتوكل عليه في كل شأنه، ويستخيره في صغير أمره وكبيره وكان هذا هو حال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام فقد كانوا يتبرأون من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته فأعزَّهم الله أعظم العِزِّ وكان لهم من التوفيق أعظم النصيب.

عن جابر رضي الله عنه **قال:** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن و يقول: «**إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير**

الفريضة، ثم ليقل: اللَّهُـمَّ إِنِّي أَسْـتَخِيرُكَ بِعِلْمِـكَ وَأَسْـتَقْدِرُكَ بِقُـدْرَتِكَ وَأَسْـأَلُكَ مِـنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَـلَّامُ الغُيُـوبِ. اللَّهُـمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِـلِ أَمْـرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِـي عَنْـهُ وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».



«الشافي» جل جلاله وتقدست أسماؤه

المعنى اللغوي:

الشفاء: البرء من المرض، يقال: شفاه الله يُشفيه شفاءً، والشفاء أيضًا: ما يبرئ من المرض بإذن الله يقال: أشفاه الله عسلًا، إذا جعله له شفاءً حكاه أبو عبيدة، واستشفى: طلب الشفاء، ونال الشفاء أيضًا[(١)].

الدليل ورد في الحديث الشريف:

عن عائشة رضي الله عنها قالت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان إذا أتى مريضًا أو أُتي به إليه، قال صلى الله عليه وسلم: **«أَذْهب البَأسَ ربَّ النَّاس، اشْفِ وأنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سقمًا»**[(٢)].

المعنى الشرعي للاسم في حق الله:

قال الحليمي: قد يجوز أن يقال في الدعاء: يا شافي؛ لأن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يشفي الصدور عن الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول والأبدان من الأمراض والآفات، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أولاً- لا شافي إلا الله:

فإن الشفاء من الأمراض لا يحدث بالطبيب وخبرته، أو بالدواء وقوته، وإنما يحدث بإذن الله وحده، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك»**[(٣)].

---

(١) «اللسان» (٤/ ٢٢٩٤-٢٢٩٥) من كتاب «النهج الأسمى» (٣/ ٢١).

(٢) رواه البخاري في «المدخل» (١٠/ ١٣١-٢٠٦-٢١٠) ومسلم في «السلام» (٤/ ١٧٢٢).

(٣) رواه البخاري.

وإلى هذا أشار جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عاده في مرضه، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن جبريل أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: «نعم»، قال: بسم الله أرقيك من كل شيءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسدٍ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»(١).

فجبريل هو خير الأطباء من الخلق؛ لأنه يعالج بالوحي والمريض هو خير الناس وأطيبهم بدنًا ونفسًا وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدواء هو خير الدواء؛ لأنه رقية (بسم الله الشافي)، ومع ذلك فإن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويقول: (الله يشفيك) أي أن الرقية منِّي ولكن الشفاء كله من الله وحده.

وكذلك ما أكرم الله به نبيه عيسى من شفاء المرضى وإبراء الأعمى فيُبصر والأبرص فيُشفى وحتى إحياء الموتى، ولكن هذا كله بإذن الله، وهذا ما قاله نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وفي قصة أصحاب الأخدود عندما جاء جليس الملك وقد عمي إلى الغلام المؤمن بهدايا وقال له: «ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى»(٢).

ولذلك من الخطأ العظيم وفساد الإيمان أن يقول الرجل: لولا الطبيب فلان لما شُفيت، ولولا الدواء كذا ما عُفيت، فإن الأسباب لا تعمل وحدها ولكنها تعمل بإذن الله وتقديره؛ لأنه خالقها ومقدرها، فما نزل المرض إلا بإذن الله، وما نزل الدواء والشفاء إلا بإذن الله، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

شفاء»(١). وقال أيضًا: «**لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أصيب دَوَاءُ الدَّاءِ برأ بإذن الله عز وجل**»(٢)، فكم من مريض عوفي بإذن الله بعدما عجز الأطباء أمام مرضه، وكم من طبيب أصيب بالمرض الذي كان يُداوي منه الناس، وكان فيه هلاكه، ولم يجد من يداويه، ولله درُّ القائل:

قُلْ للمريض عُوفي بعدما عجزَتْ فنونُ الطب من عافاكا

قُلْ للصَّحيحِ يموتُ لا من علةٍ مَن بالمنايا يا صحيحُ دهاكا

قُلْ للطبيبِ تخطَّفتَه يدُ الرَّدَى يا شافيَ الأسقامِ(٣) من أرداكا

ثانيًا- المرض جندي من جنود الله:

فإن الله – تبارك وتعالى – خلق الخلق صالحين لعبادته، صحح أبدانهم للقيام بذلك وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنه لعلهم يشكرون، فإن أطاعوه زادهم، وإن عصوه عاقبهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]، ومما جعله الله سببًا للثواب والعقاب أيضًا هو المرض، فقد يكون المرض سببًا للمغفرة، بل ودخول الجنة، وقد يكون عقوبة وانتقامًا لمن عصى الله – عَزَّ وَجَلَّ – في الدنيا قبل الآخرة.

ثانيًا-المرض رحمة من الله بالمؤمنين:

فإن الله يرحم به عباده المؤمنين فيغفر لهم به الخطيئات، ويرفع به الدرجات، ويسكنهم الجنات، فمن ذلك.

(١) رواه مسلم في «السلام» (١٠/ ١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)رواه مسلم في «السلام» (٤/ ١٧٢٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) قيلت للطبيب لفظة (يا شافي) على سبيل التهكم والسخرية إذ مرض فلم يملك لنفسه شفاءً، وقد كان يظن أنه يشفي الناس ولا شافي إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

١- مغفرة الذنوب:

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يصيبُ المسلمَ من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزنٍ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[(١)]، والوصب: المرض.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله! إنك توعك وعكًا شديدًا. قال: «**أجل، إني أُوعك كما يوعَك رجلانِ منكم**»، قلتُ: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «**أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكةٌ فما فوقها إلا كفَّر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**»[(٢)].

٢- النجاة من النار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عاد مريضًا ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أبشر، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ناري أسلِّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حَظَّه من النار في الآخرة**»[(٣)].

٣- المريض يظفر بمعية الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مَرِضتُ فلم تَعُدْني، قال: يا ربِّ، كيف أعودُك؟ وأنت رب العالمين! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١/ ٥٦٤٢)، ومسلم [٢٥٧٣].

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨/ ٥٦٦٠)، ومسلم [٢٥٧١]، والوعك: ألم من مغث الحُمَّى، وقيل: الحُمى.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٠)، والترمذي [٢٠٨٨].

(٤) صحيح: أخرجه مسلم «البر والصلة» (٤/ ٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥١٧].

٤- دخول الجنة:

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة**»(١)، حبيبتيه: عينيه.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أُصرعُ وإني أتكشف(٢) فادع الله تعالى لي، قال: «**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيك**»، فقالت: أصبرُ، فقالت: إني أتكشف، فادعُ الله أن لا أتكشف، فدعا لها(٣).

٥- والجنة في عيادة المرضى:

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريفٌ في الجنة**»(٤).

غدوة: ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

العشية: آخر النهار. • الخريف: الثمر المخروف: أي: المجتنى.

٦- ومن المرضى من له أجر الشهداء:

عن أنس أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٠/ ٥٦٥٣)، والبيهقي (٣/ ٣٧٥).

(٢) أي: ينكشف بعض بدني من الصرع.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري [٢٨٣٠]، ومسلم [١٩١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الشهداء خمسة: المبطون، والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»(١).

(المبطون) الذي يموت بداء البطن، و(المطعون): الذي يموت بالطاعون، و(صاحب الهدم): الذي يموت تحت الهدم.

وعن جابر بن عَتِيك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمطعون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**»(٢).

ثالثًا- المرض عذاب لمن عصى الله ورسوله:

فإن الله عَزَّ وَجَلَّ، يعاقب من عصاه، ومن هذه العقوبات الأمراض، قال تعالى: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، كيف الفلاح بعد هذه الآية: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، فكل سوء عملناه جزينا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**غَفَرَ الله لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَلَسْتَ تَمْرَضُ أَلَسْتَ تَحْزَنُ أَلَسْتَ تَنْصَبُ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأْوَاءُ**»، قال: بلى، قال: «**فهو مما تجزون به**»(٣).

وقد ذكر في بعض الأدلة من شرع الله تعالى عدة أسباب للعقوبة بالأمراض منها:

---

(١) رواه مالك (١/ ١٣١)، والبخاري [٦٥٣]، ومسلم [١٩١٤]، والترمذي [١٠٦٣].

(٢) رواه أبو داود [٣١١١]، والنسائي (٤/ ١٣) وابن ماجه [٢٨٠٣] وابن حبان [٣١٨٠] «ذات الجنب» هي الدمَّل الكبير التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل، قلما يسلم صاحبها، «والمرأة تموت بجمع» أي: تكون حاملًا.

(٣) رواه أحمد.

١- ظهور الفحشاء:

عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لم تظهر الفاحشة**[(١)] **في قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع**[(٢)] **التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال...**»[(٣)].

٢- دعوة المظلوم:

فمن أعظم الأسباب التي تصيب بالمرض أن يدعوَ المظلوم على من ظلمه بأن يُبتلى به، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[(٤)]، ومن ذلك أن امرأة ادَّعت على سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأَعْمِ بَصَرها واقتلها في أرضها، قال عروة بن الزبير رضي الله عنه فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[(٥)].

وفي رواية لمسلم: أنها رؤيت عمياء تلتمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد وأنها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها وكانت قبرها.

وقد انتقم الله من بعض الكافرين والعصاة بالأمراض، ومن أشهرهم:

١- أبو لهب لعنه الله:

وهو الذي نزلت فيه سورة المسد: أخذ الله - جل جلاله - أبا لهب بمكة إذ أصابه بمرض خبيث يقال له مرض العدسة، وكان ذلك يوم هزيمة المشركين ببدر، فما أن

(١) الفاحشة: الزنى.
(٢) الأوجاع: الأمراض.
(٣) رواه ابن ماجه، والبزار، والبيهقي، واللفظ له.
(٤) متفق عليه.
(٥) متفق عليه.

بلغه خبرُ هزيمة قومه حتى أصيب بمرض العدسة، فمات شر ميتة، حتى إنهم لم يقدروا على تغسيله، فصبوا عليه الماء من بعيد من شدة الرائحة الكريهة التي تفوح من جسمه الذي نضج وتهرَّى[١] بصورة لم يعرف لها نظير[٢] في طريقه إلى جهنم وبئس المصير.

٢- الأسود بن عبد يغوث:

كان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي ﷺ مستهزئًا به: أما كُلِّمت اليومَ من السماء يا محمد؟! خرج عدو الله من أهله يومًا، فأصابه السموم فاسودَّ وجهه، وأصابته الأكلة (مرض) فامتلأ جسمه قيحًا فمات شر ميتة، فلا رحمه الله ،ولا خفف عنه يومًا عذابه[٣].

٣- غلام أحمد القادياني:

وقد ادعى النبوة وقذف الأنبياء وسبهم وتطاول عليهم، بل ورفع نفسه فوق منزلتهم وكذب على الله ورسله، فكان جزاؤه من جنس عمله، وأصيب (بالكوليرا) حتى ضعف جسمه، وكان يقضي حاجته في فراشه، حتى خرجت النجاسة من فمه، فقد قال أبو زوجته: «ولما اشتد مرضه أيقظوني فذهبت إليه ورأيت ما يعانيه من الألم، فخاطبني قائلًا: أصبت بالكوليرا ثم لم ينطق بعد هذه الكلمة حتى مات»[٤].

هذا، وقد نشرت الجرائد الهندية آنذاك: أن غلام أحمد المتنبي القادياني لما ابتلي بالكوليرا كانت النجاسة تخرج من فمه قبل موته ومات وكان جالسًا في بيت الخلاء لقضاء الحاجة.

---

(١) انسلخ وتساقط.

(٢) انظر: كتاب «هذا الحبيب محمد» لفضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري (ص:١١٤).

(٣) «المصدر السابق» (ص:١١٥-١١٦).

(٤) «حياة ناصر» لرحيم الغلام القادياني (ص:١٤) من كتاب «الجزاء من جنس العمل» (١/ ٣٠٦).

٤- ومن أهل جهنم من يُعذب بالمرض:

فمن ذلك أنهم يحشرون وقد فقدوا أبصارهم وأسماعهم فيأتون يوم القيامة أصاب عيونهم العمى وألسنتهم البكم وآذانهم الصم، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾

[الإسراء: ٩٧]

ومن ذلك أيضًا عقوبة النائحة بالجرب. فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**النائحة إذا لم تتُب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سِربال من قطران، ودرع من جرب**»(١).

السربال: هو القميص، والدرع: هو ما يرتديه المقاتلون في الحرب وهي من الحديد.

رابعًا- تداووا يا عباد الله:

فإن الله هو الشافي، وقد جعل الشفاء في أسبابٍ أنزلها وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتداوي بها وبغيرها من أسباب الشفاء المشروعة:

عن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله: تداووا؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يضع داءًا إلا وضع له شفاءً، غير داءٍ واحدٍ**» قالوا: ما هو؟ قال: «**الهَرَم**»(٢).

والأخذ بالأسباب في التداوي من الأمراض بأسباب الشفاء لا يُنافي التوكل، بل هو من حُسن التوكل على الله ومن كمال التوحيد؛ إذ أنه يأخذ بالأسباب وهو يعلم أنها لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله ولا تَرُدُّ شيئًا من قدر الله.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد في «المسند» وأخرجه أبو داود، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

فعن أبي خُزامة قال: قلت: يا رسول الله! أرأيت رُقيى نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتقاةً نتقيها، هل تُرُدُّ من قدر الله شيئًا؟ فقال: «**هي من قدر الله**»(١).

خامسًا- لا تتداووا بمحرم:

فقد روي عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**إن الله خلق الداء والدواء فتداووا، ولا تتداووا بحرام**»(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها انتبذت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ يهدرُ، فقال: «ما هذا؟» قالت: فلانة اشتكت فوصف لها، قالت: فدفعه برجله فكسره وقال: «**إن الله لم يجعل في حرامٍ شفاءً**»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم»(٤).

وأتى رجلٌ لابن مسعود رضي الله عنه فقال: إن أخي مريض اشتكى بطنه وإنه نعت له الخمر أفأسقيه؟ قال عبد الله: سبحان الله! ما جعل الله شفاءً في رجس، إنما الشفاء في شيئين: العسل شفاء للناس، والقرآن شفاء لما في الصدور(٥).

---

(١) في «المسند»، وأخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٤)، وأخرجه ابن ماجه، والحاكم في «صحيحه»، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني حديث رقم [١٦٣٣].

(٣) أخرجه أحمد في «الأشربة» (ق:١٩/ ١)، وابن أبي الدنيا في «ذم السكر» (٥/ ١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ١٦٥٨)، وعنه ابن حبان [١٣٩٧] من طرق عن أبي إسحاق الشيباني عن حسان بن مخارق عنها.
وقال الشيخ الألباني: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات معروفون، غير حسان بن مخارق فهو مستور لم يوثقه أحد غير ابن حبان «الصحيحة» (٤/ ١٧٥).

(٤) أخرجه أحمد (ق:١٦/ ١-٢) والطبراني في «الكبير» (٩٧١٤/ ٩٧١٧) عن ابن مسعود موقوفًا، قال الألباني: إسناده صحيح، وعلقه البخاري بصيغة الجزم «الفتح» (١٠/ ٦٥)، وصححه الحافظ ابن حجر «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٧٥).

(٥) أخرجه الطبراني [٨٩١٠] عن أبي الأحوص، وقال الألباني: إسناده صحيح أيضًا، انظر: «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٧٦).

ليس كمثله شيء في الشفاء

أولاً- قدرة الله على الشفاء:

فكل من شُفي على يدي طبيب أو غيره، إنما يُشفى بسببٍ كتناول الدواء ونحوه، ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي أنه يُداوي مريضًا بغير سبب، أمّا الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يشفي بقدرته وحده، بالسبب وبدون السبب، وضد السبب، إن شاء، فصفة الشفاء عند الله من صفات أفعاله وغير مسبَّبة.

ثانيًا- علم الله للداء والدواء:

كلما كان الطبيب أكثر علمًا بفنون الطب كلما كان أكثر خبرة بالمرض وعلته، وكذلك دوائه وعلاجه، فقد يعلم طبيبٌ أكثر من غيره في ذلك، ويُفضل عليه، ولكن ذلك أمر نسبيٌ في الخلق، فقد يعلم شيئًا ويجهل أشياءَ، وإذا علمها قد لا يحيط بكل جوانبها، وقد يعرف المرض ولا يعرف له علاجًا، وإذا علم الدواء لا يملك الشفاء لأحد.

أما الله – عَزَّ وَجَلَّ – فإنه يعلم الداء والدواء جملة وتفصيلًا؛ إذ هو خالق البدن ومدبر أمره، وخالق الداء وقادر على دفع ضره.

وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠].

ثالثًا- الآثار الجانبية والمضاعفات:

فمن يداوي أو يصف دواءً لمريض فإنه يغلب على ظنه أن الشفاء في هذا الدواء، ولكنه لا يملك للمريض أن لا تظهر عليه أعراض جانبية لهذا الدواء، وكذلك مضاعفات الدواء، فقد تكون في بعض الأحوال أشد خطورة من المرض نفسه، وهذا معلوم مشهور بين الناس، حتى أن صانعي الدواء أنفسهم يذكرون ذلك في نشرة الأدوية.

أما الله - تبارك وتعالى - وحده هو القادر على أن يشفي شفاءً تامًا كاملًا لا يترك خلفه مرضًا ولا توجد له آثار، وذلك قول النبي ﷺ: «**اشْفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»(١).

قد يكون الشفاء من الابتلاء:

قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، فإن الشفاء من نعم الله على عبده، فإما أن يشكر، وإما أن يكفر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم مَلَكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ ويذهبُ عني الذي قد قَذرني الناس فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا فقال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل - أو قال: البقر شك الراوي- فأُعطي ناقةً عُشَراء فقال: بارك الله لك فيها، فأتى الأقرع فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعرًا حسنًا، قال: فأي المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر، فأُعطي بقرةً حاملًا قال: بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال: أي شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يرد الله عليَّ بصري فأُبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاةً والدًا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلَّغ به في سفري.**

---

(١) رواه البخاري في «المرضى» (١٠/ ١٣١- ٢٠٦ - ٢١٠)، ومسلم في «السلام» (٤/ ١٧٢٢).

فقال: الحقوقُ كثيرة، فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما رد هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيءٍ أخذته لله عَزَّ وَجَلَّ، فقال: أَمْسِك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[(١)].

رابعًا- من أسباب الشفاء:

١- القرآن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

وقال تعالى عن القرآن: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت:٤٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء[(٢)] القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحدٍ يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبدًا، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها[(٣)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) الأدواء: الأمراض.

(٣) انظر: «الطب النبوي» لابن القيم [٢٧٢].

٢- الرقى بالقرآن والمعوذات:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث[(١)] على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ وأمسحُ بيده نفسَه لبركتها[(٢)].

وسُئل الزهري: كيف ينفث؟ قال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أو أَمَرَ أن يُسترقى من العين[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «**العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استُغسلتم فاغسلوا**»[(٤)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسانُ لشيء منه كان به قرحة أو جُرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه هكذا. ووضع سفيان وهو أحد رواة الحديث سبابته في الأرض ثم رفعها: «**باسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا ليُشفى به سقيمنا بإذن ربنا**»[(٥)].

٣- العسل:

قال تعالى عن العسل: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كيَّة بنار، وأنهى أمتي عن الكي**»[(٦)].

---

(١) النفث: هو النفخ مع الريق القليل، انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصبهاني [٨١٦].

(٢) رواه البخاري في كتاب «الطب» باب الرقى بالقرآن والمعوذات (١٠/ ١٩٥) رقم الحديث [٥٧٣٥].

(٣) رواه البخاري في كتاب «الطب» باب رقية العين.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه، ورواه مسلم باب استحباب الرقية من العين. والحمة والنظرة (١٤/ ١٨٤).

(٦) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الشفاء في ثلاث) (١٠/ ١٣٧) حديث رقم [٥٦٨١].

٤- الحبة السوداء:

عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن هذه الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء، إلا السام**»، قلت: وما السام؟ قال: «**الموت**»[(١)].

٥- القسط الهندي البحري والحجامة:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري**»[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عائشة وعندها صبيٌّ تسيل منخراه دمًا، فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: به العذرة[(٣)]، أو وجع في رأسه، فقال: «**ويلكنَّ، لا تقتلنَ أولادكنَّ، أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قسطًا هنديًا فتحكمه بماء ثم تسعطه**[(٤)] **إياه**». فأمرت عائشة رضي الله عنها فصنع ذلك بالصبي فبرأ[(٥)].

٦- ألبان الإبل والبقر:

عن أنس رضي الله عنه أن ناسًا كان بهم سقمٌ، قالوا: يا رسول الله! آونا وأطعمنا، فلما صحوا قالوا: إن المدينة وخمة، فأنزلهم الحَرَّة في ذود له، فقال: «**اشربوا من ألبانها**»[(٦)].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاء إلا الهَرَم؛ فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر**»[(٧)].

---

(١) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحبة السوداء) (١٠/ ١٤٣) حديث رقم [٥٦٨٧].

(٢) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحجامة من الداء) (١٠/ ١٥٠) حديث رقم [٥٦٩٦]، والقسط الهندي: نبات يباع عند أطباء الأعشاب أو العطارين وهو معروف عندهم والحار منه أفضل من البارد.

(٣) العذرة: قيل هي قرحة تخرج فيما بين الأذن والحلق وتعرض للصبيان غالبًا.

(٤) السعوط: ما يصب في الأنف، انظر: «الطب النبوي» لابن القيم (ص:٧٤-٧٥).

(٥) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى، والبراز.

(٦) الذود: القطيع من الإبل، والحديث رواه البخاري.

(٧) أخرجه الطيالسي [٣٦٦] والنسائي في «الكبرى» [٦٨٦٣]، وابن حبان [٦٠٧٥]، والحاكم (٤/ ١٩٦-١٩٧)، من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه وانظر: «الصحيحة» [٥١٨].

٧- الماء:

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الحُمَّى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء**»(١)، وكان شفاء نبي الله أيوب عليه السلام في الماء. قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [ص: ٤١-٤٢].

قال ابن كثير: قيل: بنَصَبٍ في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين، وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله، ففعل فأنبع الله تعالى له عينًا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في بدنه من الأذى، ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينًا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرًا وباطنًا، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴾ [ص: ٤٢](٢).

٨- ماء زمزم:

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من ماء زمزم، وأنه قال: «**إنها مباركة، وهي طعام طعمٌ وشفاء سقم**»(٣). وقد غسل جبريل صدر النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم.

٩- الصدقة:

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»(٤).

---

(١) رواه البخاري كتاب «الطب» باب (الحمى من فيح جهنم) (١٠/ ١٧٤) حديث رقم [٥٧٢٣].

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطيالسي [٤٥٩]، وأحمد (٥/ ١٧٤-١٧٥) ومسلم [٢٤٧٣] وغيرهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، في قصة إسلامه، وليس عند مسلم قوله: (وشفاء سقم).

(٤) رواه أبو الشيخ في الثواب عن أبي أمامة وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٣٥٣].

دعاء الله باسمه (الشافي) تبارك وتعالى:

وقد جاء في ذلك:

١- الدعاء للمرضى: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعودُ بعضَ أهله يمسح بيده اليُمنى ويقولُ: «**اللهم ربَّ الناس، أذهب البأسَ، اشْفِ أنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**»(١).

٢- دعاء الأخ لأخيه: وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «**اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا**»(٢).

٣- دعاء للعافية: وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من عاد مريضًا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض**»(٣).

٤- دعاء ينجي من النار: عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر صدَّقه ربه، فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال: يقول: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: لا إله إلا أنا، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تَطْعمه النار**»(٤).

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وقال، حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري.

(٤) صحيح، أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٣٠).

«الغفور، الغفار» تبارك وتعالى

المعنى اللغوي:

أصل الغَفْر: التغطية والستر، غفر الله له ذنوبه: سترها وتقول العربُ: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه أي: أحمل له وأغطى له، وكذا غفر الشيب بالخضاب وأغفره أي: ستره، والمغفرة: التغطية: هو حلق يتقنع به المتسلح يقيه ويستره[(١)].

وقيل: هو مأخوذ من الغفر نبت تُداوى به الجراح إذا ذرَّ عليها دملها وأبرأها بإذن الله[(٢)]، وهذا يبين أن المعصية داء والمغفرة دواء.

الدليل الشرعي:

ورد الاسمان الغفار والغفور - جل جلاله وتقدست أسماؤه - في القرآن والسنة وقد ذُكر اسمُ الله الغفور في القرآن في إحدى وتسعين آية، وأما اسمه الغفار فقد جاء في خمس آيات، فعلم أن ورود الغفور في القرآن أكثر بكثير من الغفار، والغفار أبلغ من الغفور وكلاهما من أبنية المبالغة، فمن المواضع التي ورد فيها اسم (الغفور).

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].

وقال أيضًا: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وأما الغفار فقد جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠].

---

(١) «تفسير الأسماء للزجاج» (ص:٣٧) و«النهاية» (٣/ ٣٧٣)، و«اللسان» (٤/ ٢٧٤٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٤٨).

(٢) «الأسنى» للقرطبي (١/ ١٥٢).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال الزجاج: ومعنى الغَفْر في حق الله سبحانه هو الذي يستر الذنوب لعباده ويغطيهم بستره[(١)].

وقال الخطابي: فالغفار الستير لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته ومعنى الستر في هذا: أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تُشهِرُهُ في عيونهم[(٢)].

وقال أبو عبيد الله: والمغفرة من الذنوب إنما هو إلباس الله الناس الغفران وتغمدهم به[(٣)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العفُو – الغفُورُ - الغفَّارُ).

الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كلُّ أحدٍ مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢][(٤)].

وقال ابن القيم في «النونية»:

وهو الغفور فلو أُتي بقُرابها ... من غير شرك بل من العصيانِ

لأَتاه بالغفرانِ ملء قرابها ... سبحانه هو واسعُ الغفران[(٥)]

---

(١) «تفسير الأسماء» (ص:٣٨).

(٢) «شأن الدعاء» (ص:٥٢).

(٣) «غريب الحديث» (٣/ ٣٤٨).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠).

(٥) «النونية» (٢/ ٢٣١).

وقيل: إن (الغفار، والغفور) صيغتي مبالغة لصفة المغفرة لله - عَزَّ وَجَلَّ - فالغفور على وزن فعول أي كثير المغفرة في العدد والتكرار وأما (الغفار) على وزن (فعَّال) أي يغفر مغفرة عظيمة في قدرها وأثرها فالغفور يناسب كثرة خطايا الخلق وتكرارها و(الغفار) يناسب عظيم الإجرام وكبير الآثام وكلا النوعين من الذنوب واقع من الخلق فسبحان الله الذي يعامل خلقه بما يناسبهم من أسمائه وصفاته.

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

أولاً- معرفة الله وحبه:

من عرف مغفرة الله لعباده على ظلمهم، وعظيم عفوه عنهم مع إساءتهم فقد عرف جانبًا عظيمًا من صفات الله جل جلاله، وإليك جانبًا من هذه الصفات:

١- لا يغفر الذنوب إلا الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

قال ابن كثير: أي لا يغفر أحدٌ سواه.

وعن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ **أتي بأسير فقال:** اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال النبي ﷺ: «**عرف الحق لأهله**»(١).

وكان من دعاء النبي ﷺ: «... **وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(٢).

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البخاري، وأبوءُ أي: أقرُّ وأعترف.

٢- إن ربك واسع المغفرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ وسعت رحمته كل شيء، ومغفرته أعظم من كل ذنب، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبُك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة**»[1].

٣- إن الله يغفر الذنوب جميعًا:

فمهما عظُمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم منها بل ومن كل شيء، فلا يقنط من رحمة الله ولا ييأس من عفوه وغفرانه أحدٌ أبدًا.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما **في هذه الآية:** قد دعا الله إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح هو ابن الله، ومن زعم أن عزيرًا ابن الله، ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولًا من هؤلاء من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ[2].

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٨) وآيس الناس: أي: قنطهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه **قال:** إن أكثر آية في القرآن فرحًا في سورة الغرف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (١).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جَنَّته أحد»** (٢).

حتى الشرك يغفره الله لمن تاب فما أعظم ربنا وما أكرم إلهنا وما أحنَّه على خلقه وهو غني عنهم، وما أحبه لتوبتهم وهم لا يضرونه شيئًا ولا ينفعونه!!

ولله درُّ القائل:

يا ربِّ إن كثرت ذنوبٌ عظيمة ... فلقد علمتُ أن عفوك أعظمُ
دعوتك ربي كما أمرت تضرعًا ... فإذا رددت فمن ذا يرحمُ
إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ ... فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وعظيمُ عفوك ثم إني مسلمُ

٤- الستر على عبده:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يحب الحياء والستر»** (٣).

وقال ابن القيم رحمه الله:

وهو الكريمُ فليس يفضحُ عبدَه ... عند التجاهُرِ منه بالعصيانِ
لكنهُ يلْقي عليه ستْره ... فهو الغفُور وصاحبُ الغفرانِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٨).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٧٥٥) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة به.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤/ ٤٠١٢) والنسائي (١/ ٢٠٠)، والبيهقي من طريق أبي داود (١/ ١٩٨) عن النفيلي، حدثنا زهير عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي عن عطاء عن يعلى به.

فإن الله - تبارك وتعالى - يحب الستر على عباده في الدنيا والآخرة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يدنو أحدُكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم**»(١). وفي رواية: «**فإني قد سَتَرتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيُعْطَى صحيفةَ حسناته، وأما الكفارُ والمنافقون فينادي بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله**»(٢).

وإذا ستر الله مؤمنًا في الدنيا فكذلك يستره يوم القيامة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يستر الله على عبدٍ في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة**»(٣).

بل ويستر من سَتَر المسلمين فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة**»(٤).

ويذم من يتتبع عورات المسلمين، ويفضح أمرهم، ويكشف سترهم وتوعدهم على ذلك، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتِهم، يتبع الله عورَتَه ومن يتبع عورته يفضحه في بيته**»(٥). فسبحان الله على ستره لمن عصاه ورحمته بمن جافاه!!

(١) رواه البخاري في «الأدب» (١٠/ ٤٨٦)، وفي «التوحيد» (١٠/ ٤٧٥).

(٢) رواه البخاري في «المظالم» (٥/ ٩٦)، وفي «التفسير» (٨/ ٣٥٣)، ومسلم في «التوبة» (٤/ ٢١٢٠).

(٣) رواه مسلم في «البر والصلة والأدب» (٤/ ٢٠٠٢).

(٤) رواه البخاري في «المظالم» (٥/ ٩٧)، ومسلم في «البر والصلة» (٤/ ١٩٩٦) من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعًا، وأوله: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه...».

(٥) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠-٤٢١) وأبو داود (٥/ ٤٨٨٠) عن الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة السلمي مرفوعًا.

ولله در القائل:

فكم عصيتُك يا مولاي من جهل ... وأنت يا سيدي في الغيب تسترني
لأبكينَّ بدمعِ العينِ من ندمٍ ... لأبكينَّ بكاءَ الوالِهِ الحزنِ

٥- إن الله يحب التوابين:

فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يحب التوبة أكثر من حب التائب لها، ويحب المغفرة أكثر من حب الناس أن يُغفر لهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢].

ومن حبه - تبارك وتعالى - للتوبة والاستغفار أنه إذا لم يُذنب الناسُ لذهب بهم ولأتى بقوم ليذنبوا فيستغفروا ليغفر لهم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفرُ لهم»**[(١)].

وقد أحسن من قال:

دعوتُ كريمًا قد وثقت بصنعه ... وليس من يدعو الكريمَ يخيبُ
فيا من يحبُّ العفو إني مذنب ... ولا عفوَ إلا أن تكون ذنوبُ

٦- ويفرح بهم:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة[(٢)]»**[(٣)].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) فلاة: أي: أرض واسعة لا نبات بها ولا ماء.

(٣) متفق عليه.

وفي رواية مسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت[١] منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس[٢] منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده بخطامها[٣] ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

٧- ويضحك إليهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يضحكُ الله - سبحانه وتعالى - إلى رجلين يقتلُ أحدُهُما الآخرَ يدخلانِ الجنة؛ يقاتل هذا في سبيل الله فيُقْتَل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهدُ**»[٤].

٨- ويُسخِّر لهم مخلوقاته:

فمن عظيم رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ أنه يحب للتائبين الرحمة والقبول، وأن يدخلهم الجنة حتى أنه يسخِّر لهم الأرض مثل ما حدث في توبة قاتل المائة؛ إذ أوحى للأرض الطيبة أن تقترب منه وأن تبتعد عنه الأرض الخبيثة حتى تأخذه ملائكة الرحمة، فسبحان الله!!

عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ إنسانًا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبًا فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل فقال له الرجل: ائت قرية كذا وكذا** - وفي رواية لمسلم: «**فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم**» - **فأدركه الموت فنأى بصدره نحوها**

---

(١) فانفلتت: هربت.

(٢) أيس منها: يأس من الحصول عليها.

(٣) خطامها: الحبل الذي تقاد به الدابة.

(٤) متفق عليه.

فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فأوحى الله إلى هذه: أن تقاربي، وأوحى إلى هذه: أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجِدَ إلى هذه[(١)] أقرب بشبر فَغُفِرَ له»[(٢)].

٩- ويغضب على من قنَّط الناس من رحمته:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان، قال اللهُ: مَن ذا الذي يتألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطت عملك**»[(٣)]. وفي رواية قال: «**فوالذي نفس أبي القاسم بيده، لتكلَّم بكَلمة أوبقت[(٤)] دنياه وآخرته**»[(٥)].

ثانيًا- المسارعة إلى التوبة بعد الذنب:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أخي الحبيب: أسرع أسرع. أدرك أدرك. ولا تترك حبيبك من أجل من يبغضك، ولا تخاصم مولاك من أجل عدوه وعدوك، وفرَّ إليه من ذنوبك تجده أرحم بك من نفسك وأحنَّ عليك من أمك، وأسرع إليه تجده إليك أسرع فإنه إلى توبتك بالفرح.

قال تعالى في الحديث القدسي: «**والله للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرَّب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت إليه أهرول**»[(٦)].

(١) هذه: أي الأرض الطيبة.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٤٧٠)، ومسلم (٤/ ٢١١٨).

(٣) رواه مسلم.

(٤) أوبقته: أي أهلكته.

(٥) حسن: أخرجه أحمد (١٦/ ٨٢٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري [٢٦٧٥]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثًا- اغفروا يغفر لكم:

ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟.

من غفر للناس غفر الله له، ومن تجاوز عنهم تجاوز الله عنه والجزاء من جنس العمل. عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «**ارحموا تُرْحموا، واغفروا يغفر الله لكم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال النبي ﷺ: «**كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت مُعسرًا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنَّا، فلقي الله فتجاوز عنه**»(٢).

رابعًا- من علامات المغفرة:

إن من الحق أن نعلم أن المغفرة بيد الله وحده ولا يعلمها إلا الله، ولكن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد جعل لها علامات ومُبشرات، فمن رُزق إياها يُرجى أن يكون غُفر له.

١- أن يُرزق توبة نصوحًا:

قال: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٩].

وقيل: «من رزق التوبة لم يُحرم من القبول، ومن رزق الشكر لم يحرم من الزيادة، ومن رُزق التوكل لم يُحرم من الكفاية، ومن رزق الاستغفار لم يحرم من المغفرة، ومن رزق الدعاء لم يحرم من الإجابة».

وقيل عن التوبة النصوح: هي التوبة الصادقة من كل الذنوب والخطايا.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥-٢١٩) والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٨٠] وانظر: «الصحيحة» [٤٨٠].
(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي.

٢- الندم:

قال رسول الله ﷺ : «**الندم توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(١).

٣- فرحة التائب بالمغفرة:

فإن التائب الذي نجا من ذنبه وخرج من معصيته كغريق أنقذ بعد ما رأى الموت، وكمريض شُفي بعد ما يأس من الشفاء وكأم وجدت ولدها بعد ضياعه منها، ومن ذلك ما فعله كعب بن مالك رضي الله عنه حين بُشِّر بالتوبة من الله فقد خرَّ ساجدًا؛ شكرًا لله وتصدَّق بكثير من ماله وأعطى من بَشَّره بالتوبة ملابسه التي يرتديها وهو لا يملك غيرها.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال حين سمع البُشرى: «فخررت ساجدًا وعرفت أنه جاء فرجٌ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ»، فلما أتى رسول الله ﷺ قال له: «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله»(٢).

٤- البكاء من خشية الله:

قال النبي ﷺ : «**عينانِ لا تمسهما النار أبدًا: عينٌ بكَتْ من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**»(٣).

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي سعيد الأنصاري وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٦٨٠٣].

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح، رواه أبو يعلى في «مسنده»، والضياء عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٩٩٢].

ألا يا عيني ويحك أسعديني بطوع الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بخير الدهر في تلك الليالي

قال عمر بن ذر: «ما رأيت باكيًا قطّ إلا خُيل إليَّ أن الرحمة قد تنزلت عليه»، وعن ثوبان مرفوعًا: «**طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته**»(١).

وقال سفيان بن عيينة: البكاء من مفاتيح التوبة، ألا ترى أنه يرق فيندم.

وعن مجاهد: أن نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله، وقد يكون البكاء أيضًا من حيائه من الله عَزَّ وَجَلَّ.

٤- تبديل السيئات حسنات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

وفي معنى هذه الآية قولان:

القول الأول: أنهم يبدلون مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. روي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في هذه الآية: هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات حسنات(٢).

وقال عطاء بن أبي رباح: هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبدله الله بها خيرًا(٣).

(١) حسن، رواه الطبراني في «الصغير»، وأبو نعيم في «الحلية»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٣٩٢٩].

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن، وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات[(١)].

وقال الحسن البصري: أبدلهم الله بالعمل السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا، وأبدلهم بالفجور إحصانًا، وبالكفر إسلامًا[(٢)].

أما القول الثاني: أن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات[(٣)]:

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلمُ آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخرَ أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: أعرضوا عليه صغارَ ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغارُ ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكانَ كلِّ سيئة حسنة، فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياءَ لا أراها هاهنا**»، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه»[(٤)].

خامسًا- من موانع المغفرة:

١- الشرك:

فإن المشرك قد كفر بالله الذي له صفة المغفرة والذي لا يغفر سواه؛ فكيف يغفر لمن كفر بمن يغفر الذنوب ويستر العيوب، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣١١).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) رواه مسلم (١/ ٣١٤)، وأحمد (٥/ ١٧٠)، والترمذي (٤/ ٢٥٩٦).

٢- أصحاب البدع:

فكما أن أصحاب البدع يريدون للناس الضلال، ويحبون حياة الظلام فإن الله لا يخرجهم إلى نور التوبة والهداية، حتى يتوبوا من ذلك.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله حَجَب التوبة عن كل صاحب بدعةٍ حتى يدع بدعته**»(١).

٣- المجاهرة بالمعاصي:

فكما أن العاصي لا يستحي من ذنبه ويجهر به فإن الله لا يستر عليه ولا يغفر ذنبه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**»(٢).

٤- طلوع الشمس من مغربها:

وذلك حين يتغير نظام الكون ولا يكون أحدٌ من الناس على وجه الأرض إلا آمن، ولكن هذا موضع لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَن تاب قبل أن تَطْلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٤٢٠٢] والبيهقي في «الشعب» [٩٤٥٧] وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٨٦): إسناده حسن، وانظر: «الصحيحة» [١٦٢٠].

(٢) أخرجه البخاري [٦٠٦٩] ومسلم [٢٩٩٠].

(٣) رواه مسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله تعالى يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيءُ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١).

٥- الغرغرة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغر**»(٢).

٦- الهجران بين المسلمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تعرض الأعمالُ في كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئًا، إلا امرءً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هَذَيْن حتى يَصْطلحا**»(٣).

سادسًا- من أسباب المغفرة:

فإن الله برحمته قد جعل للمغفرة أسبابًا يُيسرُها لمن شاء ويوفقَ إليها من يريد، وسنعرض فيما يلي بعض هذه الأسباب، وهي كما يلي:

١- **الإسلام يكفر كل ما سبق من السيئات:** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أسلم العبدُ فحسنَ إسلامه، يكفِّر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها**»(٤).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، يغرغر أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه في سكرات الموت.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري [٤١].

٢- **الموت على التوحيد**: قال تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة»(١).

٣- **الاتباع لرسول الله** ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

٤- **الأذان**، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وملائكته يصلُّون على الصَّفِّ المقدَّم والمؤذِّن يغفر له مدَّ صوته، ويُصدِّقه من سمعه من رطب ويابس، وله مثلُ أجر من صلى معه»(٢).

٥- **الذكر عند الأذان**، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله ربًا، وبمحمدٍ رسولًا، وبالإسلام دينًا غُفر له ذنبه»(٣).

٦- **إحسان الوضوء**، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده، حتى تخرج من تحت أظفاره»(٤).

٧/٨- **المشي إلى المسجد وانتظار الصلاة**، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي [٣٥٤٠] من حديث أنس رضي الله عنه وقال: حسن صحيح، وانظر «صحيح الجامع» الترمذي [٢٨٠٥].

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٤) والنسائي [٦٤٥]، من حديث البراء رضي الله عنه وانظر: «صحيح الجامع» [١٨٣٧].

(٣) أخرجه مسلم [٣٨٦] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم [٢٤٥] من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم [٢٥١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن تطهَّر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»(١).

٩- **الصلاة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو الله بهنَّ الخطايا»(٢).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَـةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»(٣).

١٠- **صلاة الجمعة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اغتسل، ثم أتى الجمعة فصلى ما قُدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»(٤).

١١- **صلاة ركعتين بعد الوضوء:** يقبل عليها بقلبه ووجهه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقوم فيركع ركعتين، يُقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة وغُفر له»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم [٦٦٦].

(٢) أخرجه البخاري [٥٢٨]، ومسلم [٦٦٧] والدرن: الوسخ.

(٣) أخرجه مسلم [٢٢٨].

(٤) أخرجه مسلم [٨٥٧].

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، ومسلم [٢٣٤] من حديث عقبة بن عامر، رضي الله عنه.

١٢- **من وافق تأمينه تأمين الملائكة:** قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا أمَّن الإمام فأمّنوا؛ فإنه من وافق تأمينهُ تأمينَ الملائكة غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه**»[(١)].

١٣- **السجود:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك اللهُ بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة**»[(٢)].

١٤- **الذكر دُبر كل صلاة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من سبح الله في دُبُر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعونَ، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، غُفرت خطاياه، وإن كانت مثل زَبَد البحر**»[(٣)].

١٥- **قيام الليل:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد**»[(٤)].

١٦- **الصدقة:** قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارُ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري [٧٨٠]، ومسلم [٤١٠].

(٢) أخرجه مسلم [٤٨٨] من حديث ثوبان وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم [٥٩٧] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، والحاكم، والبيهقي في سننه عن بلال، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٠٧٩].

(٥) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥١٣٦].

١٧- صيام رمضان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

١٨- قيام رمضان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢).

١٩- قيام ليلة القدر: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

٢٠- صوم يوم عرفة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة**»(٤).

٢١- صوم عاشوراء: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**صوم عاشوراء يُكفِّر سنة ماضية**»(٥).

٢٢- الحج المبرور: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمُّه**»(٦).

وقال أيضًا: «**...وأن الحج يهدم ما كان قبله**»(٧). أي: يهدم ما كان قبله من الذنوب.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٥) رواه أحمد ومسلم والترمذي.

(٦) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) رواه مسلم في «صحيحه» عن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٣٢٩] (١/ ٢٨٣).

٢٣- العُمرة: قال رسول الله ﷺ: **«العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»**(١).

وقال أيضًا: **«تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خَبَثَ الحديد»**(٢).

٢٤- مسح الحجر الأسود والركن اليماني: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **«إنَّ مَسْحَ الحَجَر الأسود والركنِ اليماني يحطَّان الخطايا حطًّا»**(٣).

٢٥- الشهادة في سبيل الله: عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«للشهيد عند الله ستُّ خِصال: يُغفر له في أول دفعةٍ من دمه، ويَرَى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حُلَّة الإيمان، ويزوَّج من الحور العين، ويشفَّع في سبعين إنسانًا من أقاربه»**(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول ﷺ قال: **«يُغفر للشهيد كُلُّ ذَنْب إلا الدَّين»**(٥).

٢٦- ذكر الله: التسبيح: عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألفَ حسنة؟»** فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: **«يسبح مائة تسبيحة فيُكتب له ألف حسنة، أو يحطُّ عنه ألفُ خطيئة»**(٦).

---

(١) رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣)صحيح رواه أحمد في «مسنده» والترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢١٩٤].

(٤)رواه الترمذي (٧/ ١٦١) «فضائل الجهاد» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه [٢٧٩٩] واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٣١)، وصححه الألباني.

(٥)رواه مسلم (١٣/ ٣٠) الإمارة.

(٦)صحيح: رواه مسلم، وأحمد في «مسنده»، والنسائي عن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٦٦٥] (١/ ٥٢٠).

٢٧- **قول سبحان الله وبحمده:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه، وإن كانت مثل زَبَد البحر**»(١)، وفي رواية: «**من قال حين يمسي وحين يصبح**».

٢٨- **الصلاة على النبي** عليه الصلاة والسلام: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلَّى الله عليه عَشْرَ صلواتٍ وحُطَّتْ عنه عَشْرَ خطيئات ورفعتْ له عَشْرُ درجات**»(٢).

٢٩- **كفارة المجلس:** عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال: سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكرٍ كانت كالطابع يُطبع عليه ومن قالها في مجلس لغوٍ كانت كفارة له**»(٣).

٣٠- **العفو عن الناس:** قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كان رجلٌ يداينُ الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيتَ مُعسرًا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوزَ عنَّا، فلقي الله فتجاوز عنه**»(٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٢)صحيح: رواه أحمد في «مسنده» والبخاري في «الأدب المفرد» والنسائي، والحاكم عن أنس، ورواه ابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ٦٣٥٩-١٠٨٨) وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة بدون قوله: «حطت...».

(٣) صحيح: رواه النسائي، والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٣٠].

(٤) رواه أحمد والبخاري، ومسلم، والنسائي.

٣١- **السهولة في التجارة:** عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«غفر الله لرجل ممن كان قبلكم، كان سهلًا إذا باع، سهلًا إذا اشترى سهلًا إذا اقتضى»**(١).

٣٢- **إماطة الأذى عن طريق المسلمين:** قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«بينا رجل يمشي بطريقٍ وجد غُصْن شوكٍ على الطريق فأخَّره فشكر اللهُ له فغفر له»**.

وفي رواية قال: **«لقد رأيت رجلًا يتقلَّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»**(٢).

٣٣- **عيادة المريض:** عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من رجلٍ يعودُ مريضًا ممسيًا إلا خرج معه سبعون ألفَ مَلَكٍ يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مُصْبحًا، خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي»**(٣).

٣٤- **تغسيل المسلم وتكفينه:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مَن غسَّل ميتًا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفَّنه، كساه الله من السُّندس»**(٤).

٣٥- **من صلى عليه مائة عند موته:** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من رجلٍ يصلِّي عليه مائة إلا غُفر له»**(٥).

٣٦- **مصافحة المسلم أخاه:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إذا تصافح المسلمان، لم تفرق أكفُّهما حتى يُغفر لهما»**(٦).

---

(١) صحيح رواه أحمد والترمذي والبيهقي في «سننه»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤١٦٢].
(٢) رواه مسلم.
(٣) صحيح: رواه أبو داود، والحاكم وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧١٧].
(٤) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامه، ورواه أيضًا ابن بشران وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٤٠٣].
(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» وأبو نعيم في «الحلية» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧١٦].
(٦) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣].

٣٧- البلاء: عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يُصيبُ المسلمَ من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كَفَّرَ الله بها من خطاياه**»(١).

النَّصَب: أي التعب، والوَصَب: أي المرض.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمِّ السائب: «**لا تسبِّي الحُمَّى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكيرُ خبثَ الحديد**»(٢).

٣٨- الصَّرَع: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من عبدٍ يصرعُ صرعةً من مرض، إلا بعثه الله منها طاهرًا**»(٣).

٣٩- رحمة الحيوان: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينما كلب يُطيف(٤) بركية(٥) قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعتْ مُوقها فاستقت لهُ به فسقته فغُفر لها به**»(٦).

٤٠- حُسن الظن بالله تعالى: قال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني**»(٧). فمن ظن أنه يرحمه رحمه، ومن ظن أنه يغفر له غفر له.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه مسلم عن جابر، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن سعد وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٣٢٣].

(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، والضياء عن أبي أمامة، وكذا رواه ابن أبي الدنيا وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٧٤٣].

(٤) يطيف: يدور حول الشيء.

(٥) ركية: وهي البئر، و«الموقُ»: الخُفُّ.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه مسلم (٤/ ١٩) في «الذكر والدعاء» عن أبي هريرة رضي الله عنه، والبخاري في «الأدب المفرد».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«قال الله تعالى: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئًا»**(١).

فعلى العبد المؤمن المحب لربه أن يعرف جميل صفحه، ويرجو عظيم عفوه وليقول بلسان حاله:

فلما قسى قلبي وضاقتْ مذاهبي   جعلتُ الرَّجا مني لعفوكِ سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفْوِكِ   ربي كان عفوك أعظمَا

سابعًا- ليس كمثله شيء في مغفرته:

١- فمن يغفر من الناس إنما يغفر أخطاءً دون أخرى، فقد يغفر الصغائر دون الكبائر ويعفو عن القليل دون الكثير، وإذا غفر ذنبًا كبيرًا قد يتذكره لصاحبه بعد حين فيؤلمه ذلك ويثير عليه أحقاده وضغائنه مرةً أخرى، وقد حدث مثل هذا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم الرجل الذي قتل زيد بن الخطاب أخا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد كان يكره النظر إلى هذا الرجل، أما الله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يغفر الذنوب جميعًا مهما عظمت كما سلف في الشرح.

٢- قد يغفر الناسُ لمن أساء إليهم مضطرين إلى ذلك؛ لمصلحة لهم عند من آذاهم أو خشية ممَّن ظلمهم أو لضعفٍ منهم. أما الله - عَزَّ وَجَلَّ - فإنه يغفر عن عِزَّة، فقد أخبر الله عن نبيه عيسى أنه قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

ويعفو عن قدرة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، والحاكم وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣٠].

٣- قد يغفر الناس عن جهل بعظيم الجناية التي ارتُكبت في حقهم، فمنهم من لو علم مدى الإساءة من الجاني، وتفاصيل معصيته، ومكره به، وترصده له لكي يظفر منه بلحظة غفلة كي يضره، أو يسيء إليه أو علم ما كان يخفيه في صدره من خيانة وسوء طوية لما استطاع أن يغفر له أبدًا، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فإنه يعلم كل شيءٍ عن معصية العصاة الظاهر من أمرهم والباطن، ومع ذلك فإنه يغفر ويرحم، ويعفو ويتكرم ويتجاوز عما يعلم، وقد قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]؛ لذلك عندما سمع الإمام أحمد بن حنبل رجلًا يقول:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ

ولا تحسبَّن الله يغفلُ ساعةً ... أو أن ما تُخفي عليه يغيبُ

فبكى رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ودخل بيته، وأغلق عليه الباب وهو يردد: «إذا ما خلوت الدهر يومًا...».

لذلك قد جاء من الدعاء: «**اللهم اغفر وارحم واعفُو وتكرَّم، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعزُّ الأكرم**».

٤- قد يغفر العبد التقي لغيره ولكن هل يستطيع أن يمحو سيئات العاصي أو أن يُصلح حاله أو يزيد في حسناته؟ كلا لا يفعل ذلك إلا الله؛ فإن الله يعفو ويغفر ويمحو السيئات، بل ويبدلها حسنات لمن حَسُنت توبته وخلصت نيته. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران: ١٣٥]، لذلك حُقَّ للمؤمنين التائبين أن يقولوا لله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ثامنًا- دعاء الله باسميه الغفار والغفور:

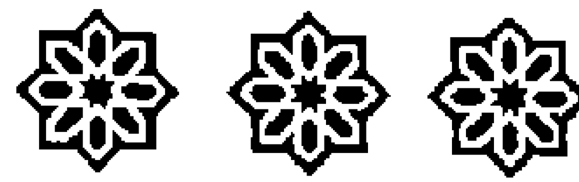
١- عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا**

اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(١)].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٢)].

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»[(٣)].

٤- عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٤)].



(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم.

«الودود» تبارك وتعالى

المعنى اللغوي:

قال ابن سيده: (الوُدُّ): هو الحب يكون في جميع مداخل الخير، ووددتُ الشيء أوده، وهو من (الأمنية) وشدة التعلق بحدوث الشيء.

مثل قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، أي: يتمنى أن يعيش ألف سنة وكقوله تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: ١١-١٢].

قال ابن العربي: اتفق أهل اللغة على أن المودة هي المحبة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وجمع بينهما الأصفهاني فقال: «الوُدُّ محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الوُدِّ؛ لأن التمني هو تشَهِّي حصول ما توده»(١).

ويأتي أيضًا بمعنى الملازمة مع التعلق، وجاء منها (الوَدَد) بمعنى الوتد لثبوته ولشدة ملازمته للخيمة وتعلقه بها، وكان أصلها الودد ثم أضغمت الدالان.

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم مرتين:

الأولى- في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

الثانية- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٣-١٤].

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص: ٣٦٠).

معنى الاسم في حق الله تبارك وتعالى:

قال ابن عباس: الودود: هو الرحيم، رواه علي بن أبي طلحة.

وقال البخاري: الودود: هو الحبيب.

قال الزجاجي فيه قولان:

أحدهما- أنه مفعول بمعنى فاعل كقولك: (غفور) بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، فيكون معنى الودود في صفات الله - عَزَّ وَجَلَّ - على هذا المذهب من أهل اللغة أنه - تبارك وتعالى - يودُّ عباده الصالحين ويُحبهم.

الثاني- أنه فعول، تقديره أنه عَزَّ وَجَلَّ مودود؛ أي: يوده عباده ويحبونه[(١)].

وقد نطق القرآن بكليهما وأثبتهما الله لنفسه في كتابه وسنة رسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدَة: ٥٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو الودود يحبهم ويحبه ... أحبابه والفضل للرحمنِ
وهو الذي جعل المحبة ... في قلوبهم وجازاهم بحب ثانِ
هذا هو الإحسان محضًا ... لا معاوضة ولا لتوقع الشكرانِ
لكن يُحِبُّ شَكُوْرَهم ... وشُكُورهم لا لاحتياج منه للشكرانِ[(٢)]

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الودود الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلئت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه وانجذبت أفئدتهم إليه؛ وُدًّا وإخلاصًا وإنابة من جميع الوجوه[(٣)].

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» (ص:١٥٢).
(٢) «النونية».
(٣) «تفسير السعدي» (٥/ ٣٠٢).

قال الخطابي: وقد يكون معناه أن يوددهم إلى خلقه كقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

وقيل: (الودود): هو المتحبب إلى أوليائه بمعرفته، وإلى الطائعين بقربه، وإلى المذنبين بمغفرته، وإلى التائبين بقبولهم وعفوه عنهم، وإلى المتوكلين، وإلى المحسنين برحمته، وإلى المتقين بنعمته، وإلى عامة الناس بعظيم إفضاله وكثير إنعامه.

وقد قيل: هو الوادُّ لأهل طاعته، والراضي عنهم بأعمالهم والمحسن إليهم لأجلها والمادح لهم بها.

ولله درُّ القائل:

ودودٌ تحبُّ الخير للخلق كلِّهم ... وتثني عليهم والثناء جميلُ
ودودٌ بلا ميلٍ ودودٌ بلا هوى ... فأنت غنيٌّ عن سواك جميلُ
لك الحمدُ مَن ترضى عنه فإنه ... عزيزٌ ومن لم ترضَ عنه ذليلُ
ودودٌ قريبٌ مِن عبادك مالِك ... مفاتيح الغيبِ ما إليه سبيلُ

وقال الشيخ السعدي: «إن الله يتودد إلى أوليائه وخواصِّ خلقه بمحبته لهم ووضع محبته في قلوبهم، غرسها غرسًا ونمَّاها كما تنمى البذرة حتى تكون شجرة، فسعدُوا بحبه في الدنيا وبقربه في دار نعيمه في الآخرة، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد فتبارك الذي جعلها - أي: تلك المحبة - وأودعها في قلوبهم ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب الأصفياء إلى حالة تتضائل عندها جميعُ المحابِّ، وتُسلِّيهم عن الأحباب، وتهونُ عليهم المصاب، وتلذذ لهم مشقة الطاعات، وتغنيهم عن محبة ما سواه»(١)،

(١) «شرح النونية» لابن القيم.

ولسان حالهم يقول:

ليتك تعفو والحياةُ مريرةٌ وليتك ترضى والأنام غضابُ
ليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحَّ منك الوُدُّ فالكلُّ هينٌ وكلُّ ما فوق التراب ترابُ

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

لهذا الاسم الكريم أثران عظيمان:

الأول- حب الله لعباده المؤمنين وعلاماته وأسبابه.

الثاني- حب المؤمنين لله تعالى وعلاماته وأسبابه.

وسنحاول فيما يلي أن نتناولها ببعض التفصيل والشرح، وسنبدأ إن شاء الله تعالى بحب الخلق لله عَزَّ وَجَلَّ، تأدبًا مع الله - عَزَّ وَجَلَّ - وسعيًا إلى حبِّه ومرضاته، عسى أن يجعلنا من أحبابه ومُحبيه.

أولاً- حب المؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ وعلاماته:

أيها الأحبة، إن الحبَّ لَشيءٌ عجيب يودعه الله قلوبَ الأصفياء من خلقه فتسعد به نفوسُهم، وتهنأ به قلوبهم، فتسهر لمناجاته الجفون، وتبكي من الشوق إليه العيون، فالحب علامة على سلامة الفطرة، ودليل على الحياة، فالكائنات من حولنا تشعر وتحب فتدقُّ بالحب قلوبها وتتأثر بها نفوسها، وقبل أن نبدأ في حبِّ المؤمنين لربهم نحبُّ أن نتعرف على بعض هذه المخلوقات حتى نعلم ماذا تعني كلمة الحب، وإليك بعضًا من الصور المشرقة من محبة تلك الكائنات ما أجملها وما أبلغها. فانظر إلى الفرس العربي وهو مشغول بحب صاحبه له ويدعو الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يحببه إلى صاحبه، وذلك في كل يوم، فكل أيامه سؤالًا للمحبة.

فعن أبي ذر رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِيٍّ إِلَّا يُؤْذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْرٍ يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ يَقُولُ اللَّهُمَّ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَنِي مِنْ بَنِي آدَمَ فَاجْعَلْنِي مِنْ أَحَبِّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ أَوْ أَحَبَّ أَهْلِهِ وَمَالِهِ إِلَيْهِ»**(١).

فالفرس العربي يحب صاحبه ويألفه ويفرح لقربه ويحزن لفقده، رُوي أن رجلًا اسمه الزعتري كان له فرس يحبه ويرعاه، وكان يخلط له الشعير بالسكر، فأحبه الفرسُ، فلما مرض الزعتريُ أضرب الفرسُ عن الطعام ووقف عند باب الحجرة التي بها صاحبه ولم يبرحه، فلما مات الزعتري انطلق الفرس إلى أحد الروابي فوق الجبل وألقى بنفسه ليلقى مصرعه حزنًا على صاحبه الذي أحبه(٢).

حتى الجماد والصخور تُحِب وتُحَب:

فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد: **«هذا جبل يحبنا ونحبه»**(٣). الله أكبر، الجبل يحب الخلق، فكيف حبه لربِّ الخلق! وقد بكى جذع النخل؛ حبًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واشتياقًا إليه وإلى ما كان يسمع من ذكر الله.

فعن جابر رضي الله عنه **قال:** كان جذع يقوم إليه النبي صلى الله عليه وسلم - يعني في الخطبة- فلما كان يوم الجمعة قعد النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر، فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق، وفي رواية: فصاحت صياح الصبي، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسَكَّتُ حتى استقرت، قال: **«بكتْ على ما كانت تسمعُ من الذِّكر»**(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، والنسائي، والحاكم في «المستدرك» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٤١٤].

(٢) من شريط «دعوة للتأمل» للشيخ علي القرني.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

تلك الكائنات تحب من أحبها وأحسن إليها، فكيف بالله عَزَّ وَجَلَّ سبحانه وبحمده، تتابعت نعمه، وزاد كرمه، وفاض بره، وأسبغ على خلقه نعمه ظاهرة وباطنة، حتى عجزوا عن إحصاء آلائه، فكيف يجب أن تكون محبتهُ وكيف غفل عنه الغافلون وأعرض عنه العصاة والمذنبون، جل جلاله وتقدست أسماؤه.

فأين البشر الذين لم تدق قلوبهم بحب الله من هذه الكائنات؟ فوالله إنها لأعقل منهم، وإن الصخر لألين من قلوبهم فإنهم أناس قست قلوبهم ولو شبهناها بالحجارة لكان ذلك ظلمًا للحجارة. وأصدق وصف لهم هو قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة: ٧٤].

فكيف يعيش العبد بغير حُبِّ رازقهِ وخالقه وإلهه ومعبوده؟ بل كيف يحيا دون أن يعرف إن كان الله يُحبُّه أم لا؛ فإنه ليس بعد الحب إلا البغض وليس بعد النعيم إلاَّ الجحيم؛ من أجل ذلك وجب على كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يتعلم حب الله عَزَّ وَجَلَّ يتعرَّف عليه ويسأل نفسه: هل يحب الله؟ وهل هو صادق في ذلك؟ وما علامات الحب الصادق لله عَزَّ وَجَلَّ؟ كذلك هل يحبه الله أم لا؟ وما علامات حُبِّ الله له؟ من أجل ذلك نحن سنتناول هذا ببعض التفصيل، نبدأ بحب العبد لربه وعلاماته وبالله التوفيق:

معنى حُب المؤمنين لربهم تبارك وتعالى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يكون العبد موحدًا صادقًا في حبه لله - عَزَّ وَجَلَّ - إلا بأربعة شروط:

أولًا- «أن يحب الله عَزَّ وَجَلَّ حبًا من جنس حب العبادة المقرون بالذلة والخضوع والافتقار والطاعة المطلقة»، حبًا لا يشابه أي حب آخر، حبًا لا يشابه حب الشهوة للنساء، ولا حب البِرّ للآباء ولا حُب الشفقة بالأبناء ولا حب النِّدِّية للأصدقاء، بل يحبه - تبارك وتعالى - حب العابد لربه، والمخلوق لخالقه، والمملوك لمالكه، والمرزوق لرازقه، حبًّا مقرونًا بالخشية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثانيًا- «أن لا يحب شيئًا مثله معه، بل ولا تبقى مثقال ذرة من هذا الحب أي: حب العبادة إلا صرفها لله وحده»، فلا يحب أحدًا غير الله - عَزَّ وَجَلَّ - مثله في النوع، وكذلك في الكمية فلا يحب أحدًا مثل الله أصلًا حتى وإن حبَّه لهذه الأشياء ليس حب العبادة، فمن فعل ذلك عرَّض نفسه لعقوبة الله عَزَّ وَجَلَّ.

فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الحسن البصري: هذه أشدُّ آية في الوعيد لمن آثر شيئًا في المحبة على الله ورسوله والجهاد في سبيله.

ثالثًا- ألا يحب شيئًا غير الله إلا من أجله، وهو الحبّ في الله تبارك وتعالى.

رابعًا- أن يبغض ما يباعده عن الله أشد من بغضه لأبغض الأشياء إليه وهي النار.

وقد جمع ثلاثة منها حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال فيه: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان، أن يكونَ اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا**

يحبُّه إلا لله وأن يكرهَ أن يعود في الكفرِ بعد إذ أنقذه اللهُ منه كما يكرهُ أن يقذف في النار»[1].

علامات محبة العبد لربه:

فإن الحبَّ لا تخفى دلائله ... كالطِّيب يخرج من حامل المسكِ

اعلم أخي الحبيب - وفقني الله وإياك إلى ما فيه رضاه - أن العبد لم يُخلق إلا ليحب الله ويعبده وهناك علامات لذلك الحب تفرق بين الصادق والكاذب؛ لأن الإنسان قد يظن أنه يحب الله - عَزَّ وَجَلَّ - وهو ليس كذلك، وقد يظن أنه قريب من الله وهو منه بعيد.

ولله در القائل:

وكلٌّ يدّعي حبًا لربي ... وربي لا يقرُّ لهم بذاكَا
إذا انسكبتْ دموعٌ في خدودٍ ... تبيَّن مَن بكى ممن تباكَا
فأما مَن بَكى فيذوبُ وجدًا ... وينطقُ بالكذبِ من قد تبَاكا

ولله در القائل:

فكم من غافلٍ وهو يظن أنه من الذاكرين
وكم من عاصٍ وهو يظن أنه من الطائعين
وكم من كفورٍ وهو يظن أنه من الشاكرين
وكم من جهولٍ وهو يظن أنه من العالِمين

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، وابن ماجه عن أنس.

وكم من عبدٍ يدعوه الله عَزَّ وَجَلَّ ليقلع عن ذنبه، ويعود إلى ربه، وينعم بحبه وهو معرض عنه، ويظن أنه من المقبلين عليه، المتقربين إليه وليس هذا إلا لأنه يحكم بهواه، ويتبع الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءه من ربه الهدى، ويصدق على هؤلاء قول القائل:

تطوى المراحل عن حبيبك دائمًا وتظل تبكيه بدمع ساجمِ
كذبتك نفسك لست من أحبابه تشكو العباد وأنت عين الظالمِ

ولهذا وأمثاله نقول: أفق وأدرك ما فاتك، فوالله لو ضاعت منك الفرصة وانتهت حياتك وأنت على هذا لتكونن من الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

فأزل عن عينيك غشاوة المعاصي وعن قلبك حكم الهوى، من قبل أن ينطبق عليك قول القائل:

أتتركُ من تحب وأنت جار وتطلبهم إذا بعد المزارُ
تركتَ سؤالهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديارُ
فنفسك لُم ولا تلُم المطايا ومُتْ كَمَدًا فليس لك اعتذارُ

فمن أحب الله حقًا ظهرت عليه علامات الحب؛ فإن الحب في القلب ولكن تظهر آثاره على البدن كله. فقد قال رسول الله ﷺ: «**في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

لذلك يكون حب الله عَزَّ وَجَلَّ اعتقادًا بالجنان، وقولًا باللسان، وعملًا بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمن هذه العلامات:

---

(١) أخرجه البخاري [٥٢] ومسلم [١٥٩٩] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

١- طاعة الله وترك معصيته:

تعصي الإلهَ وأنت تزعمُ حبَّه ... هذا وربِّي في القياس بديعُ
إن كنتَ صادقًا في حبه لأطعتَه ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ

وقال آخر:

وكن لربك ذا حبٍّ لتخدمَه ... إن المحبين للأحباب خُدَّامُ

٢- اتباع النبي ﷺ في كل شيء:

بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنهم يحبون الله فابتلاهم أي: امتحنهم بهذه الآية: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكانوا يسمونها آية المحنة[(١)]، فإذا صدقوا في دعواهم واتبعوا رسول الله ﷺ أحبهم الله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك أعظم لهم من أن يحبوه، قال بعض السلف: «ليس الشأنُ أن تُحِب ولكنَّ الشأن أن تُحَبُّ». أي: ليس الشأن أن تُحِبَّ الله؛ لأنه قد يكون حبُّك هذا ادعاء لكن الشأن أن يُحِبَّك الله؛ لأن الله لا يحب إلا الطيبين. قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا**»[(٢)].

٣- حب القرآن:

قال رسول الله ﷺ: «**مَن سرَّه أن يحبَّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[(٣)].

---

(١) المحنة: الاختبار والامتحان.

(٢) أخرجه مسلم [١٠١٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن: رواه أبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود، وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٣٤٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله؛ فإنما القرآن كلام الله».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا أُهدي إليه المصحف يفرح به ويقول: كلام ربي كلام ربي.

وقال أيضًا: «اطلب قلبك عند ثلاثة مواضع؛ عند قراءة القرآن، ومجالس العلم، ووقت السحر، فإن لم تجد قلبك فسل الله أن يمُن عليك بقلبٍ؛ فإنك لا قلب لك».

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «لو طهرتْ قلوبكم ما شبعتْ من كلام ربكم».

وقال الفضيل بن عياض: «كفى بالله حبيبًا، وبالقرآن مؤنسًا، وبالموت واعظًا. ومن لم يتخذ الله صاحبًا، والقرآن مؤنسًا فلا آنس الله وحشته».

وكان بعض المشايخ من محفِّظي القرآن يُقْسم أنه عندما يقرأ القرآن يشعر بحلاوة العسل تنزل في ريقه: «اللهم ارزقنا حلاوة ذكرك يا كريم»آمين.

٤- الشوق إلى لقاء الله - تبارك وتعالى - ورؤية وجهه الكريم:

ودِدْتُ أن جوانحي وجوارحي ... مقلٌ تراك وما لهنَّ جفون

ودِدْت دمعَ الخافقين لمقلتي ... حتى عزيز الدمعِ فيك يهون

أخي الكريم، هل رأيت حبيبًا لا يحب رؤية حبيبه؟ فمن أحب أحدًا أحب رؤيته؛ لذلك يبيت المؤمنون ويصبحون وهمُّهم الأكبر لقاء الله رؤيته، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت :٥].

قال أبو عثمان الحيري: هذه تعزية للمشتاقين معناه: إني أعلم أن اشتياقكم إليَّ غالب، وأنا أجَّلت أجلًا وعن قريب يكون وصولكم إلى ما تشتاقون إليه[١]، وهو لقاؤكم بي ورؤيتكم لي.

---

(١) من كتاب «موارد الظمآن في محبة الرحمن» للدكتور سيد العفاني (ص:١٥٩).

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده من الشوق إلى لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ ما أذهب صبره على لقاء ربه الرحيم ورؤية وجهه الكريم حتى كان يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ ويدعوه به ويتمنى حدوثه، فانظر إلى دعائه ورجائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث يقول: **«وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضرَّاء مُضرَّة ولا فتنةٍ مضلَّة، اللهم زَيِّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»**(١).

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه ولما يُسئل عن ذلك يقول: **«إنه حديثُ عهدٍ بربه»**(٢).

ومن أجل ذلك يكون أعظم نعيم لأهل الجنة هو رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، فإذا رأوه تضاءلت أمام رؤيته كلُّ اللذات وشغلوا به عما سواه، ولسان حالهم يقول:

ولو أن عيني إليك الدهر ناظرة ... جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو لم أعلم أني سأرى الله يوم القيامة لما عبدته».

٥- الحب في الله والبغض في الله:

ففيه حلاوة الإيمان، وهو أوثق عُرى الإيمان: عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله، وأنْ يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»**(٣).

---

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٤/ ١٣٠٥) من حديث عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم [٨٩٨] من حديث أنس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) سبق تخريجه.

وقال رسول الله ﷺ : «**أوثق عُرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

وبه كمال **الإيمان**: قال رسول الله ﷺ : «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»(٢).

معنى الحب في الله:

قيل: وحدُّ الحب في الله: هو كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوَّر وجوده فهو حب في الله يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقال يحيى بن معاذ: الحب في الله لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء، أي: لا يزيد بأمرٍ من أمور الدنيا من الهدايا والعطايا إنما يزيد بالطاعة والهداية، ولا ينقص بالبُعد والجفاء وإنما ينقص بالمعصية والتقصير.

وقال رسول الله ﷺ : «**ما تَوادَّ اثنان في الله فيفرَّق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدُهما**»(٣).

ولا يكون للأنساب والرحم: قال النبي ﷺ : «**إن من عباد الله لعبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء قيل: مَن هم لعلَّنا نحبُّهم؟ قال: هم قومٌ تحابوا بروح الله على غير أموال ولا أنساب**»(٤).

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والطيالسي، والحاكم، والطبراني في «الكبير والأوسط» عن ابن مسعود وأحمد، وابن أبي شيبة، وابن نصر عن البراء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم [٤٣١٢].

(٢) صحيح: رواه المقدسي في «الضياء المختارة» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٨٠] و«صحيح الجامع» [٥٩٦٥].

(٣) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» عن أنس وصححه الألباني في «الصحيحة» [٦٣٧] و«صحيح الجامع» [٥٦٠٣].

وانظر إلى مصعب بن عمير وكيف كان حبه في الله: ففي غزوة بدر أَسِرَ بلالُ بن رباح رضي الله عنه أخا مصعب بن عمير رضي الله عنه فرآه مصعبُ فقال لبلال: يا بلال! شدَّ وثاق أسيرك، فإن له أُمًّا غنية ستفديه بمالٍ كثيرٍ. فقال له أخوه: أتقول هذا وأنا أخوك؟ فقال له مصعب: إن بلالًا أخي دونك!

أحق الخلق بالحب في الله:

أولاً- رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده**»(٢). وقال أيضًا: «**لا يؤمن عبدٌ حتى أحبَّ أكون إليه من أهله وماله والناس أجمعين**»(٣).

ثانيًا- أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **من المهاجرين والأنصار:** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغض الأنصار**»(٤). وقال أيضًا في الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»(٥).

ثالثًا- حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم، وأحبوني لحبكم لله وأحبوا أهل بيتي لحبكم لي**»(٦).

وحبهم يعني ودهم والحفاظ عليهم ورعايتهم وصلتهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أُذَكِّركم الله في أهل بيتي، أُذَكِّركم الله في أهل بيتي**»(٧)، وليس كما يفعل عبادُ القبور بالطواف حول المقامات والقبور، والنذر لها، والنحر عندها فإن ذلك

(١) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن.
(٢) صحيح البخاري رقم الحديث ١٤ (١/ ٥٨).
(٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه.
(٥) متفق عليه.
(٦) رواه الترمذي.
(٧) رواه مسلم.

من الشرك الذي نهى عنه الله ورسوله؛ لذلك قال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه لمن غالى في حبهم: «أحببتمونا حتى أصبح حُبُّكم عارًا علينا».

٦- الرضا بقضاء الله وقدره:

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ابتلاء الأنبياء والصالحين: «**إنْ كان أحدهم لَيُبْتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»(٢).

٧- حب الصلاة والشوق إليها:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الشوك والمُحمَى من الإبرِ
لم نبلغ العُشر من معشار نعمته ... ولا العُشيرَ ولا عُشْرًا من العُشرِ
أنت الحبيبُ وأنت الحبُّ يا أملي ... من لي سواك ومن أرجوه يا ذُخري

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، وقال تعالى في وصفه لعباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة**»(٣)، وكان يقول: «**يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها**»(٤).

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (ج:١٦/ ٨٤٧٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨-١٩٩) والنسائي (٣٩٤٩)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الحافظ: إسناده حسن وانظر «التلخيص الحبير» (٣/ ١١٦)، و«صحيح سنن النسائي» [٣٦٨٠].

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٤)، وأبو داود (٤٩٨٥) وانظر: «صحيح سنن أبي داود» [٤١٧١].

وكان يصلي من الليل حتى تتورم قدماه، ويقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١).

وكان إذا نودي للصلاة خرج وترك أهله وولده، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة(٢)، وربما ترك أحبَّ الناس إليه من أجل صلاته بالليل.

عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: «**يا عائشة، ذَرِيني أتعبد لربي**» قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرُّك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض(٣).

٨- ذكر الله والإكثار منه:

وإذا ذكرتُكَ كاد الشوق يقتلني ... وأرقتني أحزانٌ وأوجاع

فإذا نطقت صار كلي فيك ألْسِنة ... وإذا سمِعْتُ صار كُلي فيك أسماع

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله**»(٤)، وقال أيضًا: «**سَبَق المُفَرِّدون**»، قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠/ ٤٨٣٧) ومسلم (٢٨١٩/ ٢٨٢٠) من حديث المغيرة وعائشة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري [٦٧٦] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح: رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم» وابن حبان، وصححه الألباني.

(٤) حسن: رواه ابن حبان، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [١٦٥].

(٥) رواه مسلم، والترمذي.

المفردون: الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه وبقوا هم يذكرون الله، قال ابن الأعرابي: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس بمراعاة الأمر والنهي.

وقال ﷺ: «**وعليكَ بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض**»(١).

أخي الحبيب: إن الله يذكر المؤمنين ولا ينساهم، فكيف ينساه المحبون الصادقون في حبهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣]. فإذا ذكرته ذكرك مرة ثانية، قال تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم**»(٢).

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ وقيل: ليس العجب قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾، ولكن العجب كله من قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾.

أخي الحبيب: هل تعلم أنه ما من شيء في هذا الكون إلا يحب الله ويذكره، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ وقال النبي ﷺ: «**ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم**»(٣).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]

---

(١) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٢٥٤٣].

(٢) متفق عليه.

(٣) حسن: رواه ابن السني، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمرو بن عبسة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٥٥٩٩].

أخي الحبيب: هل سمعت نداء الله لك بأن لا يلهيك عنه شيء؟ وما عسى أن تكون الإجابة؟ إن إجابة هذا النداء لا تكون إلا بدمع العيون ورقة القلوب وحنينها إلى هذا الإله العظيم والربِّ الكريم، وقل كالذي قال:

ما عنك يشغلني مالٌ ولا ولدٌ نسيتُ باسمك ذكرَ المالِ والولدِ
فلو سُفِكَتْ دمائي في الترب بها حروف اسمك لم تنقص ولم تردِ

وانظر إلى المحبين الصادقين وكيف كان ذكرهم لرب العالمين.

رسول الله ﷺ لا يأتي عليه وقت إلا وهو ذاكر لربه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه(١).

حتى في النوم، فقد قال النبي ﷺ: «**يا عائشة! إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»(٢).

أبو الدرداء يسبح مائة ألف تسبيحة في كل يوم: قيل لأبي الدرداء، وكان لا يفتر عن الذكر: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع(٣).

وانظر إلى أحمد بن حرب: قال زكريا بن دلويه: كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجام ليُحفي شاربه، يسبح فيقول له الحجام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك وربما قطع من شفته وهو لا يعلم.

٩- حب الموت مع الراحة والعافية:

١- قال أبو عثمان النيسابوري: علامة الاشتياق حُبُّ الموت مع الراحة والعافية، فإن يوسف حين ألقي في الجب لم يقل: توفَّني وحين أدخل السجن لم يقل توفَّني وحين

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه.
(٢) رواه البخاري، والنسائي، ومالك، وأحمد، وأبو داود، والطحاوي عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٠٠).

مُكِّن في الأرض وأصبح من الملوك وتمت له النعمة قال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس لربه فقد كان يتعجل لقاءه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «**إن الله خَيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبدُ ما عند الله**»، قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر رضي الله عنه أعْلَمَنا[(١)].

أبو الدرداء: كان من المشتاقين، فيقول رضي الله عنه: أحبُّ الجوع والمرض والموت، فقيل له: «إنك تحبُّ أشياء لا يحبها كثيرٌ من الناس، فقال: أنا إن جُعْت رقَّ قلبي، وإن مرضت خفَّ ذنبي، وإن متُّ قابلت ربي».

ومعاذ بن جبل: يستعذب الموت للقاء الله فيقول عند موته: «اخنق خنقك فوالله إني لأحبك».

وروي أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت لما أتاه ليقبض روحه: «هل رأيتَ خليلًا يميتُ خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه: قل له: هل رأيتَ خليلًا يكره لقاء خليله؟ فقال: يا ملكَ الموت، الآن فاقبض»[(٢)].

وفي رواية أخرى: «قال ملك الموت: يا رب، إن عبدك إبراهيم جزع من الموت، فقال: قل له: الخليل إذا طال به العهد من خليله اشتاق إليه، فبلغه فقال: نعم يا رب، قد اشتقت إلى لقائك، فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها».

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب «فضائل الصحابة» (٣٦٥٤-٧/ ١٢).

(٢) قال ابن حجر في «فتح الباري» عند شرحه لحديث «من أحب لقاء الله» ذكر بعض الشراح: أن إبراهيم عليه السلام ... إلخ، «فتح الباري» (١١/ ٣٦١).

وصف جامع في المحبة

اجتمع الشيوخ في مكة - شرَّفها الله - فتذاكروا أشياءً في المحبة، فقالوا للجُنَيد وكان أصغرهم سنًا: «هاتِ ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه وقال: عبد[1] ذاهبٌ عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرق قلبه نور هيبته، وصفا شربه من كأس مودته، فانكشفت له صفات الجبار من أستار غيبه، فإن نطق فبالله، وإن تكلم فعن الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين».

حب الله لعباده الصالحين وعلاماته

أولاً- فضل حب الله للمؤمنين:

قال بعض الصالحين: ليس الشأن أن تُحب ولكن الشأن أن تُحَب، أي: ليس الأمر أن تظن أنك تحب الله، ولكن الشأن العظيم أن يحبك الله؛ لأن الله لا يحب إلا من استحق ذلك الحب. ولحبِّ الله لعبده فضائل كثيرة، بل الخير كله تابع لتلك المحبة.

فمن هذه الفضائل:

١- أحباب الله هم الطيبون:

قال النبي ﷺ: «**إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا**»[2]، فإن كان الله لا يقبل إلا طيبًا فكيف يحب من لم يكن طيبًا.

---

(١) أي: العبد المُحِبُّ لله سبحانه.

(٢) تقدم تخريجه.

٢- إن الله يدافع عن أحبابه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وجعل لأوليائه النصيب الأعظم من هذا الدفاع، فقال تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»(١).

٣- إن الله لا يعذب أحبابه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال بعض الشيوخ لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا عليه الشيخ هذه الآية: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، وهذا الذي قال حسن وله شاهد في «المسند» للإمام أحمد أنه قال: مرَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني، وسعت فأخذته، فقال القوم: يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ولدها في النار، قال فَخَفَّضَهُمُ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**وَلَا ءُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يُلْقِي حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(٢).

٤- يحبه جبريل وأهل السماء (ويحببه إلى خلقه):

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا أحبَّ الله تعالى العبد نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل فيُنَادِي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»(٣).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد في «المسند» عن أبي عدي عن حميد عن أنس، وتفرد به أحمد.

(٣) متفق عليه.

ثانيًا- معنى محبة الله للمؤمنين:

إن الله طيب غاية الطيب، جميل غاية الجمال، كامل الصفات والنعوت غاية الكمال فإذا أحب أحدًا فلابد أن يكون جميلًا طيبًا؛ فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يحب كما يُحب الخلق بعضهم بعضًا فإن الخلق قد يحدث بينهم الحبُّ لصلة النسب أو للهوى والدنيا، أما الله جل جلاله فلا يحب بالهوى ولا للدنيا فإنها لا تزن عنده جناح بعوضة فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، فإذا أحب الله أحبَّ بالحق، وإذا أبغض أبغض بالحق.

ولله در القائل:

ودودٌ بلا ميل ودودٌ بلا هوى فأنت غنيٌّ عن سواك جميلُ

لذلك نجد أن حب الله - تبارك وتعالى - لعباده مقرونًا بصفات طيبة وأعمال صالحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، وقال أيضًا: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وكذلك بغضه لا يكون إلا للمعصية والعصاة والطغيان والطغاة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، و قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثالثًا- من أسباب حب الله للعبد:

أولًا- اتباع النبي ﷺ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ثانيًا- التقرب إلى الله جل جلاله بالنوافل بعد الفرائض: قال تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه**»(١).

ثالثًا- القرآن الكريم: قال النبي ﷺ: «**ما أَذِن الله لشيءٍ ما أَذِن لنبيٍّ حَسَنِ الصوتِ يتغنَّى بالقرآن يجهر به**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٣).

رابعًا- الحب في الله، والتجالس في الله، ونحو ذلك: قال تعالى في الحديث القدسي: «**وَجَبت محبتي للمتحابين فِيَّ، والمتجالسين فِيَّ، والمتباذلين فِيَّ، والمتزاورين فِيَّ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه، ومعنى (أذِن الله) أي: استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول.

(٣) رواه البخاري (١١/ ٣٤٧-٣٤٨) رقم الحديث [٧٣٧٥].

(٤) رواه أحمد في مسنده، والطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن معاذ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٣١]، و«المشكاة» [٥٠١١].

وقال عزَّ وجلَّ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ».

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُول يَوْم الْقِيَامَة: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِجَلَالِي؟ الْيَوْم أُظِلّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْم لَا ظِلّ إِلَّا ظِلِّي»(٢).

خامسًا- حبُّ الأنصار: عن البراء قال: قال النبي ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»(٣).

سادسًا- الزهد في الدنيا: عن أبي العبَّاس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: «ازهد في الدنيا يُحبَّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناسُ»(٤).

سابعًا- قوة الإيمان: قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»(٥).

ثامنًا- المداومة على العمل الصالح: قال النبي ﷺ: «أحبُّ الأعمال إلى الله أَدْومها وإن قلَّ»(٦).

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني في «الكبير» والحاكم في «المستدرك»، عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٤٣٢١].

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه.

(٤) حديث حسن: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة، قال الألباني: يتقوى الحديث بغير طريقه وبشواهد خرَّجتها في «الصحيحة» [٩٤٤].

(٥) رواه مسلم.

(٦) أخرجه البخاري [٦٤٦٤] ومسلم [٧٨٣] من حديث عائشة رضي الله عنها.

تاسعًا- ثلاث خصال من حسن الخلق: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «**إنَّ الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»(١).

عاشرًا- أن يُعطيه الدين والإيمان: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحبَّ»(٢).

وفي رواية: «... ولا يُعطي الإيمان إلا من أحبَّ».

الحادي عشر- التماس مرضاة الله: عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ العبد يلتمس مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ فلا يزال كذلك، فيقول: يا جبريل! إن عبدي فلانًا يلتمس أن يرضيني برضائي عليه، قال: فيقول جبريل** عليه السلام: **رحمة الله على فلان، وتقول حملة العرش، ويقول الذين يلونهم حتى يقول أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض**»، ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وهي الآية التي أنزل الله عليكم في كتابه:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ **وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «يا جبريل! إن فلانًا يستسخطني، ألا وإنَّ غضبي عليه» فيقول جبريل: غضب الله على فلان وتقول حملة العرش ويقول من دونهم، حتى يقوله أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض**»(٣).

الثاني عشر- هؤلاء الثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم: عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ثلاثة يُحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسه لله عَزَّ وَجَلَّ فإما أن يُقتل، وإما أن ينصره الله عَزَّ وَجَلَّ ويكفيه فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟، والذي له امرأة حسنة**

---

(١) رواه مسلم: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والمراد بـ «الغني» غنى النفس.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧) والحاكم (٢/ ٤٤٧) وصحح الحاكم رفعه وصحح الدارقطني الوقف.

(٣) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (جـ: ١٠/ ٢٧٢).

وفراش لين حسنٌ فيقوم من الليل، فيقول: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا، فقام من السَّحَر في ضراء وسراء»[1]. فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - أحق من يجاهد في سبيله وأعظم من سُهر من أجله.

ولله در القائل:

سـهر العيـون لغـير وجهـك باطـلُ وبكـاؤهنَّ لغـير فقـدك ضـائعُ

رابعًا- علامات محبة الله للعبد:

كما أن حب المؤمنين لله له علامات تؤكده، فإن لحب الله لعباده علامات كذلك وهي كالبشرى العاجلة لهم؛ لتطمئن بها قلوبهم، وتسعد بها نفوسهم فيا سعادة من وُفق وكانت فيه هذه العلامات أو بعضها، ويا لفرحة من أكرمه الله بحبه وأسعده بقربه! وسنذكر هنا بعض هذه العلامات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى قال: وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه ولئن استعاذني لأعيذنه**»[2].

١ - **كنت سمعه الذي يسمع به**: أي لا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه كسماعه للدعوة إلى الله ولكلام الله ورسوله؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما أذن الله لشيءٍ ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنَّى بالقرآن يجهر به**»[3].

---

(١) حسن: أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٥) و«الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٥٥٦).

(٢) رواه البخاري (١١/ ٣٤١) مع «الفتح».

(٣) سبق تخريجه.

وكذلك لا يحب الاستماع إلى السوء من القول كالكذب والغيبة وغيرها؛ فإن الله لا يحب ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

وكذلك يعرض عن اللغو والغناء المحرم، قال الله في صفات عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وقد يكون سمعه الذي يسمع به أيضًا أن يرزقه الفراسة في الأقوال فيعرف ما تعنيه كلمات الحق أو كلمات الباطل فيعرف أصناف الناس من خطابهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

قال ابن كثير في هذه الآية: أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يُفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

وفي الحديث: «ما من عبد أسرَّ سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر»(١). وقد يعني بذلك أيضًا أن يكون حكمه على ما يسمع بشرع الله تبارك وتعالى، فالطيب ما كان في الشرع طيبًا، والخبيث ما حكم عليه الشرع بالخبث مهما كان فيه تزيين الشيطان وإغراؤه.

٢- وبصره الذي يبصر به: فيُحب النظر لآيات الله الكونية مثل السماوات والأرض وما فيها أو الشرعية مثل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (جـ: ٤/ ١٧٥).

ولا يحب النظر إلى ما حرَّم الله كأن يشاهد من الباطل أو يحضره، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢]، و(الزور) قيل: هو الشرك وعبادة الأصنام، فلا يشهدونه ولا يحضرونه.

وقيل: هو أعياد المشركين، وقال عمرو بن قيس: «هي مجالس السوء والخنا»، وقال محمد ابن الحنفية: «هو اللغو والغناء».

وقال مالك عن الزهري: شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر**»[(١)] اهـ.

وقد يكون ذا بصيرة فيما يراه من كثرة حفظه لنظره وبعده عن الحرام. فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى بنور الله، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيءٍ قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن[(٢)].

وقال شاه بن جاع الكرماني: «من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن الحرام، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد الحلال لم تخطئ فراسته»، وكان شاه هذا لا تخطئ له فراسة[(٣)].

٣- **ويده التي يبطش بها:** أي لا تمتد يده إلا إلى ما يحب الله ويرضى كالتعاون على البر والتقوى، ويكفها عما حرم الله تعالى فلا يمس بها مالا يحل له كالنساء الأجنبيات أو يأخذ بها ما ليس له كحقوق الناس ولا تمتد بالأذى كأن يضرب أو يظلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**المسلمُ مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**»[(٤)].

---

(١) ابن كثير (جـ:٣/ ٣١٣).

(٢) رواه البخاري.

(٣) من كتاب «البحر الرائق» للشيخ/ أحمد فريد.

(٤) متفق عليه.

وقد كان لرسول الله ﷺ أعظم النصيب من هذا الحب؛ ولذلك فقد قالت عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسولُ الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيءٌ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى»(١).

٤- **ورجله التي يمشي بها:** فلا يمشي إلى ما حرم الله من الأعمال والأماكن، فقد قال النبي ﷺ: «**والرِّجل زناها الخطا**»(٢).

ولا يتكبر في مشيته، فإنها مشية يبغضها الله ورسوله، فقد قال النبي ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلَّة تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ رأسه يختال في مشيته؛ إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»(٣).

ولكنه يسعى في الخير كالجهاد في سبيل الله، فقد قال النبي ﷺ: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها**»(٤).

أو المشي إلى المساجد، فقد قال النبي ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ الله له في الجنة نزلًا كلما غدا أو راح**»(٥).

٥- **وإن سألني أعطيته:** فأي أجر أعظم من هذا، وأي جائزة هي أفضل من أن يعطيه الله ما سأل، فمن ذلك ما أكرم الله به أصحاب الكهف من الآيات العظيمة حين قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾، وحين قال يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم «القدر» (١٦/ ٢٠٥-٢٠٦).
(٣) متفق عليه، مُرَجَّل: أي: ممشط، يتجلجل: أي يغوص وينزل.
(٤) رواه البخاري (٦/ ١٣) «الجهاد»، ومسلم (١٣/ ٢٧) «الإمارة».
(٥) متفق عليه.

٦- **ولئن استعاذني لأعيذنَّه**: وإذا استعاذ بالله من شرٍّ فتنةٍ أو بطش ظالم أعـاذه الله فمن ذلك:

حفاظته ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين راودته امرأة العزيز عـن نفـسه، فقـال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ فأعاذه الله من ذلك.

وكفايته من بطش الطغاة لطفل أصحاب الأخدود، فكلما أرادوا قتله قال:«اللهم اكفنيهم بما شئت»، فيكفيه الله وينجيه ويهلك أعداءه.

عصمته لعاصم بن ثابت من نجس المشركين: فقـد قَتَـل عاصـم بـن ثابـت اثنـين مـن المشركين يوم أحد، فنذرت أمهما أن تقتل عاصمًا وتشرب في قحف رأسه الخمر وجعلـت لمـن جاء برأسه مائة ناقة، فلما غدرت هُذَيل بالمسلمين وأرادوا قتل عاصم بن ثابـت قـال: اللهـم إني أحمي لدينك، وأدفع عنه، فاحم لحمي وعظمي ولا تُظفر بهما أحدًا من أعداء الله.

وقال أيضًا: اللهم إني حميت دينك أول النهـار فـاحمِ جـسدي آخـره، فلـما قُتِـل أحاط به الدبر وهو النحل والدبابير فما استطاع أحدهم لمسه، فقالوا: دعـوه إلى الليـل، فبعث الله الوادي فاحتمل عاصمًا فذهب به، فلما بلغ عمر بن الخطاب مـا حـدث قـال: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع في حياته[(١)].

٧- **حسن الخاتمة**: قال النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إذا أراد الله - عـز وجـل - بعبـدٍ خيرًا عَسَّله**» قيل: وما عسَّله؟ قال: «**يفتح الله - عز وجل - له عملًا صـالحًا قبـل موتـه ثم يقبضه عليه**»[(٢)].

---

(١) انظر: كتاب «الجزاء من جنس العمل» (٢/ ٤٢-٤٣) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤)، وابن حبان (٣٤٢/ ٣٤٣)، والحاكم (١/ ٣٤٠) من حديث عمرو بـن الحمـق رضي الله عنه، وصححه الحاكم.

وقال أيضًا: «مَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فقالت عائشة رضي الله عنها: إنا لنكره الموت، فقال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحبَّ إليه مما أمامه، فأحبَّ لقاء الله فأحبَّ الله لقاءه»[١].

وروي عن عائشة رضي الله عنها: «إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا قيَّض له قبل موته بعامٍ ملكًا يسدده ويوفِّقه حتى يقال: مات بخير ما كان، فإذا حُضِر ورأى ثوابه اشتاقت نفسه، فذلك حين أحبَّ لقاء الله وأحب الله لقاءَه»[٢].

ليس كمثله شيء في محبته[٣]:

فكل من أحب غير الله فنسأله بعض الأسئلة ومن إجابته عليها سيعلم الفرق بين حب الله وحب غيره:

- هل عَلِم من تحبه أنك تحبه وكم تحبه؟

- هل إذا علم محبتك له بادلك المحبة وأحبك هو أيضًا؟

- هل إذا أحبك من تحب تَضْمَن ثباتَه على ذلك الحب وألا يتقلب عليك قلبُه ويتحول عنك حُبُّه؟

- وهل إذا أحبَّك تضمن ألا ينافسك في محبته غيرُك فينصرف عنك ويهجرك؟

- وإذا ضمنت ذلك كله هل تضمن بقاءه معك لتنعم بحبه وتهنأ بقربه؟

الإجابة عن هذه الأسئلة بكلمة واحدة وهي: «لا».

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٥٧).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر فقال: عن عبد بن حميد عن عائشة مرفوعًا، انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «معنى محبة العبد لربه ومعنى محبة الله لعباده المؤمنين».

فلا تتوافر هذه الشروط إلا في حبِّ الله وحده، فمن ذلك:

١ - أنه يعلم محبتك له وكم تحبه من غير أن تتكلم؛ فإنه يعلمها من قلبك فإنه عليم بذات الصدور.

٢ - ولا نقول إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يبادل الناس المحبة، إنما نقول إن الله - تبارك وتعالى - يحب أحبابه قبل حبهم له، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، فقدم محبته لهم على محبتهم له.

٣- وحبُّ الله للخلق لا يغيره شيء إلا أن يغير العبد ما بنفسه تجاه ربه فينقض عهده ويترك وده، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما من قوم كانوا على ما يغضب الله فتحولوا عنه إلى ما يرضيه إلا حولهم الله مما يغضبهم إلى ما يرضيهم، وما من قوم كانوا على ما يرضي الله - عَزَّ وَجَلَّ - فتحولوا عنه إلا ما يغضبه إلا حولهم الله مما يرضيهم إلى ما يغضبهم».

٤ - وكثرة المتنافسين على حب الله لا تزيدهم عنده إلا محبة لهم ورضا عنهم، ولا يشغله بعضهم عن بعض؛ فإن الطريق إلى الله يتسع لهم كلما تنافسوا فيه.

٥ - حبُّ الله لأحبابه باقي لا يفنى إذا ماتوا على ذلك فهو معهم في الدنيا، وفي القبر وفي الدار الآخرة، فقد قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: «**يا محمد، عِشْ ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلمْ أن شَرَف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس**»(١).

وصدق من قال:

ومَنْ كانتْ لغير الله خُلَّته ... فخليلُه منه على خطرِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [٤٢٧٨]، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٣١): إسناده حسن.

دعاء الله باسمه «الودود» جل جلاله وتقدست أسماؤه

فإن الحبَّ وحيٌ وإلهامٌ لا يأتي به إلا الله، فمن أراده على الحقيقة سأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه إياه، وتأمل - أخي الحبيب - هذا الدعاء لنبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانظر ماذا كان يسأل:

١ - عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كان من دعاء داود** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **اللهم إني أسالك حبك، وحبَّ من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك. اللهم اجعل حبك أحبَّ إليَّ من نفسي، وأهلي ومن الماء البارد»**[١].

٢ - فقد علَّم الله نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله حبه وحبَّ من يحبه، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: **«قل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك، وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك»**[٢].

أحب الكلام إلى الله ورسوله:

«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»

عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[٣].

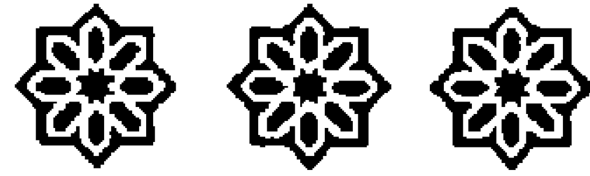
---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وقال الشيخ الألباني: قلتُ: كذا قال الترمذي: وفيه نظر ظاهر فإن في سنده عبد الله بن ربيعة الدمشقي وهو مجهول كما قال الحافظ.

(٢) أخرجه الترمذي (جـ٥٥/ ٣٢٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل وهو الإمام البخاري عن هذا الحديث فقال: حديث حسن صحيح.

(٣) متفق عليه.

وعـن أبي ذر رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخـبرك بأحـبِّ الكلام إلى الله؟ إنَّ أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[1].



(١) رواه مسلم.

«الرفيق» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الرفق: ضد العنف، يرفق رفقًا: لَطَف. قال الليث: الرِّفق لين الجانب ولطافة الفعل.

وروده في الحديث الشريف:

عن عَائِشَةَ زَوْجِ النبي ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**يا عَائِشَةُ! إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطى على الرِّفْقِ ما لَا يعطي على العُنْفِ وما لَا يعطي على ما سِوَاهُ**»(١).

المعنى في حق الله سبحانه:

قال القرطبي: فهو الرفيق: أي الكثير الرفق، أي عظيم اللِّين والتسهيل، وضده العنف والتشديد، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى: التمهل في الأمور والتأني فيها وعلى هذا يكون «الرفيق» في حق الله تعالى بمعنى (الحليم) فإنه لا يعجِّل بعقوبة العصاة ليتوب من سبقت له العناية ويزداد الظالم طغيانًا وظلمًا.

وقال الخطابي: قوله ﷺ: «إن الله رفيق» معناه: ليس بعجول وإنما يعجل من يخاف الفوت (أي يفوته شيء) فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها.

قال ابن القيم:

وهو الرفيقُ يحبُّ أهلَ الرفقِ يعطيهم بالرِّفق فوقَ أمانِ

---

(١) رواه مسلم في «البر» (٤/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أن الرفيق اسمٌ من أسماء الله تعالى، وأن الرِّفق صفة من صفاته سبحانه ويظهر رفقه بِخَلْقِه في كل شيء؛ ومن ذلك.

١- رفقه بهم في الشرع والأحكام:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

و قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد شرع اللهُ لنبيه من الدين أيسره وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك صاحبيه أبا موسى، ومعاذًا رضي الله عنهما فقال: **«يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنفِّرا»**(١).

٢- رفق الله بالعصاة والمذنبين:

وهذا أظهر ما يكون عند الله سبحانه إذ لا يعجل بعقوبة العصاة ويؤاخذهم بما كسبوا. حتى لو عاقبهم فلا يعاقبهم على كل فعالهم قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٨].

ويدعوهم إلى التوبة ليلًا ونهارًا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ»**.

٣- إن الله رفيق يحب الرفق ويعلمه خلقه:

فمن ذلك أن الله سبحانه جعل ثوابًا للرفق لم يجعله لغيره قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«يا عَائِشَةُ! إِنَّ الله رَفِيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لَا يعطي على العُنْفِ وما لَا يعطي على ما سِوَاهُ»**(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم في «البر» (٤/ ٢٠٠٣-٢٠٠٤).

ويحب الرفق في الأمر كله:

فإن الرفق يزين الأخلاق ويجمل الخصال والأفعال، فهو زينة في نفسه ولغيره وإذا نُزِعَ من شيء قبَّحه وشوَّهه.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[1].

الرفق حتى مع الأعداء:

فإن الرفق خيرٌ كله حتى مع الأعداء فإنه يعمل في النفوس أثر السحر، فإن رفقت بعدوك أعطيته فرصة كي يتكشَّف له خطؤه، وتظهر له حماقاته، ويعرف حُسن أخلاقك أما العنف فإنه يطمس البصائر ويجعل الإنسان جائرًا.

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وانظر إلى صاحب الخلق العظيم ﷺ وهو يدفع بالتي هي أحسن ويرفق في معاملته مع من؟ مع أغلظ الناس قلوبًا وأكذبهم ألسُنًا وأجورَهم حكمًا وأفسدهم في الأرض (إنهم اليهود).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا؛ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ**»[2].

---

(١) رواه مسلم في «البر» (٤/ ٢٠٠٤).

(٢) رواه البخاري.

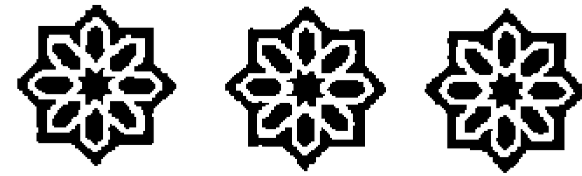
وقال اليهود: السام عليكم، أي: الموت والهلاك عليكم بدلًا من قولهم السلام عليهم.

- من حُرم الرفق حُرم الخير:

فإن الرفق يضيء للإنسان عقله، ويُصفِّي روحه وينوِّر بصيرته، ومن يُحرم ذلك فأيُّ خير فيه بعد ذلك؟.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الخَيْرَ**»(١).

قال القرطبي: فينبغي لكل مسلم أن يكون رفيقًا في أموره وجميع أحواله، غير عَجلٍ فيها؛ فإن العجلة من الشيطان. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشَجِّ عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ؛ الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»(٢).



(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٣).

(٢) رواه مسلم في «الإيمان» (١/ ٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

«القوي» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

قال الجوهري: القوة خلاف الضعف.

قال الأصفهاني: فتكون القوة مستعملة لمعنى القدرة تارة، ولقوة القلب تارة، ولقوة البدن تارة أخرى.

ففي قوة البدن كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥).

وفي قوة القلب كقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم: ١٢)، أي: بقوة القلب.

وقد يستخدم فيما يتقوى به الناس من أسباب كالجند والمال ونحوه، كقوله تعالى في قوم سبأ: ﴿قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ (النمل: ٣٣)[(١)].

أما قوة الله وقدرته سبحانه فلا تُحدُّ ولا تعدُّ. قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٦٥).

الدليل الشرعي:

جاء هذا الاسم الكريم في كتاب الله تسع مرات منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

وقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٤).

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١)

---

(١) «مفردات الألفاظ» للأصفهاني (٦٩٤) بتصرف يسير.

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال ابن جرير في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٥٢).

إن الله قويٌّ لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادٌّ ينفذ أمرُهُ، ويمضي قضاؤه في خلقه، شديدٌ عقابه لمن كفر وجحد حججه[١].

وقال ابن كثير في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، أي: لا يغلبه ولا يفوته هارب[٢].

وقال ابن جرير في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦).

إن ربك هو القوي في بطشه، إذا بطش بشيءٍ أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها[٣].

وقال الزَّجَّاج: «القويُّ» هو الكامل القدرة على الشيء، تقول: هو قادرٌ على حمله فإذا زدته وصفًا قلت: هو قويٌّ على حمله، وقد وصف الله نفسه بالقوة فقال عز قائلًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)[٤].

وقال الخطَّابي: القوي قد يكون بمعنى: القادر، ومن قَوِيَ على شيءٍ فقد قدر عليه ويكون معناه: التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال والمخلوق وإن وُصف بالقوة فإن قوته متناهية (أي: لابد لها من نهاية) وعن بعض الأمور قاصرة[٥].

---

(١) انظر «النهج الأسمى» للنجدي (٢/ ٣٦-٣٧).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ١٧-١٨).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٠).
(٤) «جامع البيان» (١٢/ ٣٩).
(٥) «تفسير الأسماء» (٢/ ٥٤).

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾، إن ربك هو القويُّ في بطشه، إذا بطش بشيء أهلكه كما أهلك ثمود حين بطشها[1].

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

لله القوة جميعًا:

قال ابن القيم:

وهـــو القـــويُّ لـــه القـــوةُ جمعًـــا إلى ربـك ذي الأكـوانِ والأزمـانِ

فالله سبحانه صاحب القوة في كل شيء من كل وجه وبكل طريق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

فالله قوي في ذاته: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٧٤).

فانظر إلى الأرض وضخامتها، والجبال وثقلها، والبحار وعمقها، والسماء وارتفاعها، فإن الله يحمل ذلك كله بيده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧).

ويحمل السموات بأُصْبُعه: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم! إن الله يمسك السماوات على إِصْبَع والأَرضين على إِصْبع.

---

(١) «جامع البيان» (١٢/ ٣٩).

إلى أن قال: فرأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾[(١)].

دعاء الله بهذا الاسم

هذه كلمة من كنوز الجنة:

قال النبي ﷺ لعبد الله بن قيس: «يَا عَبْدَ الله بْنَ قَيْسٍ! أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً هِيَ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟! لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله»[(٢)].

ويدفع الله بها ما شاء من أنواع البلاء:

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله». قَالَ «يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ» وهذا الذكر للحفاظة والهداية والوقاية.

وهو القوي في رحمته:

فمن قوة رحمته «سبحانه» أن جزءً واحدًا منها نشر الرحمة بين الخلق جميعًا.

ومن قوة رحمته أنه لا يحجبها أحدٌ عن خلقه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (فَاطِر :٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الدعوات» (١١/ ٢١٣-٢١٤)، وفي «القدر» (١١/ ٥٠٠) ومسلم بشرح النووي في «الذكر» (١٧/ ٢٥-٢٧).

قوي في حبه:

فإن الله يحب بقوة ومن ذلك أنه يحب خلقه أكثر مما يحبونه، بل ويحب أحبابه قبل حبهم له. وهذا هو الدليل على أن الله يحب أحبابه قبل أن يحبوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ (المَائدَة: ٥٤)، فأتى بحبه لهم قبل حبهم له.

وأما كمُّ الحب فلا تسأل عن كم حب أشرق على السموات ومن فيهن فأحبوك من أجله ثم يسطع على الأرض فيحبك أهل الأرض بسببه.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ الله يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ الله يُبْغِضُ فُلاَنًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**»(١).

وهو القوي في نصر أحبابه وأوليائه:

فقد جعل الله النصر حليفًا لرسله وأتباعه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجَادلة: ٢١).

وكذلك ينصر الله من نصره، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحَج: ٤٠).

---

(١) رواه مسلم.

ومن أمثلة ذلك:

نصر الله لنبيه صالح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (هود:٦٦).

وقد نصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وها هو يوم الأحزاب شاهد على قوة الله وعزته سبحانه؛ إذ اجتمع الأحزاب من كل جانب فهزمهم الله سبحانه، ونصر الله عباده المؤمنين، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده بقوته لا شريك له، وسلط عليهم الريح فأطفأت نارهم، وقلَّبت قدورهم وردَّ الله الكافرين بغيظهم لم ينالوا خيرًا.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (الأحزاب:٩-١١).

إلى أن قال تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب:٩-١١).

قوي في رزقه:

فإن الله سبحانه هو القوي في رزق خلقه فقد قسم الله سبحانه الأرزاق فلا يستطيع أحد أن يغير في ذلك شيئًا، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (الشورى:١٩).

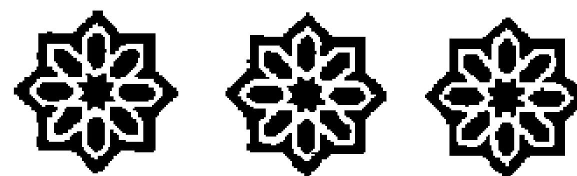
ومن قوة الله في رزقه أنه يوصله لمن قُدِّر له بقوته سبحانه ولا يستطيع أحدٌ أن يمنعه منه.

كما قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**».

ومن قوة الله في رزقه أن الأرزاق كلها في مشارق الأرض ومغاربها، وفي البر والبحر والجو، بل ولأهل السماء والأرض، وفي الأزمان كلها في يده سبحانه على كثرتها وعظمها.

قال النبي ﷺ: «**يَمِينُ اللهِ مَلأَى، لاَ يَغِيضُهَا نفقةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**»[(٢)].



(١) مسند أحمد.

(٢) رواه مسلم.

«العَفُوُّ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي[(١)]**:**

يقال: عفوت عن الشيء، أعفو عنه، إذا تركته، وعفا عن ذنبه إذا ترك العقوبة عليه. والعَفُوُّ على وزن فعول: الكثير العفو. وفي الدعاء: «أسألك العفو والعافية» أي: ترك العقوبة والسلامة[(٢)].

المعنى الشرعي للاسم:

قال ابن جرير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ (النساء: ٤٣). إن الله لم يزل عفوًا عن ذنوب عباده، وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به[(٣)].

وقال الخطابي: «العَفو» الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء[(٤)].

وقال الحليمي: «العَفُوُّ» ومعناه: الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثارها، فلا يستوفيها منهم، وذلك إن تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم ما فعلوا، فيكفِّر عنهم ما فعلوا بها تركوا أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به، وجزاء له بعمله.

قال ابن القيم في «النونية»:

وهو العَفُوُّ فعفوه وسع الورى ... ولولاه غار الأرض بالسُّكان

---

(١) «النهج الأسمى» (٢/ ٢٠٥).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٥٧٤).

(٣) «جامع البيان» (٥/ ٧٤)، وانظر (٥/ ١٤٨) (٦/ ٤).

(٤) «شأن الدعاء» صـ(٩٠-٩١).

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله العفو خمس مرات في كتاب الله، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء :٤٣).

وقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(النساء :٩٩).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هو العفو: يعفو عن السيئات مهما كانت كبيرة أو كثيرة:

فالله يعفو عن خلقه على ظلمهم ويترك عقوبتهم مع إسائتهم. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ (الرعد :٦).

فلا يعاجلهم بالعقوبة ويمهلهم لعلهم يحدثون توبة. وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ (الكهف :٥٨).

ولله درُّ القائل:

يا ربِّ إن كثرتْ ذنوبٌ عظيمةٌ   فلقد علمت أن عفوك أعظمُ

إنْ كان لا يدعوك إلا محسنٌ   فبمَن يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ

مددتُ يديَّ إليك ربِّي تضرعًا   فإذا رددتَ فمَن ذا يرحمُ

مالي إليك وسيلةٌ إلا الرَّجا   وعظيمَ عفوكِ ثم إنِّي مسلمٌ

وقال الآخر:

إنـي ليـدعوني الهـوى فأجيـب ... وإنـي ليثنـيني التُّقـى فأنيـبُ

دعـوتُ كريمًـا قـد وثقـت ... وليس مـن يدع الكـريم يخيبُ

فيا مـن تحب العفـو إنـي مـذنبٌ ... ولا عفـو إلا أن تكـون ذنـوبُ

أخي الحبيب! إني أتحدث إليك عن عفو الله وليس عفو الناس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠).

انظر إلى عفو الله عن هؤلاء السيئين المسيئين لتعلم كم أن الله عَفُـوٌّ سبحانه لقد عفا الله عن بني إسرائيل أقسى الناس قلوبًا، وأشدهم عنادًا وأكثرهم معصية، عفا الله عمن اتخذوا عجلًا معبودًا لهم، وليتهم بعد العفو تابوا وأصلحوا بل تمادوا وأعرضوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥١-٥٢).

والله عَفُوٌّ مع قدرته على خلقه:

فعفو الله عن خلقه محض رحمة منه بهم مع قدرته على عقابهم وصفحه عنهم إنما هو تفضل منه لا يضطره إليه أحدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (النساء: ١٤٩).

ويحب العفو ويعلمه لخلقه ويأجرهم عليه: فقد علَّم الله نبيه ﷺ كيف يعفو ويغفر.

فقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران :١٥٩). وحثه على قبول العفو فقال: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف :١٩٩). وعلَّم عباده كيف يعفون ويصفحون: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى :٤٠).

وجعل العفو من صفات الأتقياء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (البقرة :٢٣٧).

ومدح عباده المؤمنين بالعفو وجعله من صفات أهل الجنة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران :١٣٣-١٣٤).

من أمثلة العفو العظيمة:

١- عفو النبي ﷺ عن أهل مكة الذين آذوه وأهله وأصحابه وأخرجوهم من ديارهم، فعندما فتح الله عليه مكة وأصبح أهلها أسرى لديه، قال: «**ما ترونَ أني فاعلٌ بكُم؟**». قالوا: خيرًا أَخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ. قال: «**اذهبُوا فأنتُمْ الطلقاءُ**» معرفة السنن والآثار للبيهقي.

٢- عفو النبي ﷺ عن الرجل الذي أراد قتله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَل نجد فلما قَفَل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله

ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: «**إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: «الله ثلاثًا»**. ولم يعاقبه وجلس.

مكارم الأخلاق في ثلاثة ... من كَمُلَتْ فذاك الفتى
إعطاء من يحرمه، ووصل من ... يقطعه، والعفو عمن اعتدى

موقف الصديق رضي الله عنه مع مسطح:

وهذا أيضًا موقف عظيم من مواقف العفو والصفح ستظل شاهدة لله سبحانه على عفوه وغفرانه ورحمته وإحسانه، فهو الذي علَّم الخلق جميعًا كل جميل من الأقوال والأفعال والخصال (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجل جلاله).

فقد كان مسطح من فقراء المهاجرين الذين ينفق عليهم أبو بكر وكان ممن خاض في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ وبنت أبي بكر رضي الله عنه في حادثة الإفك، وأخطأ في حقها رضي الله عنها، فلما أنزل الله براءة أمِّنا رضي الله عنها وأظهر الحق طهارتها وهي الطاهرة البريئة المبرئة أقسم أبو بكر ألا يعطي مسطحًا بعد ذلك شيئًا من المال الذي كان يعطيه من قبل.

فأنزل العَفُوُّ الكريم سبحانه آيات يأمر فيها أبا بكر بالعفو والصفح ويحببه إليه وليشهد الخلق جميعًا بأن ربنا أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين سبحانه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢).

العفو أساس العز: قال النبي ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ عَبْدٌ إِلَّا رَفَعَهُ الله**»[1].

العفو من أسباب المغفرة: قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢).

العفو من أسباب **الأجر العظيم**: قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠). من عفا عند قدرة عفا الله عنه يوم العثرة. ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش: ألا فليقم من كان أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه.

عن أنس أنه قال: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني تصدقت بعِرْضي على عبادك.

أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ كان إذا أصبح قال: اللهم إني وهبت نفسي وعرضي لك فلا يشتم من شتمه، ولا يظلم من ظلمه، ولا يضرب من ضربه فيقول: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»[2].

صاحب العفو يأخذ من الحور العين ما يشاء: عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ ينفذَهُ ثُمَّ لَمْ يُنفِذْهُ زَوَّجَهُ الله مِنَ الحُورِ العينِ حَيْثُ يَشَاءُ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٣٥-٣٨٦)، ومسلم في «البر والصلة» (٤/ ٢٠٠١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «كنز العمال في سنن الأقوال».

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٤٩٣)، وأحمد (٣/ ٤٤٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٦١)

دعاء الله باسمه «العفوّ» سبحانه

١- دعاء ليلة القدر:

عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ قالت: إن وافقني ليلة القدر فماذا أقول؟ فقال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»(١).

٢- وهذا دعاء في قيام الليل:

أَنَّ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ نَائِمَةً إِلَى جَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ، فَفَقَدْتُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَسْتُهُ بِيَدِي، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»(٢).

٣- وهذا دعاء آخر عند النوم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ**» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ؟ فَقَالَ: مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ رضي الله عنه مِنْ رَسُولِ الله ﷺ»(٣).

وهذا دعاءٌ قد جمع الدنيا والآخرة:

قال رجلٌ: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟

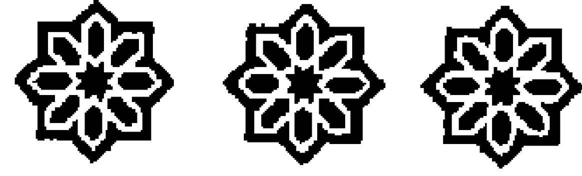
---

(١) «سنن الترمذي» (٣٥١٣).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٥٨، ٢٠١)، ومسلم في الصلاة (١/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه مسلم في «الذكر» (٤/ ٢٠٨٣).

قال ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي - وَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَ إِلَّا الإِبْهَامَ -؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعْنَ لَكَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ»(١).



---

(١) أخرجه مسلم في «الذكر» (٤/ ٢٠٧٣) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه، وفي رواية: كان الرجل إذا أسلم على النبي ﷺ علَّمه الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

«الطَّيِّب» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

الطيب: خلاف الخبيث.

وأصل «الطيب»: ما تستلذه النفس، وما تستلذه الحواس، والطيب من الأرض: التي تصلح للنبات، وريح طيبة، إذا كانت لينة ليست بشديدة، وطعمة طيبة: إذا كانت حلالًا، وامرأة طيبة: إذا كانت حصانًا عفيفة، وبلدة طيبة: أي آمنة كثيرة الخير، والطيب من الإنسان: من تخلص من نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلَّى بالعلم والإيمان ومحاسن الأعمال.

وروده في الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا**»[1].

المعنى في حق الله:

قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى: المُتَنَزِّه عن النقائص وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب: الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث.

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- إن الله هو الطَّيِّب على الحقيقة: فهو الطيب في أسمائه، والطيب في صفاته، والطيب في أفعاله.

(١) رواه مسلم في «الزكاة» (٢/ ٧٠٣).

فهو الطيب في كلامه، فالقرآن أطيب الكلام لأنه خرج من أطيب من تكلم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ (الحج:٢٤).

قال بعض المفسرين في هذه الآية: هو القرآن، وقيل: لا إله إلا الله وقيل: الأذكار المشروعة[(١)].

وتوحيده أطيب العقائد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥).

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: لا اله إلا الله في قلب المؤمن، ﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: يُرفع بها عمل المؤمن إلى السماء[(٢)].

وشرعه **أطيب الشرائع**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ (النساء:٥٨).

ورزقه **أطيب الأرزاق**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (غافر:٦٤). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (النحل:٧٢).

وأحلَّ لنا الطيبات: قَالَ تَعَالَىٰ لنبيه: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، وقال تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف:١٥٧).

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢١٣)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٣٠٧)، ط. الرسالة.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥١٢).

وأمرنا بالأكل من الحلال الطيب: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (المائدة :٨٨).

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بما أمر به الأنبياء والمرسلين، وهو أن يأكلوا حلالًا طيبًا ثم يعملوا صالحًا ولا يقبل الله إلا ما كان طيبًا من الطعام والأعمال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** (المؤمنون :٥١)، **وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** (البقرة :١٧٢)، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لذلك؟!»**[1].

قال الحسن البصري: من أكل حرامًا عصى الله شاء أم أبى، ومن أكل حلالًا أطاع الله شاء أم أبى.

والله طيب لا يقبل إلا طيبًا: فالله طيب لا يرضى إلا بالطيب، ولا يأمر بالخبيث ولا يرضاه، وإن فُعِل شيءٌ من الخبائث لم يقبلها وردَّها على صاحبها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا»**[2].

فلا يقبل من الصدقات إلا الطيب: وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِعدلِ تَمرةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلاَّ أَخَذَها الرَّحْمَنُ بِيَمِينِه فَيُرَبِّيها لِصَاحِبِها كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُم فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَصيرَ التَّمرةُ أعظمَ مِنْ أُحُدٍ»**. أي: جبل أُحُد.

---

(١) رواه مسلم في «الزكاة» (٢/ ٧٠٣).

(٢) الحديث السابق.

ولا يصعد إليه إلا الكلم الطيب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠).

وجزاؤه أطيب الجزاء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ (الرعد: ٢٩).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: طوبى: هي أرض الجنة بالحبشية[1].

ومساكنهم في الجنة طيبة أيضًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

دعاء الله بهذا الاسم

فإن الله هو الطيب لا يُدعى إلا بالطيبات من الأقوال والأفعال فمن ذلك ما يُدعى الله به في التشهد في الصلاة: عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلاَةِ خَلْفَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: السَّلاَمُ عَلَى الله السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ: «**إِنَّ الله هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلِ: التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ الله الصَّالِحِينَ -فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ-، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**» رواه مسلم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩٥).

«الشكور، الشاكر» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي[(١)]:

أصل الشكر في اللغة هو الزيادة والظهور. الشكر: عرفان الإحسان ونشره وهو الشكور أيضًا. وأشْكَر الضرعُ واشْتَكَر: امتلأ لبنًا، والتشكرة: الممتلئة الضرع من النوق.

والشكور من الدَّوابِّ: ما يكفيه العلف القليل، وقيل: الذي يسمن على قلة العلف، كأنه يشكر، وإن كان ذلك الإحسان قليلًا وشكره ظهور نمائه، وظهور العلف فيه. ويقال: شكرت وشكرت له، وباللام أفصح.

ورجل شكور: كثير الشكر كما قَالَ تَعَالَىٰ في نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٣). والشكران: خلاف الكفران.

والله هو الشكور «سبحانه»: هو الذي زاد خيره وبره وظهر على كل خلقه.

ورود الاسمين في القرآن الكريم:

ورد اسم الله «الشكور» في القرآن الكريم أربع مرات منها:

قوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر :٣٠).

وقوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (التغابن :١٧).

---

(١) انظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٨٩).

وأما اسم الله «الشاكر» فقد ورد مرتين:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨).

وقوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧).

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال قتادة: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٠)، إنه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم[١]. وقال: إن الله غفور للذنوب، شكور للحسنات يضاعفها[٢].

وقال الخطَّابي: «الشكور» سبحانه: هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو الشكورُ فلن يضيعَ ... لكن يضاعفُهُ بلا حُسبانِ
ما للعبادِ عليه حقٌ واجبٌ ... هو أوجَبَ الأجرَ العظيم الشانِ
كلا ولا عمل لديه ضائعٌ ... إنْ كان بالإخلاص والإحسانِ

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين

إن الله سبحانه هو الشكور لخلقه وعباداتهم بكثير الثواب والهبات، والشاكر لهم على أعمالهم بعظيم الحسنات.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٨٧، ٩٢) بإسناد حسن، ذكره الحمود النجدي في «النهج الأسمى» (١/ ٢٩٢).

(٢) المصدر السابق.

والله سبحانه يشكر خلقه في طرق كثيرة، سنحاول أن نتعرف عليها في الكلمات الآتية وقد اخترت لكم منها خمسة طرق يشكر الله بها خلقه.

١- إن الله يشكر خلقه بدقة.　　٢- يضاعف لهم أجورهم.

٣- يشكرهم جملة وتفصيلًا.　　٤- على الأعمال مهما دَقَّتْ أو صَغُرتْ.

٥- يشكرهم على متعتهم البريئة وفطرتهم السليمة.

١- إن الله يشكر خلقه بدقة:

فتراه سبحانه يعاملهم بدقة متناهية فيحتسب لهم من الأجر أقله ولو كان بمثاقيل الذرة، فسبحان الله من شكور وأكرم به مِنْ غفور يجازي عباده على حسناتهم وإن دقَّت، ويضاعف لهم الأجور وإن صَغُرت. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧).

كم في العنبة من ذرات؟

وروي أن عائشة أم المؤمنين جاءها سائل فلم تجد في البيت إلا عنبة فأخذتها وغسلتها ثم أعطتها للفقير، فقيل لها: يا أمنا ماذا تصنع له عنبة؟ قالت: ألم تسمعوا قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة: ٧)، فكم في العنبة من ذَرَّات؟

لك بها سبعمائة ناقة كلها مخطومة:

وهذا مثلٌ آخر على دقة شكر الله لخلقه وهو لرجل من أصحاب النبي ﷺ جاءه بناقة جعلها صدقة في سبيل الله وقد ربطها بحبل في عنقها فبشره النبي ﷺ بسبعمائة ناقة في الجنة كلها مربوطة بأحبال ولكنها أحبال من الجنة.

سبحانك ربي ما أعظم عطاءك وأجزله؟!!

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ»**(١).سبحانك يا رب حتى الحبل؟!!

مخطومة: أي مجعول الخطام: وهو ما تُرْبَط به الناقة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء :٤٠).

*** يضاعف الأجور (واحْسِبْها بالأرقام):**

فإن الله شكور كريم، وهَّابٌ رحيمٌ، وانظر إلى كرمه في عطائه بالأرقام إذ يشتري منك النية في العمل الصالح ثم يشتري منك الحسنة بعشر أمثالها ثم بسبعمائة ضعف ثم إلى أضعاف كثيرة... هل تعلم عددها؟! تعالَ وانظر.

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة :٢٦١).

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عَزَّ وَجَلَّ: **«فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ...»**(٢).

- **وهذه يد الله الكريمة وانظر كيف تُضاعف الأجور:**

فإن الله يكرم خلقه بأن يأخذ صدقاتهم بيمينه حتى يجعل كل ثمرة كالجبل.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قال النبي ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»(١). فسبحان الله على كرمه وجوده؟!!

* وهذه مكافآت وأجور لا تقدَّر بثمن: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (النور: ٣٨).

* **الله يشكرك جملة وتفصيلًا:**

فإن الله سبحانه يعطي العاملين لديه والمتاجرين معه أجرًا على العمل الصالح جملة مرة، وتفصيلًا مرة أخرى. أي أن الله سبحانه يعطيك على العمل الصالح أجرًا مجملًا ولكنك إذا دققت النظر وجدت أن الله سبحانه قد أعطاك على كل جزيئة في العمل الصالح أجرًا خاصًا بها.

فمثلًا: «**أجرك في الصلاة**». يعطيك الله أجر صلاتك جملة كما في قول النبي ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُمَا مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ»(٢). ثم يعطيك أجرك على التفصيل: أي على كل عمل في الصلاة.

فهذا أجرٌ للوضوء والذكر بعده:

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وُضُوئِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(٣).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

ويأجرك على خطواتك إلى الصلاة.

قال النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنْ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(١).

فإذا مشى في الظلمات زاد أجره. قال النبي ﷺ: «بَشِّرْ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢).

وكل تسبيحة وتهليلة وتكبيرة صدقة. قال النبي ﷺ: «فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ»(٣).

وترفع بكل سجدة درجة. قال النبي ﷺ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»(٤).

وهكذا في بقية الأعمال:

فمنها الصيام، يأجرك على الصيام جملة كقوله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٥).

تؤجر بكل يوم سبعين خريفًا بعدًا عن النار. قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللهِ ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بَيْنَ وَجْهِهِ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً»(٦).

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني برقم (٣١٥).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه البخاري.

ورائحة أطيب من ريح المسك. قال النبي ﷺ: «**خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ**»(١).

اشترى منك جسدك كله جملة وتفصيلًا.

فأما الجملة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ (التوبة: ١١١).

فإن الله سبحانه قد اشترى من خلقه أجسادهم بل قد اشترى كل قطعة من جسد عباده المؤمنين فجعل على كل مفصل من مفاصل الجسد صدقة يعطي أجرها الطائعين.

وهذا هو التفصيل:

قال النبي ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، يُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ يُحَامِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(٢). السُلامى: المفصل.

وهكذا في كل الأعمال فقد اشتراها الله من عباده؛ أقوالهم وأعمالهم جملة وتفصيلًا وما مضى من أمثلة هي على سبيل المثال لا الحصر.

يأخذ منك القليل ويعطيك الكثير.

الكرم صفة من صفات الله فهو عظيم الجزاء، جزيل العطاء، فتراه قد أدخل رجلًا الجنة لنزعه شوكة من طريق الناس، وأدخل امرأة من البغايا الجنة لأنها سقت كلبًا شربة ماء، وتجاوز عن رجل ليس له حسنة لأنه تجاوز عن الناس،

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه.

وغفر لرجل قتل مائة بخطوات مشاها ليتوب، وأدخل امرأة الجنة أطعمت بنتيها تمرة واحدة. وإليك بعض هذه الأمثلة على شكر الله خلقه.

* شربة ماء لكلب ثمنها الجنة.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ **«أن رجلًا رأى كلبًا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خُفَّه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فأدخله الجنة»** رواه البخاري.

* يتقلب في الجنة لنزعه عود شوك من طريق الناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ الله لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»** رواه البخاري.

أغلى تمرة في التاريخ:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ»** رواه مسلم.

* وشق تمرة يقيك به النار. عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**(١).

* تبسُّمك في وجه أخيك صدقة. قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: **«لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَالْقَ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»**(١).

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٨١، ٢٨٣) (٦/ ٦١١) وغيرها، ومسلم (٣/ ٧٠٣) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

«السُّبُّوح» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي[٢]:

التسبيح: التنزيه. **قال الأزهري:** «وسبحان الله» معناه: تنزيهًا لله من الصاحبة والولد، وقيل: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به.

وروده في الحديث الشريف:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»[٣].

المعنى في حق الله سبحانه:

قال أبو إسحاق الزجاجي: «السُّبوح» الذي يُنَزَّه عن كل سوء[٤].

قال ابن سيده: «سبوح قدوس» من صفة الله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه يُسبَّح ويُقدَّس[٥].

وقال الحليمي: «السُّبوح» معناه المنزه عن المعائب، والتسبيح: التنزيه[٦].

وقال النووي وابن فارس والزبيدي وغيرهم: «سبوح» هو الله عَزَّ وَجَلَّ، فالمراد بالسبوح القدوس: المُسبَّح المُقدَّس، فكأنه قال: مُسبَّح مُقدس رب الملائكة والروح.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٦٢٦).

(٢) انظر «النهج الأسمى» (٣/ ١٦).

(٣) رواه مسلم في «الصلاة» (١/ ٣٥٣)، وأبو داود (٨٧٢)، والنسائي (٢/ ٢٢٤).

(٤) «اللسان» (٣/ ١٩١٥).

(٥) نفسه.

(٦) «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ١٩٧).

ومعنى سبوح: المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية.

وقدوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق(١).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

الله سبحانه هو «السُّبُّوح»: المنزه عن كل عيب ونقص وسوء فمن الأمثلة على ذلك(٢):

١- مُنَزَّه عن الموت: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾(الفرقان:٥٨)

٢- مُنَزَّه عن السِّنَةِ والنوم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

٣- مُنَزَّه عن الضلال والنسيان: قال موسى: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ (طه:٥٢).

تسبيح الله من أعظم العبادات: والتسبيح له فضل عظيم في كل العبادات وتجد له أجرًا يملأ ما بين السماء والأرض. قال النبي ﷺ: «**وسبحان الله والحمد لله تملأ أو تملآن ما بين السماء والأرض**».

فتجده في الركوع والسجود: فعندما نزل قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾، قال النبي ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، وعندما نزلت: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾، قال: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**»(٣).

كل الخلق يسبحون الله: فلا تجد شيئًا من خلق الله في الأرض ولا في السماء، في البر أو في الماء حتى النمل في الجحر، والحوت في البحر، والطير في الوكر إلا وهم يسبحون الله تعالى.

(١) مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٢) راجع اسم الله القدوس وما جاء فيه من الشرح.

(٣) أخرجه الطيالسي (١٠٩٣)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، وأبو داود (٨٦٩)، والحاكم (١/ ٢٢٥)، وانظر «فتح الباري» لابن رجب (٧/ ١٧٦) و«الإرواء» (٢/ ٤٠).

قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

كل الخلق يسبحون بحمد الله في وقت واحد:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما تستقل الشمس فيبقى شيءٌ من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»**[(١)].

سبحان الله وبحمده لغة كل المخلوقات وسبيل رزقهم:

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، إن نوحًا قال لابنه: يا بني! آمرك أن تقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فإن السماء والأرض لو جعلتا في كفة وزنتها، ولو جعلتا في حلقة فصمتها، وآمرك أن تقول: سبحان الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق»**. قال الله: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[(٢)].

حملة العرش ومَنْ حوله يسبحون بحمد ربهم:

فيا له من مشهد عظيم لحملة العرش ومن حوله وهم يلهجون لله بالتسبيح ويحفُّون من حول العرش له بالإجلال والتقديس. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧)

---

(١) حسن: رواه ابن السُّني، وأبو نعيم في «الحلية»، عن عمرو بن عبسة وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٩٩).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٦٩-١٧٠، ٢٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨)، والحاكم (١/ ٤٨-٤٩)، والنسائي.

الرعد يسبح بحمد الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ (الرعد:١٣).

وهذا مَلَكٌ عظيم يسبح الله «العلي العظيم»:

ويا له من مشهد لملك عظيم الخلقة كبير الحجم، فحجمه بلغ من الأرض إلى العرش، ولكن انظر إلى خشيته من الله وتسبيحه له. قال النبي ﷺ: **«إن الله أَذِن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربَّنا، فيُرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا»**(١).

النمل أمة تسبِّح: ولذلك فقد دافع الله عنها وعاتب من أجلها أحد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحى اللهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ»**(٢).

الجبال تذكر الله وتسبِّحه:

قال الأزهري: ومما يدلك على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيحٌ تعبَّدت به قول الله - عَزَّ وَجَلَّ - للجبال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ (سبأ:١٠)، ومعنى **«أَوِّبِي»** سبِّحي مع داود النهار كله إلى الليل.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥)، والبيهقي في «الأسماء» صـ(٤٧٥)، وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٦٦٥).

(٢) رواه البخاري.

والحصى أيضًا يسبح الله:

عن أبي ذر الغفاري قال: إني لشاهد عند النبي في حلقة وفي يده حصى فسبحن في يده وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن النبي إلى أبى بكر فسبحن مع أبي بكر، سمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلى النبي فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي إلى عمر فسبحن في يده وسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن النبي إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا.

حتى الطعام يسبح الله وهو يُؤكل:

عن ابن مسعود قال: «... لقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل»(١).

أهل الجنة يسبّحون كما يتنفسون:

قال النبي ﷺ: **«يَأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ»**(٢).

التسبيح من أعظم أسباب تفريج الكروب:

فإن تسبيح الله باللسان وحُسنَ الظن به بالجَنان من أعظم أسباب تفريج الكروب وزوال الهموم والأحزان، ومن أعظم الأدلة على ذلك ما حدث لنبي الله يونس عليه السلام حين التقمه الحوت وكان في كرب عظيم وفي ظلمات الليل وأعماق

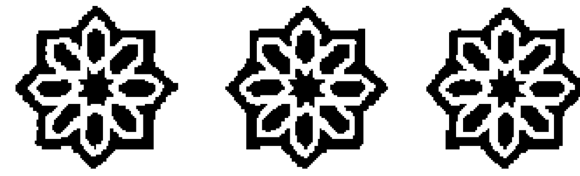
---

(١) أخرجه البخاري، والترمذي.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود.

البحار فلم ينجه إلا التسبيح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الصافات: ١٤٢-١٤٤).

وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ لَهُ**»[1].



(١) رواه الترمذي واللفظ له، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

«اللطيف» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

يقال: يَلْطفُ لُطْفًا إذا رفق به. اللُّطْفُ: واللَّطَفُ: البر والتكرمة والتَّحفِّي، وهو لطيف بالأمر، أي: رفيق.

ويعبر باللطافة واللَّطف عن الحركة الخفيفة وعن فعل الأمور الدقيقة، وقد يعبر باللطائف عما لا تدركه الحاسة ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ (الشورى: ١٩).

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم سبع مرات في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، وقوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

المعنى لهذا الاسم في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

قال الخطابي: «اللطيف» هو البرُّ بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ (الشورى: ١٩).

ورُوي عن ابن الأعرابي أنه قال: «اللطيف» الذي يوصل إليك أَرَبك (أي: ما تحتاجه) في رفقٍ، ومن هذا قولهم: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب في رفق[١].

---

(١) «شأن الدعاء» صـ[٦٢].

وقال الشوكاني في قوله «إن الله لطيف»: لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه إلى كل خفي[١].

قال ابن القيم في النونية:

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطفُ في أوصافه نوعان

إدراكُ أسرارِ الأمورِ بخبرةٍ ... واللطفُ عند مواقع الإحسانِ

فيريك عزته ويبدي لطفه ... والعبد في الغفلات عن ذي الشان

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «اللطيف» الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك الخبايا، والبواطن والأمور الدقيقة، اللطيف بعباده المؤمنين الذي يوصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها فهو بمعنى الخبير وبمعنى الرؤوف[٢].

وعلى هذا يكون معنى «اللطيف» كما يلي:

١- أنه الذي لا تخفى عليه الأشياء وإن دقَّت ولطفت وتضاءلت، أي: هو لطيف العلم.

٢- هو البَرُّ بعباده، الذي يلطف ويرفق بهم من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

٣- هو الذي لَطُف عن أن تدركه الأبصار فحجبها عن رؤيته.

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٢٣٩)، و«روح المعاني» (٢١/ ٨٩).

(٢) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠١).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١- إن الله سبحانه هو اللطيف في ذاته وأفعاله فهو يرى خلقه ولا يرونه، مما زادهم إليه اشتياقًا وإلى رؤيته تطلعًا. قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣). وكان الفتح بن شخروف يقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه!

٢- الله لطيف بعباده في رزقه:

فالله سبحانه لطيف بعباده؛ لعلمه الكامل بكل أمورهم ظاهرة وباطنة وهو أعلم بما يصلحهم فيؤتيهم ما يحتاجونه من أرزاق في لطف ورفق وهم لا يشعرون.

فيلطف بهم في نزول المطر وإنبات الزرع: هل شعر أحدنا بكيفية نزول المطر؟ أو لاحظ أحدنا كيفية نمو الزرع؟ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحج: ٦٣).

ويلطف بهم في أرزاقهم: فيعطي من يشاء ويمنع، ويخفض من عباده ويرفع، كل هذا برحمته وحكمته ولطفه وكل هذا وهم لا يشعرون. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ (الشورى: ١٩).

٣- الله لطيف في علمه بخلقه وأحوالهم:

فالله يعلم أحوال خلقه مهما دقَّت، ويدرك كل أمورهم مهما خفيت.

قال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٣-١٤).

٤- والله لطيف في التمكين لأوليائه:

فالله يُمكِّن لأوليائه من الأنبياء والرسل والصالحين بلطف وحكمة بأسباب ظاهرة أو باطنة، وقد تكون أسباب لا يعرفها الخلق فينصرهم ولو كانوا في هزيمة ويحفظهم ولو كانوا في قلب الخطر ومن ذلك:

لطف الله بنبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فهل رأيت لطفًا أعظم من أن تصبح النار بحرِّها ولهيبها بردًا وسلامًا، وكل هذا بكلمة من الله لم يسمعها أحدٌ من الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء:٦٩).

لطف الله بنبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فرباه الله في بيت عدوه والذي أراد قتله، رغم أنف فرعون التقطه جنوده وهو جنين؛ ليكون لهم عدوًا وحزنًا وهم لا يشعرون، حتى أنهم أعادوه لأمه بأنفسهم وأصبحوا يعطونها على ذلك أجرًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (القصص:٨-٩).

وهذا لطف الله بنبيه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

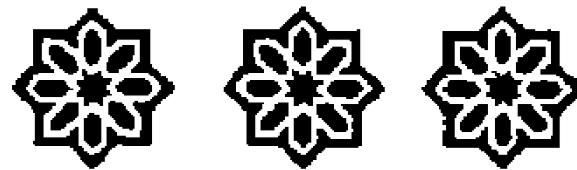
فقد لطف الله بنبيه يوسف، وأخرج له النفع والخير من أسباب الضر فلما أُلقِي في الجب أخرجه الله إلى قصور مصر، ولما أُدخِل السجن جعله الله سببًا ليكون كالملوك، وانظر إلى وصف يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ للطف الله به.

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (يوسف: ١٠٠).

والله لطيف في علمه وقدرته بأدق الأمور. فيعلم الأشياء كلها صغيرها وكبيرها ويأتي بها سواءً كانت أحداثًا من خير أو شر، أو عطاء ورزقًا، أو طاعة ومعصية.

قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان: ١٦).

فقد أتى بأصغر الأحجام وهي مثقال حبة من خردل، فلو وضعت في أصم الأشياء وأصلبها وهي الصخور أو في أبعد البُعد وهي السموات، أو في أظلم الأماكن وهي الأرض يأتي بها الله، فانظر إلى علم الله وخبرته وقدرته سبحانه وتعالى!!



«السَّلام» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

السَّلْمُ، والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: مُتَعَرٍ من الدغل فهذا في الباطن، وقَالَ تَعَالَى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ فهذا في الظاهر.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾، أي: سلامة، والسلامة الحقيقية ليست إلا في الجنة؛ إذ فيها بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر، وعِزٌّ بلا ذُل، وصحة بلا سقم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢٧).

والسلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣)، قيل: وُصِف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخَلْقَ[1].

الدليل الشرعي:

ورد هذا الاسم الكريم مرة واحدة في كتاب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣).

وجاء في الحديث الشريف: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»[2].

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (٤٢١-٤٢٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

معنى الاسم في حق الله تبارك وتعالى:

قال ابن كثير: «السلام» أي: من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: اسم «السلام» متضمن للكمال السالم من كل ما يضاده، فهو السلام الحق من كل وجه كما هو النزيه البريء عن نقائص البشر من كل وجه.

وقال أيضًا: «السلام» الذي سلم من العيوب والنقائص وَوَصْفُهُ بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم.. فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر، ومن التسمية به، ومن فعله ومن نسبته إليه.

فهو السلام سبحانه وتعالى: أي سلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص، المُسَلِّم لخلقه من الظلم، ولهذا وصف سبحانه ليلة القدر بأنها «سلام»، والجنة بأنها «دار السلام» وتحية أهلها السلام، وأثنى على أوليائه بالقول السلام، كل ذلك السالم من العيوب[٢].

وقال أيضًا: فإطلاق السلام على الله تعالى اسمًا من أسمائه فهو أَوْلَى وأحق بهذا الاسم من كلِّ مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، فهو سبحانه سلام في ذاته من كل عيب ونقص يتخَيَّلُه وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣١).

(٢) «شفاء العليل» صـ(١٧٩).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٧).

قال الألوسي في تفسيره: السلام ذو السلام من كل نقص وآفة[(١)]، وقال البيهقي: «السلام» هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة وهذه صفة يستحقها بذاته[(٢)].

قال ابن القيم في النونية:

وهو السلامُ على الحقيقة سالمٌ   من كل تمثيلٍ ومن نقصان[(٣)]

الحي فهو السلام من الموت والنوم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان: ٥٨).

الغني فهو السلام من الفقر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٥)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (المنافقون: ٧)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ (الحجر: ٢١).

الحكيم فهو السلام من الطيش: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر: ١).

القدير فهو السلام من العجز والضعف: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٩).

---

(١) «روح المعاني» (٢٨/ ٦٣) نقلًا عن كتاب «النهج الأسمى» للنجدي (١/ ١١٦).

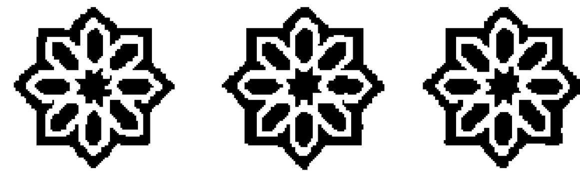
(٢) «الاعتقاد» صـ(٥٥) من كتاب «النهج الأسمى» (١/ ١١٦).

(٣) «النونية».

سميع فهو السلام من الصمم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٤).

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّكُم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ....».

وقالت عائشة: «الحَمْدُ لله الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ المُجَادِلَةُ تَشْكُو إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾. (المجادلة: ١).



«الخبير» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الخُبْرُ: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخَبَرِ، والخِبرة: هي المعرفة ببواطن الأمور، ويقال: من أين خبرت هذا الأمر؟ أي: من أين علمت؟ والخبر: واحد الأخبار، ورجل خابر وخبير: عالم بالخبر، والخبير: العالم بالشيء، وخبرت الأمر أخبُرُهُ إذا عرفتُه على الحقيقة[1].

الدليل الشرعي:

ورد اسم الله «الخبير» أكثر من أربعين مرة منها:

قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ٧٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (التحريم: ٣).

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال ابن جرير في قوله تعالى: ، العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عنه شيء[2].

وقيل: «الخبير»، هو الذي لا تعزب (لا تغيب) عنه الأخبار الباطنة، ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا يضطرب نَفَسٌ ولا يطمئن، إلا ويكون عنده خَبَرُهُ[3].

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي صـ(١٢٧)، «الصحاح» للجوهري (٢/ ٦٤١)، «النهاية» (٢/ ٦)، «اللسان» (٢/ ١٠٩٠)، «المفردات» (٢٧٣)، وانظر «النهج الأسمى» (٢/ ٢٦٧).

(٢) «جامع البيان» (٢٨/ ١٠٣)، وانظر أيضًا (٢/ ٣٢٠).

(٣) «المقصد الأسنى» صـ(٦٣).

والخبير: بمعنى العليم، لكن العلم إذا أُضِيف إلى الخفايا الباطنة سُمي خبرة وسُمي صاحبها خبيرًا[١].

قال الخطابي: هـو العـالم بكنـه الـشيء، المطلـع عـلى حقيقتـه كقولـه تعـالى: ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان: ٥٩).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

الله هو الخبير بكل الأمور ما ظهر منها وما بطن.

فهو سبحانه الخبير بالغيب والشهادة:

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ٧٣).

وخبير بما في السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (آل عمران: ١٨٠).

خبير بأحوال خلقه:

فهو خبير بأبدانهم وقلوبهم، وخبير كيف يفكرون ويشعرون وما يـصلحهم وما يفسدهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (فاطر: ٣١).

خبير بعباده إذا أطاعوه:

فهو خبير بما في قلوب المخلصين، وإنفاق المتـصدقين، وإحـسان المحـسنين، وصدق الصادقين، وتقوى المتقـين، ويعلـم مـا يـستحقون مـن أجـر، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٨).

---

(١) المرجع السابق.

وخبير بهم إذا عصوه:

فالله سبحانه خبير بكل ذنب فعله خلقه، خبير بمكانه وزمانه، خبير بأسباب الذنوب وآثارها في الأبدان والقلوب، خبير بمن يظلم ويُعرض، وخبير كذلك بمن يتوب، وخبير بمن يستحق العفو والغفران وبمن يستحق العقاب.

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء:١٧).

والله خبير بأقوال الألسنة ومشاعر القلوب:

فالله خبير بكل ما قاله لسان وشعر بن جنان، قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك :١٣-١٤).

والله خبير بمفاتح الغيب الخمسة:

فتلك الخمس لا يعلمها إلا الله ولا يخبرها سواه؛ إذ هو الذي قدَّرها ودبرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان:٣٤).

والله خبير بخلقه جميعًا يوم القيامة:

فهو خبير بكل ما فعله خلقه وما قالوه من الخير والشر، ومن الإيمان والكفر، وأحصاه عليهم وإن نسوه وسوف ينبؤهم به يوم القيامة. قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ (المجادلة :٦). وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍۢ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ (العاديات :٩-١١).

«الحليم» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

الحِلْمُ: بالكسر، الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحُلُوم، والحلم: نقيض السفه[١]، والحِلْمُ: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام، قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ (الطور: ٣٢)، **قيل معناه:** عقولهم وليس الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسَّروه بذلك؛ لكونه من مسببات العقل[٢]، والحليم: اسم الفاعل من حَلُمَ[٣].

الدليل الشرعي:

ورد الاسم في كتاب الله إحدى عشرة مرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣).

المعنى في حق الله تعالى:

قال ابن جرير: «الحليم» يعني أنه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم[٤].

---

(١) «الصحاح» (٥/ ١٩٠٣)، «اللسان» (٢/ ٩٧٩-٩٨٠).
(٢) «المفردات» (٢٥٣).
(٣) «اشتقاق أسماء الله» صـ(٩٦).
(٤) «جامع البيان» (٢/ ٣٢٧).

وقال في موضع آخر: حليمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له(١).

قال الخطابي: هو ذو الصَّفح والأناة الذي لا يستفِزُّه غضبٌ ولا يستخِفُّه جهل جاهل ولا عصيان عاصٍ.

و«الحليم»: لا يستحق الصافح اسم الحلم إذا كان عاجزًا أو ضعيفًا إنما «الحليم» هو الصفوح مع القدرة والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة للمسيء.

قال الشاعر:

لا يدركُ المجدَ أقوامٌ وإن كرُموا ... حتى يَذِلُّوا وإن عَزُّوا لأقوامِ

ويشتموا فترى الألوان مُسْفرةً ... لا صفح ذُلٍّ ولكن صفح أحلامِ(٢)

وكذلك لا يكون الحليم إلا حكيمًا، واضعًا للأمور في مواضعها عليمًا قديرًا، فإن لم يكن قديرًا كان حلمه متلبسًا بالعجز والوهن والضعف، وإن لم يكن عليمًا كان تركه الانتقام للجهل، وإن لم يكن حكيمًا ربما كان حلمه من السفه(٣).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١- سعة حلم الله «سبحانه»:

فإن الله سبحانه وسع حلمه كل خلقه بجميع أنواعهم وأحوالهم فتراه حليمًا مع الطائع والعاصي وحتى الكافر فمن ذلك:

(١) «جامع البيان» (٢٢/ ٩٥).

(٢) «شأن الدعاء» صـ(٦٣-٦٤).

(٣) «الأسنى» للقرطبي، وانظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٧٥).

فهذا حلمه سبحانه مع العصاة: فتراه لا يعجِّل بالعقوبة لمن عصاه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ (الكهف: ٥٨).

ويمهله ليتوب ويعينه ليلاً ونهاراً: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَبِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»[١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

قال ابن القيم:

وهو الحليمُ فلا يعاجلُ عبْدَه بعقوبةٍ ليتوبَ من عصيانِ

حتى الكافرين يصبر على أذاهم ويرزقهم:

وانظر إلى حلم الله وصبره على الكافرين الذين يقولون الأذى على الله سبحانه بادعائهم له الزوجة والولد فلبئس ما قال النصارى، قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذىً يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَدْعُونَ لَهُ نِدًّا ثُمَّ هُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**»[٢].

واذا عاقب فإنه يعفو عن كثير: فإذا عاقب العاصي فإنه يعاقبه بعد إنذار، وإمهال، فإذا أصرَّ على ظلمه عاقبه ببعض ذنوبه ويعفو عن كثير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري (١٠/ ٦٠٩٩)، (١٦٣/ ٧٣٧٨).

ورُوي أن الحسن البصري كان إذا أصابته مصيبة قال: فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

والله حليم مع قدرته على خلقه: فالله يحكم على خلقه مع علمه الكامل بحالهم ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ (الأحزاب: ٥١).

ويحب الحلم وأهله: فإن الله يحب الحلم ويجازي عليه، قال النبي ﷺ لأشَجِّ عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**»[1].

وأكرم الله أنبياءه بالحلم:

فقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ (التوبة: ١١٤).

وقال أيضًا: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ (هود: ٧٥).

وقال قوم شعيب وهم يصفونه: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ (هود: ٨٧)

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس حلمًا؛ فقد كان يعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه، قال الله فيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ليس كمثله شيء في حلمه:

فتجد أن الحلم إن كان موجودًا في حال فإنه مفقودٌ في أحوال، فحلم المخلوقين لم يكن في الصغر ثم كان في الكبر، وقد يتغير بالمرض أو الغضب وقد يذهب مع أسباب الإثارة ويفنى حلم الإنسان بموته أو عجزه عن الحلم، ولكن

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٨).

حلم الله سبحانه لم يزل ولا يزول، وقد يحلم الإنسان عن شيء ولا يحلم عن غيره، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة[١].

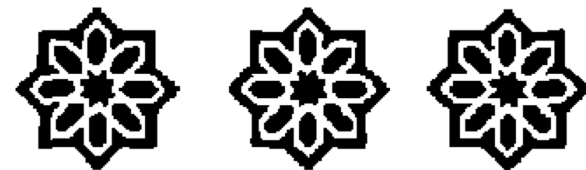
قال ابن كثير: «حليم غفور»: أن يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخِّر ويُنْظِر ويُؤجِّل، ولا يعجل، ويستر آخرين ويغفر[٢].

من أسباب الحلم:

١- الترفُّع عن الإساءة أن تردَّ بمثلها فتصبح كفاعلها.

٢- أن تعذر الجاهل لقلة عقله وخلقه.

٣- رجاء الثواب من الله سبحانه.



(١) انظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٧٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٦١).

«المصوِّر» سبحانه وتعالى

الدليل الشرعي:

جاء في القرآن الكريم مرة واحدة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ (الحشر: ٢٤).

المعنى اللغوي:

الصورة: ما ينتقش به الأعيان، ويتميز بها عن غيرها وذلك ضربان؛ **أحدهما:** محسوس يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس والحمار بالمعاينة.

الثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والرَّوية والمعاني التي اختص بها شيءٌ بشيء، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (الأعراف: ١١)، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٤)[١].

قال الزجاج: المصوِّر هو مفعِّل من الصورة وهو تعالى مصوِّر كل صورة لا على مثال احتذاه، ولا رسمٍ ارتسمه تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا[٢].

قال أبو القاسم الزجاجي: المصوِّر اسم الفاعل من صوَّر يُصوِّر إذا فعل الصورة والمصدر التصوير، والصورة: شخص الشيء وهيئته من طولٍ وعرضٍ وكبرٍ وصغرٍ وما اتصل بذلك وتعلَّق به مما يكمله فيُرى مصوَّرًا، فالله عَزَّ وَجَلَّ مصوِّر الصور وخالقها[٣].

---

(١) «تفسير الأسماء» صـ(٣٧).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٤٩٧).

(٣) «اشتقاق الأسماء» صـ(٢٤٣).

المعنى الشرعي في حق الله تعالى:

قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ﴾ (الحشر:٢٤)؛ أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار:٨)، ولهذا قال: «**المصوِّر**» أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[١].

قال ابن جرير: المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار:٧-٨)، أي: صرَّفك وأمالك إلى أيِّ صورة شاء إما إلى صورة حسنة وإما إلى غير ذلك[٢].

قال الخطابي: «**المصوِّر**» هو الذي أنشأ الخلق على صور مختلفة ليتعارفوا بها فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ (غافر:٦٤)، وقال: التصوُّر التخطيط والتشكيل، ثم قال: وخلق الله – جل وتعالى – الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خِلَق: جعله علقة ثم مضغة ثم جعلها صورة وهو التشكيل الذي به يكون ذا صورة وهيئة يعرف بها ويتميز بها عن غيره بسماتها: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٤)[٣].

من آثار الإيمان باسم الله «المصوِّر» سبحانه

إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - هو المصوِّر وحده لكل خلقه:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (غافر:٦٤).

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٣٢).
(٢) «الطبري» (٢٨/ ٣٧)، (٣٠/ ٥٥) نقلًا عن كتاب «النهج الأسنى» (٢/ ١٦٨).
(٣) «شأن الدعاء» صـ(٥١-٥٢) و«فتح القدير» (٥/ ٢٠٨) و«الاعتقاد» للبيهقي صـ(٥٦).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (التغابن: ٣).

صور الإنسان هي أحسن الصور في الخلق:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

قال ابن كثير: إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، فنصب القامة وسوَّى الأعضاء وحسَّنها.

تكريم ما صوَّره الله والنهي عن إهانته بالضرب والشتم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الوَجْهَ، وَلاَ يَقُولُ قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[1].

وفي رواية: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ(*) طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا...»[2].

قال النووي: قال العلماء: إنما نهى عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه فيخشى من ضربه أن تبطل أو تشوه كلها أو بعضها.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥١٢).

(*) قال ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٣) في قوله: «على صورته» وقد اختلف إلى ماذا يعود الضمير؟ فقيل: إلى آدم، أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات. وقال أيضًا (٥/ ١٨٣) والأكثر على أن الضمير يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها، ثم ذكر رأي من أعاد الضمير على الله سبحانه وأدلته ثم قال: «فتقرر إجراء ما في ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، أو من تأويله على ما يليق بالرحمن سبحانه».

(٢) البخاري (٦٢٢٧).

لا تقبح الوجه الذي صوره الله سبحانه: لا تقل: قبح الله وجهك ووجه أشبه وجهك...

روي أن لقمان كان رجلًا أسمر وقد عابه رجلٌ في وجهه، فقال له لقمان: «أتعيب على النقش أم على النقاش».

الوعيد لمن أراد أن يخلق كخلق الله

أشد الناس عذابًا المصوِّرون:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»(١).

أظلم الناس من ذهب يخلق كخلق الله:

«أظلم الناس هم المصوِّرون»؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً**»(٢).

يقال للمصوِّرين أحيوا ما خلقتم:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»(٣)، وفي حديث عائشة: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥١، ٧٥٥٨).

(٤) رواه البخاري (٧٩٥٧).

ويُكلَّفوا بنفخ الروح فيما صوَّروه:

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»(١).

لَعَنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المصور:

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه أنه اشترى غلامًا حجامًا فقال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الدَّم، وثمن الكلب، وكسب البَغيِّ، ولعن آكل الربا ومُوكله، والواشمة والمستوشمة، والمصوِّر»(٢).

لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة:

عن أبي طلحة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا تَصَاوِيرُ**»(٣).

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا لم يدخل بيتًا فيه صورة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِالبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللهِ مِمَّا أَذْنَبْتُ، قَالَ: «**مَا هَذِهِ النُّمْرُقَةُ؟**» قُلْتُ: لِتَجْلِسَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، قَالَ: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ الصُّورَةُ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٦٣).

(٢) رواه البخاري (٥٩٦٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩٤٩) باب التصاوير.

(٤) رواه البخاري (٥٩٥٧)، النمرقة: رويت بضم النون وفتحها وكسرها، وهي الوسادة التي يجلس عليها وجمعها «نمارق».

وهذا حُكم استعمال الصور:

قال ابن حجر في «الفتح»: في قوله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون» وتقديمه لها إنما قدَّمها اهتمامًا بالزجر عن اتخاذ الصور؛ لأن التوعد إذا حصل لصانعها فهو حاصل لمستعملها؛ لأنها لا تُصنع إلا لتُسْتَعمل فالصانع متسبب، والمستعمل مباشر فيكون أولى بالوعيد، ويُستفاد منه أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصورة لها ظل أو لا، ولا بين أن تكون مدهونة أو منقوشة أو منقورة منسوجة خلافًا لمن استثنى النسج وقال: إنه ليس بتصوير(١).

أول عبادة لغير الله كان سببها الصَّور:

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح: ٢٣). **قال:** هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح عليه السلام، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبِدت(٢).

قال ابن جرير: فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقطون المطر فعبدوهم(٣).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم(٤).

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٣٩٠).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٣) تفسير الطبراني (٢٩/ ٩٨).

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٣).

هم شرار الخلق

وشرك اليهود والنصارى أيضًا كان سببه الصور:

عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصُّور فقال: «**أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا تِلكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل(٢).

وكفار قريش كذلك كانوا يعبدون الصّور:

لما فتح رسول الله مكة ودخل الكعبة وجد فيها صورًا من تماثيل وصور صوَّروها لإبراهيم وإسماعيل ومريم عليهم السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت فوجد فيه صورة إبراهيم، وصورة مريم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أَما هُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ المَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ فَما لَهُ يَسْتَقْسِمُ**»(٣).

وعنه أيضًا رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فَمُحِيَت، ورأى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بأيديهما الأزلام فقال: «**قَاتَلَهُمُ الله، وَالله مَا اسْتَقْسَمَا بِالأَزْلامِ قَطُّ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤، ١٣٤١، ٣٨٧٨)، ومسلم (٥٢٨) وغيرهما.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٣).

(٣) رواه البخاري (٣٣٥١).

(٤) رواه البخاري (٣٣٥٢). وقوله صلى الله عليه وسلم: «**قاتلهم الله**»: أي المشركين الذين صوروا إبراهيم وإسماعيل في الكعبة يستقسمان بالأزلام، تضليلًا للناس.

كراهة الصلاة في ثياب فيها صور أو أمامها:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمِيطِي عَنِّي؛ فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ تَصَاوِيرُهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي»[(١)].

تَعرِض لي: أي أنظر إليها فتشغلني.

وفي الفتح: إن الصور إذا كانت تُلهي المصلي وهي مقابله فكذا تلهيه وهو لابسها بل حالة اللبس أشد[(٢)].

إتلاف الصورة ونقضها:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه، وفي رواية الكشميهني: «تصاوير» بدل «تصاليب»[(٣)].

قال ابن بطال: في هذا الحديث دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام كان ينقض الصورة سواء كانت مما له ظل أم لا، وسواء كانت مما توطأ أم لا، سواء في الثياب وفي الحيطان وفي الفراش والأوراق وغيرها[(٤)].

قال ابن حجر: والذي يظهر أن البخاري استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي تشترك مع الصليب في المعنى وهو عبادتها من دون الله[(٥)].

لا ينظر الله إلى صور الناس:

إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، ولا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِن يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعمالكم»[(٦)].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٥٩).

(٢) انظر «فتح الباري» (١٠/ ٣٩١).

(٣) رواه البخاري (٥٩٥٢)، وانظر «فتح الباري» (١٠/ ٣٨٥).

(٤) «الفتح» (١٠/ ٣٨٥).

(٥) نفسه.

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

فمن نظر إلى صُوَر الناس فقط لا يدري ما سُتِر عنه في قلوبهم، ومن أُعْجِب بظواهرهم لا يعلم ما في نفوسهم فكم من صورة جميلة كان لها قلب شيطان، وكم من وجه حسن كان له قلب ذئب، وكم من أشعث أغبر مطرود بالأبواب وهو عند الله من أصحاب الدرجات العُلى.

هؤلاء حسّن الله صورتهم بطاعته

«آدم» أجمل البشر: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«خلق الله آدم بيده»**(١).

وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن من القمر: عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة إضحيان فجعلت أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى القمر وعليه حلة حمراء فإذا هو عندي أحسن من القمر(٢).

هؤلاء غرٌّ محجلين: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ....»**(٣).

أهل الجنة على صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الجنة: **«...وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»**(٤).

بيض الوجوه:

عن صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا دخل أهلُ الجنّةِ الجنة، يقول تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ ألم**

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) «سنن الترمذي».
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

تُدخلْنا الجنةَ وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجابَ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم»(١).

أول زمرة على صورة القمر ومن بعدهم كالكوكب الدري: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً؛ لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ...»(٢).

وقبّح صُوَر هؤلاء بمعصيتهم

مسخ الله اليهود على صورة القردة والخنازير:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥-٦٦)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠).

الحيات مسخ الجن: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الحَيَّاتُ مَسْخُ الجِنِّ»(٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) «مسند أحمد».

أمة من بني إسرائيل مسخت فئران:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**فُقِدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا يُدْرَى مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لا أَرَاهَا إِلا الفَأْرَ، إِذا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْ، وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاةِ شَرِبَتْ**»، فَحَدَّثْتُ كَعْبًا، فَقَالَ: أَأَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ لِي مِرَارًا، فَقُلْتُ: أَفَأَقْرَأُ التَّوْرَاةَ؟.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: الفَأْرَةُ مَسْخٌ.

مسخ أبي إبراهيم عليه السلام إلى ضبع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ! إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَيَقُولُ الله: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ! مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتلطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ**»(١).

وفي رواية: «**فَيَمْسَخُ الله أَبَاهُ ضَبُعًا، فَيَأْخُذُ بِأَنْفِهِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي! أَبُوكَ هُوَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ**»(٢).

قال ابن حجر: والحكمة في مسخه ضبعًا أن الضبع من أحمق الحيوان وآزر كان من أحمق البشر لأنه بعد أن أظهر له ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥٠)، (٤٧٦٩) الذيخ: الضبع.

(٢) انظر «الفتح» (٨/ ٥٠٠).

(٣) نفسه.

صور المتكبرين مثل الذر (النمل) يوم القيامة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى (بُولَسَ)، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ»(١).

ليس كمثله شيء في تصويره:

الله يصوِّر من يشاء (مشيئته نافذة فيما أراد تصويره). قال تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانفطار :٨).

عظيم قدرته سبحانه في تصويره وعجز غيره:

فالله - عَزَّ وَجَلَّ - يخلق ويصوِّر خلقه بقدرته، فانظر إلى عظيم قدرة الله في خلق الإنسان وتصويره وهو في بطن أمه. والله فوق عرشه سبحانه قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.
(آل عمران :٦)

تصوير الله على غير مثال سابق (والمصوِّرون مقلِّدون):

فلا يُقلد غيره في تصوير خلقه وتشكيل صورهم؛ لأنه الأول سبحانه فلم يسبقه أحد لا في الوجود ولا في الخلق والتصوير، ولا في غيرها، وكل من صوَّر شيئًا إنما يصوِّر ما خلق الله ويُقلد هيئته ويحاول أن يشبهها بهذا المخلوق.

قال تعالى في الحديث القدسي: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

---

(١) رواه النسائي، والترمذي، وقال: حديث حسن.

وقال النبي ﷺ : «أَشَدُّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَذَابًا الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ الله».

كل شيء يصوِّره الله من خلقه وصنعه وغيره لا يخلق:

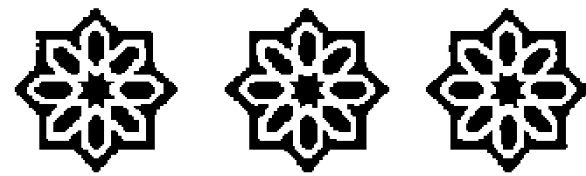
قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (الأعراف: ١١).

و قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾.

(التغابن: ٣)

فالمصورون وما يصورونه من خلق الله وحده:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦).



«العزيز» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

العزُّ في الأصل القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة: الرفعة والامتناع، «ولله العزة» أي: وله العزة والغلبة[١].

«العزيز»: الذي يَقْهَر ولا يُقْهَرُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢] (العنكبوت :٢٦)

و قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون :٨).

«العزيز»: قد يأتي بمعنى القليل الوجود (أي: النادر) المنقطع النظير، يقال: «عزَّ الشيء عزة فهو عزيز»: غير موجود، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت :٤١)، أي: يصعُب مَنَالُه ووجود مثلُه[٣].

«العزيز» الجليل الشأن، الشريف القدر، العظيم سبحانه[٤].

الدليل الشرعي:

جاء هذا الاسم الكريم في كتاب الله قرابة التسعين مرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة :٢٦٠).

وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الشعراء :٦).

وقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ (ص :٦٦).

---

(١) «النهج الأسمى» (٢/ ١٣٥).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (٥٦٣).

(٣) «المفردات» (٥٦٤)، «الاشتقاق» (٢٣٩).

(٤) «الاشتقاق» (٢٣٧)، (٢٣٩).

المعنى في حق الله سبحانه وتعالى:

قال ابن كثير: «والله عزيز» أي: منيع الجناب عظيم السلطان(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: عزيز لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء وما شاء كان بلا ممانع لأنه القاهر لكل شيء(٢).

وقال ابن كيسان: معناه الذي لا يعجزه شيء، دليله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٣).

وقال الحليمي: «العزيز» معناه الذي لا يُوصل إليه، ولا يمكن إدخال مكروه عليه، فإن العزيز في «لسان العرب» هو من: العزة والصلابة(٤).

وقيل: «العزيز» الذي لا مثل له بيانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(٥).

وقال السَّعدي: «العزيز» الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، دانت له الخليقة وخضعت لعظمته(٦).

قال ابن القيم:

وهو العزيزُ فلن يرام جَنَابُه ... أَنَّى يُرام جنابُ ذي السلطانِ؟!
وهو العزيزُ القاهرُ الغلَّابُ(٧) لم ... يغلبه شيءٌ هذه صفتانِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢٥).
(٣) «النهج الأسنى» (١/ ١٣٦).
(٤) نفسه (١/ ١٣٧).
(٥) نفسه (١/ ١٣٦).
(٦) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٣٠٠-٣٠١) عن «النهج الأسنى» (١/ ١٣٧).
(٧) «الغلاب» ليس من الأسماء الحسنى.

وهــو العزيــزُ بقــوة هــي وَصْــفُه فــالعزة حينئــذٍ ثــلاث معــانِ
وهــي الــتي كَمُلَــتْ لــه سـبحانه مــن كــل وجــه عــادم النقــصان[(١)]

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

أن الله هو العزيز من كل الوجوه وبكل المعاني، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠).

فمن أوجه تلك العزة:

١- عزيز في وحدانيته(٢) «سبحانه»:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثم قال بعدها مبينًا معنى الانفراد والأحدية: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. أي أن الأحد هو العزيز الذي انفرد بأوصاف الكمال الذي لا مثيل له[(٣)].

٢- عزيز في ذاته وصفاته:

فليس لأحدٍ مثل ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

٣- عزيز في كلامه:

فالقرآن عزيز، وقد وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢).

قال قتادة: أعزَّه الله؛ لأنه كلامه وحفظه من الباطل[(٤)].

---

(١) «النونية».

(٢) سبق في معاني «العزيز» أي: هو العزيز في الوجود الذي نَدُرَ وجوده في ثاني له.

(٣) «أسماء الله الحسنى» (٢/ ١٧) د/ محمود الرضواني.

(٤) انظر «النهج الأسمى» (١/ ١٤١).

فالقرآن عزيز على كل من أراده بباطل أو تحريف، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨).

وكذلك هو الله العزيز في كلامه إذا أراد شيئًا حدث وإذا أمر بشيءٍ كان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

٤- العزيز في كبريائه وعظمته «سبحانه»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

قال مجاهد: أي هو العظيم الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه[(١)]، وقال تعالى في الحديث القدسي: **«العِزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذَّبته»**[(٢)]. وفي لفظ آخر: **«العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما أسكنته ناري»**[(٣)].

٥- العزيز في انتقامه عزَّ وجلَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.

قال ابن جرير: «العزيز» الشديد في انتقامه من أعدائه، **وقال**: «العزيز» في انتقامه ممن أراد الانتقام منه لا يقدر أحد أن يدفعه عنه[(٤)].

فقد أغرق الله فرعون، وخسف بقارون، ومسخ بني إسرائيل إلى قردة وخنازير، وقلب قرية لوط عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل.

---

(١) ابن كثير (٤/ ١٤٨).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، ومسلم «البر والصلة» (٤/ ١٣٦).

(٣) رواه مسلم.

(٤) «النهج الأسمى» (١/ ١٣٦).

فانظر كيف انتقم الله من عادٍ وثمود: فما أغنت عنهم قوتهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٤-٦).

وتأمل كيف أغرق قوم نوح: فلم يرُدُّوا عن أنفسهم العذاب ولم ينصرهم أحدٌ من الخلق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ (نوح: ٢٥).

فسبحان الله كيف عاقبهم الله بعقوبتين كلاهما أشد من الأخرى، (أحلاهما مر) الغرق والحرق فالغرق في الدنيا والنار في الآخرة «فإن أجسادهم في النار وهي تحترق من عذاب البرزخ».

قال ابن كثير: أي نُقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار[(١)].

فسبحان الله عاقبهم بالنار وهم غرقى في الماء (والنار ضد الماء).

وتدبر كيف خسف الله بقارون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: خسف بهم إلى الأرض السابعة[(٢)].

وقال ابن كثير: ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله[(٣)].

---

(١) ابن كثير (٤/ ٤١٣).
(٢) نفسه (٣/ ٣٧٨).
(٣) نفسه (٣/ ٣٧٨).

وكيف أهلك أصحاب الفيل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل).

أرسل عليها طيرًا مع كل منها ثلاثة أحجار واحد بمنقاره، اثنين برجليه فحلقت عليهم وأرسلت تلك الحجارة عليهم فهلكوا هلاكًا سريعًا، ومنهم من جعل يتساقط عضوًا عضوًا وهم هاربون، وكان أبرهة ممن تساقط عضوًا عضوًا حتى مات ببلاد خثعم[1].

عقوبات تنتظر العصاة من تلك الأمة:

فإن من عِزَّة الله سبحانه أنه حكم على العصاة بعقوبة تنالهم لا محالة، إذا هم عصوه ولا يستطيعون لها دفعًا ولا منها هربًا إلا أن يتوبوا إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أو يعفو الله عمن يشاء.

قال النبي ﷺ: «**خمس بخمس؛ ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسِّنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر**»[2].

وما فشت الفاحشة في قومٍ حتى يعلنوا بها إلا ابتلاهم.

---

(١) ابن كثير (٤/ ٥٣٦).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٢٣٥).

٦- العزيز في نصر أنبيائه وأوليائه:

فالله سبحانه هو العزيز في نصر أنبيائه وأوليائه فينصرهم نصرًا قويًا في نفسه فريدًا في نوعه، وقد عقَّب الله على نصره لرسله باسمه العزيز سبحانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة :٢١).

وقد وصف الله نصره لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه نصر عزيز. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح :٣). ولما نصر أهل بدر قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

(آل عمران :١٢٣)

أي: قليل عدوكم؛ لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العَدَد والعُدد.

وعن عياض الأشعري، قال لأبي عبيدة يوم اليرموك: إنه قد جاش إلينا الموت واستحددناه، فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم على من هو أعز نصرًا وأحصن جندًا، الله - عَزَّ وَجَلَّ -؛ فاستنصروه؛ فإن محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نُصِر في يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ وأصبنا أموالًا[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (آل عمران :١٢٦)، أي: هو ذو العِزة التي لا ترام، والحكمة في قدره والأحكام[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٩).

«تُعِزُّ من تشاء وتذل من تشاء»

وهؤلاء يُذِلُّهم الله عَزَّ وَجَلَّ

١- من حادَّ الله ورسولَه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة: ٢٠).

قال ابن كثير: الذين في حدٍّ والشرع في حدٍّ أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ أي: في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلِّين في الدنيا والآخرة[1].

٢- اليهود أذل الخلق:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٦١)

قال ابن كثير: لا يزالون مستذلين، مَنْ وجدهم استذلهم وأهانهم، وضُرِب عليهم الصغارُ وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون.

وقال الحسن وقتادة: يُعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وقال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين، وقد أدركتهم هذه الأمة وإن المجوس لتجبيهم الجزية[2].

وذلك لكفرهم الذي لم يصل إليه غيرهم، وقتلهم الأنبياء بغير حق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (البقرة: ٦١). قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار»[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٩٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٤).

معصية الله ورسوله:

قال النبي ﷺ: «**وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»(١).

وانظر إلى هرقل حين أبى الصحابي الكريم أبو عبيدة بن الجراح وإخوانه أن يدخلوا على أخيه، وكان أمير جيش الروم وكان اسمه تذارق، وكان معه يومئذ ثلاثون رواقًا في عسكره، وثلاثون سرادقًا كلها من ديباج، فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوها وقالوا: لا نستحل الحرير فابرز لنا فبرز إلى فرش ممهدة وبلغ ذلك هرقل فقال: «ألم أقل لكم! هذا أول الذل. أما الشام فلا شام، وويل للروم من المولود المشئوم»(٢).

قال الحسن البصري رحمه الله: «**هانوا على الله فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم**». **وقال أيضًا:** «**أَبى الله إلا أن يُذل أهل معصيته فمها طقطقت بهم البُغْلُ وهملجت بهم البراذين فإن ذُلَّ المعصية في رقابهم**».

الكبر:

قال الله في الحديث القدسي: «**العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيءٍ منهما عذَّبتُه**»(٣).

فمن هذا العذاب أن المتكبرين يُحشرون أذِلَّة يعلوهم كل شيء من الصغار والحقار؛ فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ المتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ**

---

(١) رواه أحمد واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما، انظر «المسند» رقم الحديث (٥١١٥، ٧/ ١٢٢) وصحح الشيخ/ أحمد شاكر إسناده، وانظر هامش المسند (٧/ ١٢٢).

(٢) انظر «البداية والنهاية» (٧/ ٩)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٠٣)، وقول هرقل «المولود المشئوم» يقصد به رسول الله ﷺ وأقول: بل هرقل وقومه جميعًا هم المشئومون بمعصيتهم لله ورسوله.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢) ومسلم «البر والصلة» (٤/ ١٣٦).

الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ (بُولَس) فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ»(١). الذَّر: هو النمل الصغير.

مَنْ لم يسجد لله «سبحانه»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ (القلم: ٤٢-٤٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا**»(٢).

فإن العزة لله سبحانه وللمؤمنين الذين عبدوه في الدنيا، وسجدت له جباههم، وذلَّت له أعناقُهم فيجازيهم الله بعزِّ السجود له في الآخرة ثم يأخذهم إلى الجنة، أما الكافرون والمنافقون فلم يسجدوا له في الدنيا مع سلامتهم وقدرتهم على ذلك، وتكبروا عن أمره سبحانه فأذلهم الله يوم القيامة ثم إلى جهنم وبئس المصير والجزاء من جنس العمل.

الرغبة في الدنيا:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ورأى سِكَّة وشيئًا من آلة الحرث فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الذُّلَّ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد، وروي عن ابن عمرو وقال ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»: موقوف، إسناده حسن، انظر (٧/ ٣٧٥) حديث رقم (٤٦٢٩) عن المطالب.

(٢) رواه البخاري ومسلم (ابن كثير ٤/ ٢٩٣).

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢٣٢١) مع الفتح.

ترك الجهاد في سبيل الله:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[(١)].

من أسباب العزة «هؤلاء يُعِزُّهم الله»

إن الله هو العزيز وله العزة جميعًا ولا يأخذ أحدٌ من العزة شيئًا إلا إذا أعطاه الله منها، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران: ٢٦).

وأعظم سبب يعزُّ الله به عباده هو طاعته وعبادته جل جلاله، فمن هذه الأسباب:

١- الإيمان بالله:

فإن الشرك غاية الذل والإيمان الصادق غاية العزِّ، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون: ٨).

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لاَ يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ الله كَلِمَةَ الإِسْلاَمِ إِمَّا بِعِزِّ عَزِيزٍ وَإِمَّا بِذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمُ الله فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَيَعِزُّوا بِهِ وَإِمَّا يُذِلُّهُمْ فَيَدِينُونَ لَهُ**»[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢) وقال الألباني (٢/ ٦٦٣): صحيح وصححه أيضًا الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول» (١١/ ٧٦٥).

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي.

الإسلام هو غاية العز:

ولما خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام – ومعهم أبو عبيدة – فأتوا على مخاضةٍ، وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خُفَّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أأنت تخلع خُفَّيك، وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرُّني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عُمَرُ: أَوَّه لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالًا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، إنا كُنَّا أذلَّ قومٍ فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العِز بغير ما أعزنا الله به أذلَّنا الله[1].

الإسلام أعزُّ الأنساب:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تميمِ

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«انْتَسَبَ رَجُلاَنِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أنا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ، لاَ أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ابْنُ الإِسْلاَمِ، فَأَوْحَى الله عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عليه السلام: أنَّ هَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ، أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَمِي أَوِ الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ، وَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ، وَأَمَّا أَنْتَ الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ، فَأَنْتَ ثَالِثُهُمْ فِي الْجَنَّةِ»**[2].

العز في الاستغناء عن الناس:

قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: **«... واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزَّهُ استغناؤه عن الناس»**[3].

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهما جميعًا بأيوب بن عائذ الطائي وسائر رواته ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (جـ٥ صـ١٢٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٣١): إسناده صحيح.

وللّه درُّ القائل:

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإن ذلك نقصٌ منك في الدينِ
واسترزق الله مما في خزائنه فأمرُ ربِّك بين الكاف والنونِ

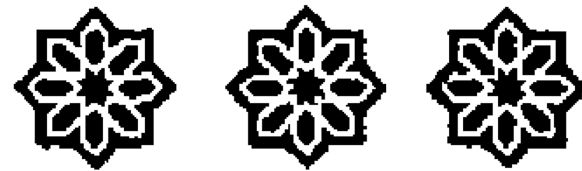
الصبر على الظلم:

قال النبي ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ الله عِزًّا**»[1].

العفو عند المقدرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه عن ستِّ خصال... قال: يا ربِّ! أيُّ عبادك أتقى؟ قال: «**الذي يذكر ولا ينسى**»... قال: فأيُّ عبادك أعز؟ قال: «**الذي إذا قَدَرَ غَفَرَ...**»[2].

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: كان السلف يكرهون أن يُسْتَذَلُّوا فإن قدروا عَفَوا[3].



(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، عن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه.
(٢) حسن، أخرجه ابن حبان (جـ٨٦).
(٣) «فتح الباري» (٥/ ١١٩).

«الحقُّ» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

الحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق، والحق: هو الأمر الثابت والواجب كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧)، والحق: الذي لا شك فيه، الثابت الذي لا يتغير.

الدليل الشرعي:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف:٤٤).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج:٦٢)، وقال تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون:١١٦).

المعنى في حق الله:

قال ابن الأثير: «الحق» هو الموجود حقيقة المتحقِّق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل[1].

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس:٣٢): يقول الله تعالى ذكره لخلقه: أيها الناس! فالله هو الذي فعل هذه الأفعال الكريمة، فهو الذي يرزقكم من السماء والأرض، ويملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر

---

(١) «النهاية» (١/ ٤١٣).

الأمر، الله ربكم الحق لا شك فيه: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾. يقول: فأي شيءٍ سوى الحق إلا الضلال وهو: الجور عن قصد السبيل(١).

يقول: فإذا كان الحق هو ذا، فادِّعاؤكم غيره إلهًا وربًا هو الضلال المبين والذهاب عن الحق(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: يعني تعالى ذكره بقوله ذلك هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار، وإيلاجي النهار في الليل؛ لأني أنا «الحق» الذي لا مثل لي، ولا شريك ولا ندَّ لي وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلهًا من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنع شيء بل هو المصنوع(٣).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- الله سبحانه هو الحق في وجوده:

فإن وجود الله سبحانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن الله سبحانه دليل على كل موجود.

سُئل رجلٌ: ما الدليل على وجود الله؟ **قال:** كيف تسألني عن وجود مَنْ كان دليلي على كل موجود.

قال الخطابي: «الحق» هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيءٍ صح وجوده وكونه فهو حق، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ (الحاقة:١-٢)، معناه والله أعلم: الكائنة حقًا لا شك في كونها، ولا دافع لوقوعها.

---

(١) «جامع البيان» (١١/ ٧٩).
(٢) المصدر السابق (١١/ ٨٠).
(٣) نفسه (١٧/ ١٣٧).

٢- قوله الحق:

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب: ٤)، فقوله صادق، وكلامه كله حقائق، فأقواله لا تتغير، وكلماته لا تتبدل «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٧).

٣- وعده الحق:

فإذا وعد الله بشيءٍ فعله، وإذا تكفل بشيءٍ أنجزه، فوعد بالمخرج لمن اتقاه وهذا حق، ومن توكل عليه كفاه وهذا حق، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

ومن توكل عليه كفاه: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ (الطلاق: ٣).

ومن سأله أعطاه: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر: ٦٠)

ولذلك فله الحمد كله: فله الحمد على أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وله الحمد على صدقه، وله الحمد على إنجازه وعده، وله الحمد على كل فعل فعله، وله الحمد على كل كلمة قالها.

وقد كان النبي ﷺ يلهث لسانه بحمد ربه على عظيم أقواله وجميل أفعاله، ويذكره سبحانه بما يليق به من عِزِّه وجلاله وذلك في كل ليلة يقوم فيها بين يدي الله سبحانه.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ. أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»(١).

وهو الرب الحق:

فلا يخلق غيره، ولا يرزق سواه فهو الرب الحق، وهو الإله الحق الذي يستحق العبادة وحده ولا ينازعه الألوهية سواه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (يونس: ٣١-٣٢).

الله لا يستحي من الحق:

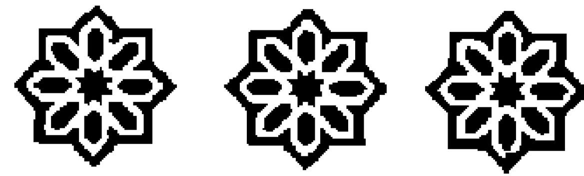
فإن الحق خير ولو كان مرًا، والحق كله نفع، والله ما فعل شيئًا إلا خيرًا سبحانه فكيف يستحي الله من الخير والصدق والبر؟!! قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (الأحزاب: ٥٣).

---

(١) رواه البخاري.

وكذلك فإن الله لا يستحي من الدلالة على الخير بضرب الأمثلة مهما كان المثل شيئًا يظهر للناس أنه بسيط أو صغير ولو كان ذبابًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦).



«المبين» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

بان الشيء بيانًا: اتضح فهو بَيِّنٌ، وأبان الشيء فهو مُبين، وأبَنْتُه أنا: أي أوضحته، واستبان الشيء: وضح، واستبَنْتُه أنا: عرفته، وتبين الشيء: وضح وظهر، وقال الزجاجي: «المُبِين» اسم الفاعل من أبان فهو مُبِينٌ إذا أظهر وبَيَّن إما قولًا وإما فعلًا[1].

وسُمِّي الكلام بيانًا لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره نحو: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٣٨)؛ وسُمِّي ما يُشرح من المجمل والمبهم من الكلام بيانًا نحو قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾. ويقال بَيَّنْتُه وأبنتُه: إذا جعلت له بيانًا يكشفه نحو قوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤).

وروده في كتاب الله:

ورد هذا الاسم الكريم مرة واحدة في كتاب الله في قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور: ٢٥).

المعنى الشرعي لهذا الاسم الكريم[2]:

قال الخطابي: «المُبِينُ» هو البين أمره في الوحدانية وأنه لا شريك له[3].

وقال الأصفهاني: «المُبِينُ» ومعناه البيِّن أمره، وقيل: البين الربوبية والملكوت، يقال: أبان الشيء بمعنى بيَّنَ، وقيل معناه: أبان للخلق ما احتاجوا إليه[4].

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» صـ(١٨٠).

(٢) انظر «النهج الأسمى» للنجدي (٢/ ١٨).

(٣) «شأن الدعاء» صـ(١٠٢).

(٤) «الحجة في المحجة» (ق٢١أ)

وقال الزجاجي: فالله تبارك وتعالى هو «المبين» أي: المبين لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال الموجبة لثوابه والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتونه ويذرونه(١).

وقال ابن جرير وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٢٥)، يقول ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق الذين كانوا فيما يعدهم في الدنيا يمترون(٢).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- إن الله هو المبين لنفسه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى:

فقد بيَّن الله الحقائق عنه سبحانه لخلقه بوحيه وآياته، وأظهر لهم صفاته وأفعاله بشرعه وكلماته، فهو الرب الخالق الرازق ولا رب سواه، وهو الإله الواحد الأحد ولا إله إلا الله.

فها هو سبحانه قد أظهر صفاته لنبيه موسى موضحًا له أنه الرب الخالق، فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢).

وأظهر له بعدها أنه الله لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، فقال: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤).

وها هو يبين لنبيه محمد ﷺ أنه ربه وخالقه ورب الخلق أجمعين:

الذي خلقهم ورزقهم وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ١-٥).

(١) «اشتقاق الأسماء» صـ(١٨١).
(٢) «جامع البيان» (١٨/ ٨٤).

ويبين للعُزير أنه على كل شيء قدير:

هذا الذي تعجب من قرية قد هلكت فتسائل كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ثم بين له كيف يحيي الموتى فأحيا له حماره بعد ما كان عظامًا ورميمًا فلما تبين له قال: أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير.

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٩).

٢- والله هو المبين لخلقه الحق من خلال رسله:

فقد بعث الله أنبياءه ورسله إلى أقوامهم بخلق حسن وأعمال صالحة وأقوال مفهومة طيبة حتى يبين للناس مراده منهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم: ٤).

ويعث الله رسوله مبينًا للهدى والنور:

فبعث الله رسوله بأعظم دين وأكرم كتاب بأحسن خلق، وأفصح منطق، وأيسر أمر، وألطف أسلوب، وأعذب معانٍ فأصبح للدنيا شمسها، وللعين نورها، وللأجساد روحها فهدى الله به الخلق من الضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ففتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا فبين لهم صراط الله المستقيم ونوره المبين، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٤).

و قال تعالى: ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ (الحجر: ٨٩).

وقد سمّى رسوله بالبينة:

قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ (البينة: ١-٢).

والبينة: هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة(١).

ورسول الله مُبيّن للحق بكتاب الله:

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤).

٣- الله مبين في كلامه «فأنزل كتابًا مبينًا فيه آيات بينات»:

فالقرآن كلام الله المبين يبين الحق من الباطل والهدى من الضلال، والحرام من الحلال، فأحكامه أعظم الأحكام يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

وأنزل الله كتابه بلسانٍ عربيٍ واضحٍ مبين:

قال تعالى: ﴿ الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ١-٢)، و قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٥).

---

(١) «المفردات» للأصفهاني صـ(١٥٧).

٤- والله هو المبين في كتابه لكل شيء:

فبيَّن فيه كل شيء من صغير وكبير، وما من شيء إلا ولكتاب الله عليه سلطان إما تصريحًا أو تلميحًا أو إشارة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

وقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ما ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا من أمر الدنيا والآخرة ولا طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه شيئًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

٥- وهو المبين للحق في آيات كتابه الكريم:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥).

٦- والله هو المبين الحق لخلقه بآياته الشرعية والكونية:

فلم يترك لخلقه آية مظهرة لعظمته إلا وضَّحها.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

وصدق من قال:

تأمَّل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثار ما صَنع المليكُ
عيونٌ من لُجين ناظرات ... بأحداق هي الذهب السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريكُ

وقال الآخر:

فيا عجبًا كيف يُعْصَى الإلهُ ... أم كيف يجحده الجاحدُ؟
وفي كل شيءٍ له آية ... تدل على أنه الواحدُ

وجعل في البيت الحرام آيات بينات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧).

٧- والله هو المبين لخلقه ما خفي عنهم:

فأبان لهم عداوة الشيطان وهم لا يرونه:

فإن الشيطان قد امتلأ على آدم وذريته غيظًا وحقدًا واحترق منهم كرهًا وحسدًا، وهو يرانا ونحن لا نراه فأوضح الله لنا عداوته، وسماه عدوًا مبينًا أي واضحًا ظاهرًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (البقرة: ١٦٨).

وقد جاء هذا التحذير بنفس ألفاظه في ثلاثة مواضع من كتاب الله.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف: ٥)، فلا يدله إلا على شر، ولا يمنعه إلا من خير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (البقرة: ٢٦٨).

ويا لحسرة من أطاعه بعد هذا البيان وعصى ربه وخالِقهُ من أجله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (يس: ٦٠-٦١).

وقد بين الله لنا هذا الخسران وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٩).

لا تشهد على شيء إلا ببينة:

فقد نُهينا عن الأخذ بالكلام الذي فيه طعن في أعراض المسلمين أو اتهام لهم حتى نتبين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

الدعاء بهذا الاسم الكريم

هذا إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - يسألان الله أن يبين لهما مناسك عبادتهما له سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وفي الدعاء: «**اللهم أرنا الحقَّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه**».



«السَّميع» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضًا، وقد يأتي بمعنى الفهم، كما قال بنو إسرائيل: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾، أي: فهمنا ولم نأتمر، ورجل سميع: أي سامع، ورجل سمَّاع: إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق كقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ (المَائِدَة :٤١)، والسميع على وزن فعيل من أبنية المبالغة.

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم الكريم في كتاب الله خمسًا وأربعين مرة، ومنها:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البَقَرَة :١٢٧).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (لقمَان:٢٨).

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (سَبَإ :٥٠).

معنى الاسم في حق الله:

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السميع لأقوال عباده[1].

وقال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواءٌ عنده الجهر والخفوت، والنطق والسكوت. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ (الرَّعْد :١٠).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٢).

وقد يكون السماع في بعض المواضع بمعنى: القبول والإجابة كقول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ**»(١).

وقوله ﷺ: «**مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ**»، أي: من دعاء لا يُستجاب، ومن هذا قول المُصلي: «سمع الله لمن حمده»(٢)، معناه: قَبِل الله، حَمْدَ من حَمَدَه.

قال ابن القيم: فعل السمع يراد به أربعة معان:

١- سمع إدراك ومتعلقه بالأصوات، مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ (المجادلة: ١).

٢- سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، كقوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ (البقرة: ١٠٤)، ليس المراد سمع مجرد الكلام، بل سمع الفهم والعقل ومنه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (البقرة: ٢٨٥).

٣- سمع إجابة وإعطاء ما سُئل، كقول النبي ﷺ: «**سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ**»، وفي الدعاء المأثور: «**اللهم اسمع**». أي: اللهم أجب وأعط ما سألتك.

٤- سمع قبول وانقياد، كقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، أي: قابلون له ومنقادون غير منكرين، ومنه على أصح القولين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٧)، أي: قابلون ومنقادون(٣).

---

(١) رواه أنس، وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة رضي الله عنهم، ورواه أحمد (٣/ ١٩٢-٢٥٥)، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري في مواضع منها (٦٩٠-٧٢٢-٧٣٢)، ومسلم في مواضع منها (٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٩).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٥-٧٦).

قال ابن القيم:

وهو السَّميع يرى ويسمع كلَّ ما ... في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمْعٌ حاضرٌ ... فالسرُّ والإعلان مستويان
والسَّمعُ منه واسعُ الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدُها والداني(١)

من آثار الإيمان باسم الله السميع «سبحانه»

١- إن الله هو السميع لكل صوت:

فإن الله سبحانه هو السميع لكل الأصوات السر منها والعلن، العالي منها والمنخفض، فلا يشغله الأصوات الكثيرة عن الصوت المنفرد ولا تمنعه الأصوات الصاخبة عن الصوت المنخفض؛ فإن الله - تبارك وتعالى - يسمع دبة النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، واستمع إلى عائشة رضي الله عنها وهي تُسبِّح ربها لما علمت من إحاطة سمعه بالأصوات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحَمْدُ لله الَّذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ البَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ (المجادلة: ١).

وفي رواية: «تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ»(٢).

---

(١) «النونية» (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٦)، والبخاري تعليقًا (١٣/ ٣٧٢) وغيرهما.

٢- إن الله سميع قريب مجيب:

فإن الله يسمع خلقه في أي مكان وبأي صوت فهو قريب من خلقه بعلمه وسمعه وبصره وقدرته، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال: «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ**»[١].

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه: ٤٦).

ولذلك دعا زكريا عليه السلام ربه في خفاءٍ فأجابه.

قال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ (مريم: ٢-٣)

٣- سمع الله حقيقي وليس مجازيًا:

فلله سمع حقيقي بلا تكييف ولا تشبيه.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

٤- المشركون لا يعلمون أن الله سميع:

فإن الغباء قرينُ الشرك إذ أن المشرك لا يعرف ربه ولا يعرف صفاته، وإليك دليل على جهل المشركين بسمع الله سبحانه، يرويه لنا البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت «الكعبة» قرشيان وثقفي - أو ثقفيان وقرشي - كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٨٦).

يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٢)[1].

ليس كمثله شيء في سمعه سبحانه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

فسمع الله ليس كسمع خلقه فسمع الناس يكون بجارحة تطرأ عليها الأمراض ويصيبها الخلل، ثم إذا سمعت فإنها تسمع الصوت العالي وقد لا تسمع المنخفض، وتسمع القريب ولا تسمع البعيد، وتسمع الجهر ولا تسمع السِّر، وإذا كثرت الأصوات اختلطت عليها فلم تميز بعضها من بعض، وإذا نام لم يسمع ثم يذهب ما تبقى منها ويفنى بالموت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢).

أما سمع الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، فإنه سبحانه يسمع ما تحت الأرض كما يسمع ما فوق السماء، ويسمع الخلق جميعًا كما يسمع الصوت الواحد، ولا تختلط عليه الأصوات، فيسمع دبة النملة أثناء ضرب البرق والرعد، والقريب والبعيد عنده سواء والسر عنده مثل العلن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (الملك: ١٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ (الرعد: ١٠).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٧، ٧٥٢١)، ومسلم (٢٧٧٥).

دعاء الله باسمه السميع سبحانه

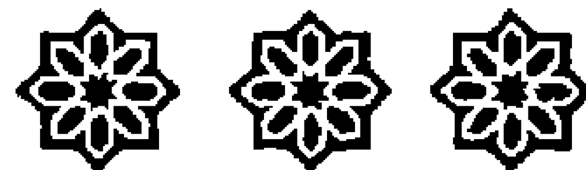
فإن الله سميع لعباده الصالحين، فهو سميع لدعائهم، مجيب لرجائهم وتلك أمثلة لدعاء الأنبياء والصالحين لله وتوسلهم له سبحانه بسمعه وبصره وعلمه.

دعاء إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وهما يرفعان القواعد من البيت قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة :١٢٧).

وهذا دعاء امرأة عمران عندما نذرت ما في بطنها خالصًا لله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (آل عمران :٣٥) فأجابها الله وتقبَّل مريم قبولًا حسنًا.

دعاء زكريا أن يرزقه الله ذرية صالحة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ (آل عمران :٣٨).

ودعاء يوسف عليه السلام ربه بأن يحفظه ويصرف عنه كيد النساء فسمعه الله وأجابه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (يوسف :٣٤)



«البصير» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي[١]:

البصر في الخلق: حاسة الرؤية، أو حس العين والجمع أبصار، ورجل بصير: مُبصِر خلاف الضرير، ورجل بصير بالعلم: عالم به، والبصيرة: العلم والفطنة[٢].

وروده في القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم في عدة مواضع من كتاب الله ومنها:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (الحج: ٧٥).

المعنى في حق الله تعالى:

قال الخطابي: البصير هو المُبصر، ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور[٣].

وقال السعدي: «البصير» الذي يبصر كل شيء وإن دقَّ وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويبصر ما تحت الأرضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضًا «سميع بصير» بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة[٤].

---

(١) انظر «النهج الأسمى» (١/ ٢٣٥).

(٢) «اللسان» (١/ ٢٩٠).

(٣) «شأن الدعاء» (٦٠-٦١).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٢٩٩).

وقال ابن كثير ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (آل عمران: ١٥)، أي: هو البصير العليم بمن يستحق الهداية عمن يستحق الضلالة، وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون وما ذلك إلا لحكمته ورحمته[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو البصيرُ يرى دبيبَ النملة الـ ... سوداءِ تحتِ الصخر والصوانِ
ويرى مجاري القوتِ في أعضائها ... ويرى عروقَ بياضها بعيانِ
ويرى خيانات العيون ولَحْظَها ... ويرى كذلك تقلُّبَ الأجفانِ[2]

وعلى هذا يكون لاسم الله البصير معنيان: كلاهما حق ثابت لله سبحانه.

الأول- أن له بصرًا على الحقيقة يرى به - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وهذا حق.

الثاني- أنه ذو البصيرة بكلِّ الأشياء الخبير بها وهذا أيضًا حق[3].

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١- الله هو البصير بكل شيء:

فإن الله يرى كل شيء مهما صغر ويدرك كل شيء مهما خفي وندر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ (الملك: ١٩).

٢- والله بصير بالعباد في كل أحوالهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ (الإسراء: ٩٦).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٥٤)، (٤/ ٨١).
(٢) «النونية» (٢/ ٢١٥).
(٣) «النهج» (٢٣٧).

فالله بصير بمن آمن منهم ومن كفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (التغابن: ٢).

والله بصير بما يصلح أحوال خلقه من الغنى والمال، ومن يفسده ذلك فيعطي كلًا منهم ما يستحقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (الشورى: ٢٧).

والله سبحانه خبيرٌ وبصيرٌ بذنوب عباده السر منها والعلن، ما ظهر منها وما بطن وسيجازيهم عليها سبحانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٧).

٣- من علم أن الله يراه أحسن في عبادته:

من علم أن الله يراه حرص على الخير، فأتقن عمله وأخلص نيته وأنفق من المال أحسنه، فعندما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإحسان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[1].

ولذلك حينما يرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه يوم القيامة سيخرُّ ساجدًا بمقدار جُمعة، ويفتح عليه من الذكر والحمد ما لم يفتح عليه من قبل وذلك حين يطلب الناس منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشفاعة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ الله عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي...»**[2]،

---

(١) رواه مسلم (٨)، وهو جزء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطويل.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: «... **فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى، فَيَقُولُ الله: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ....**»[1].

٤- ومن علم أن الله يراه استحى منه سبحانه:

وهذا من أعظم أسباب الحياء والصلاح فقد مرَّ الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ على رجل فسمعه يقول:

إذا ما خلوتَ الدَّهر يومًا فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة أو أن ما تخفيه عنه يغيبُ

فبكى الإمام أحمد ودخل بيته وسُمع يقول: إذا ما خلوت الدهر يومًا...

ولله درُّ القائل:

إذا ما دَعتْكَ النفسُ يومًا إلى ريبةٍ والنفسُ داعيةٌ إلى العصيانِ
فاستحي من نَظَر الإلهِ وقُلْ لها إنَّ الذي خلق الظَّلام يراني

فالله يرى البصر ويدرك أين يذهب. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

(الأنعام: ١٠٣)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (النجم: ٣٩-٤١).

---

(١) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في «صحيحه» وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٤١).

دعاء الله باسمه البصير

وهذا دعاء لوقاية المظلوم من ظالمه ويؤمن الخائف ممن يخيفه وهو دعاء مؤمن آل فرعون، قال: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٤-٤٥).

هؤلاء محرومون من نظر الله: ونظر الله لعباده يوم القيامة نعمة عظيمة بل هي من أعظم النعم ومن حُرمها فقد حُرِم الخير ومن هؤلاء:

المنان والحالف بالكذب: عَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**».

وفي رواية: «**الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ**»(١). المسبل: هو الذي يطول ثوبه ويرسله إلى الأرض كأنه يفعل ذلك تجبرًا واختيالًا.

المتكبرون: وقال النبي ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

العجوز الزاني والعائل المستكبر: عن سلمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: أُشَيْمَطٌ زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل اللهَ بضاعَتَه، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**»(٣).

«أُشَيْمط» مصغَّر «أشمط»: وهو أبيض بعض شعر رأسه كبير واختلط بأسوده.

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) رواه مالك، والبخاري، ومسلم.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» وفي «الصغير» و«الأوسط».

«الفتَّاح» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

الفتح: نقيض الإغلاق، ويأتي الفتح بمعنى: النصر.

وقال الأزهري: الفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبرًا عن شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩)، أي: اقضِ بيننا.

وروده في القرآن الكريم:

ورد الاسم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (سبأ: ٢٦).

معنى الاسم في حق الله تعالى:

قال قتادة: «افتح بيننا وبين قومنا بالحق»: اقض بيننا وبين قومنا بالحق[١].

وقال الزجاج: والله تعالى ذِكْره فتح بين الحق والباطل فأوضح الحق وبيَّنه وأدحض الباطل وأبطله، فهو الفتاح[٢].

وهو الفتاح لأبواب الرحمة والرزق ويملك مفاتحها، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى: ١٢)

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٩/ ٣) وإسناده صحيح.
(٢) «تفسير الأسماء» صـ(٣٩).

ما يفتحه الله لا يغلقه أحد:

فإن الله يملك خزائن السموات والأرض، ويملك أرزاقها، ولا يملكها غيره ولا يرسلها سواه، فما يفتحه لا يغلقه أحد وما يمسكه لا يفتحه أحد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (فاطر: ٢).

فإن فتح المطر لا يمسكه أحد، وإن أمسكه لا يرسله أحد، وإن فتح الرزق لا يمسكه أحد، وإن أمسكه لا يرسله أحد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ (يونس: ١٠٧).

ويفتح من العلم والرزق والنصر لأوليائه:

فيفتح من علوم الغيب لأنبيائه ورسله فقط، قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

وقال الخطابي: «الفتاح» هو الحاكم بين عباده، وقال: وقد يكون معنى «الفتاح» أيضًا الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم ويفتح قلوبهم، وعيون بصائرهم، ليبصروا الحق، ويكون الفتاح أيضًا بمعنى الناصر لعباده كقوله سبحانه: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ (الأنفال: ١٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذلك الفتَّاح من أسمائه ... والفَتْح في أوصَافِه أمْرانِ

فتح بحُكم وهو شَرْع إلَينَا ... والفتح بالأقدار فتح ثانِ

والرَّب فتّاح بذين كليهما ... عدلاً وإحسانًا من الرحمن

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

إن الله سبحانه هو الفتاح لكل مغلق من أرزاق، وعلوم، وأحكام...

١- إن الله هو الفتاح لما غاب عن خلقه:

فهو الذي يملك الغيب وما فيه من أمور غابت عن الخلق ولا يملكها أحدٌ سواه، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام :٥٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ (لقمان :٣٤).

ويفتح من العلوم لعباده الصالحين:

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة :٢٨٢).

ويفتح أبواب الرزق للمتقين:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ (الطلاق :٢-٣).

رسول الله ﷺ أعظم من فتح الله له خزائنه:

فقد فتح الله لنبيه ﷺ فتحًا عظيمًا في كل شيء، في الوحي وبركته، وفي القرآن وعظمته، وآتاه من المغفرة أعظمها ومن النعم أتمها ومن النصر أعزّه ومن الطرق أقومها.

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح :١-٣).

وقد فتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وأدخل الله به الناس في رحمته وفتح له أحب البلاد إليه، ونصره على كل من عاداه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ (النصر).

بل وفتح الله لرسوله أبواب السماء وأسرى به إلى المسجد الأقصى ثم إلى السموات السبع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

طوبى لعبد جعله الله مفتاحًا للخير:

فإن الله هو الفتاح للخير كله، والرزق كله وإليه يرجع الأمر كله، ويفتحها لمن شاء من خلقه وقد اصطفى الله من خلقه من يجري الخير على يديه، ويجعله مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر فيفتح على يديه بكلمة حق، أو بحكم عدل، أو بإطعام جائع، أو إعطاء محروم.

قال النبي ﷺ: **«إِنَّ هَذَا الخَيْرَ خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ الله مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِغْلاَقاً لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ الله مِفْتَاحاً لِلشَّرِّ مِغْلاَقاً لِلْخَيْرِ»**(١).

يوم القيامة هو يوم الفتح العظيم:

ففي يوم القيامة سيفتح الله بين خلقه، ويحكم فيهم بحكمه، ويفصل بينهم بحكمته وعلمه فيتبين المؤمنُ من الكافرِ، والبرُّ من الفاجر، والخير من الشر،

(١) رواه ابن ماجه، وأبو نعيم في «الحلية».

وسيُعلم الظالمون من المهتدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سبأ :٢٦).

وكل هذا بعلم الله فهو السميع الذي لا يخفى على سمعه صوت وهو البصير الذي لا يغيب عن بصره مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (الأعراف :٧).

و قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس :٦١).

ليس كل ما يفتح فهو خير:

فإن الله يفتح أبواب الخير لعباده الصالحين، أما من حادَّه وعصاه فيفتح له أيضًا ولكن سيكون ذلك الفتح حجة عليهم لا لهم واستدراجًا لهم وليس لإكرامهم.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِذَا رَأَيْتَ الله يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»**، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام :٤٤)[1].

وقال أبو حازم: إذا رأيت الله - عَزَّ وَجَلَّ - يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.

قال النبي ﷺ: **«إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»**[2].

---

(١) «مسند أحمد».

(٢) متفق عليه.

أعظم ما يُفتح هو أبواب التوبة والرحمة:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع لنا ربك يجعل لنا الصَّفا ذهبًا، فإن أصبح ذهبًا اتبعناك، فدعا ربه فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا فمن كفر منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ»[(١)].

الدعاء باسم الله الفتاح سبحانه

فإن دعاء الله باسمه الفتاح كان سبيل الأنبياء والصالحين ليفتح بينهم وبين من كفر بهم، وينصرهم على من ظلمهم.

قال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١١٧-١١٨).

وقال شعيب عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ (الأعراف: ٨٩).

دعاء دخول المسجد:

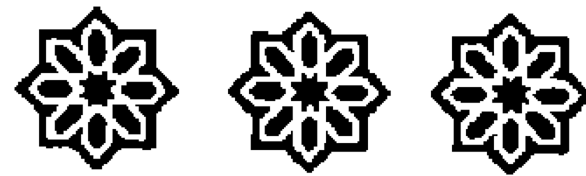
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يسألوا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يفتح لهم أبواب رحمته في الدخول وأبواب فضله في الخروج.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٢-٣٤٥) وصححه الحاكم (٤/ ٢٤٠) ووافقه الذهبي وهو كما قالا وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٤٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ المَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(١).

وفي رواية: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ المَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»(٢).



(١) «سنن ابن ماجه».

(٢) «سنن أبي داود».

«الوَلِيُّ» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

الوَلْيُ: القرب والدنو، يقال: تباعد بعد وَلْيٍ، «**وكل مِمَّا يليك**»: أي: مما يقاربك، والوَلِيُّ: ضد العدو، والموالاة: ضد المعاداة، يقال فيه: تولاه[1]، وقيل: الوَلِي: هو الذي ينصر ويؤيد في لطف وحلم ورفق، والولاية: النصرة، والولاية: تولي الأمر، و«وَلَّيْتُ» سمعي كذا، ووليت عني كذا، ووليت وجهي كذا: أقبلت به عليه.

والوَلِيُّ: تقال لمن والى الله من الناس فكان له وليًا، كقوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ (مريم: ٥)[2].

الدليل من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (الشورى: ٩).

معنى الاسم في حق الله:

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان[3].

---

(١) انظر «النهج الأسمى» (٢/ ٤٣).

(٢) «مفردات الألفاظ» للأصفهاني (٨٨٥-٨٨٧).

(٣) «جامع البيان» (٣/ ١٥).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾، وكفاكم وحسبكم بالله ربكم وليًا يليكم ويلي أموركم بالحِيَاطة لكم، والحراسة من أن يستفزكم أعداؤكم عن دينكم، أو يصدوكم عن اتباع نبيكم(١).

وقال الزَّجَّاج: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وهو تعالى وليُّهم بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم(٢).

وفي المقصد: «الولي» هو: المُحِبُّ الناصر(٣).

وقال الحليمي: «الولي» ومعناه: مالك التدبير، ولهذا يقال للقيم على اليتيم: ولي اليتيم، وللأمير: الوالي(٤).

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١ - «أن الله ولي الذين آمنوا» أي: نصيرهم وظهيرهم ينصرهم على عدوهم، «وكفى بالله وليًا ونصيرًا» فهو السميع لدعائهم وذكرهم، القريب منهم، يعتزون به، ويستنصرونه في قتالهم وكل شئونهم.

لقد جاء في حديث البراء رضي الله عنه في غزوة أُحد أن أبا سفيان قال بعد أن أصيب المسلمون: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم بن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد

---

(١) نفسه (٥/ ٧٥).

(٢) «تفسير الأسماء» صـ(٥٥).

(٣) «المقصد الأسنى» صـ(٨٢).

(٤) «المنهاج» (١/ ٢٠٤).

قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، إن الذي عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوؤك فقال: يوم بيوم بدر والحروب سجال، إنكم سترون في القوم مُثْلة لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز أُعْلُ هُبَل فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تجيبوه؟**»، فقالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجلّ**» قال: إن لنا عزًا ولا عزًا لكم، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تجيبوه**» قالوا: يا رسول الله! ما نقول؟ قال: «**قولوا الله مولانا ولا مولى لكم**»[1].

٢- ليس لنا ولي غير الله «ليس لنا من دون الله من أولياء»:

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة :١٠٧).

و قال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء :١٧٣).

و قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.
(الكهف :١٧)

٣- الله هو الولي الحميد:

فالله يتولى خلقه بلطفٍ ورحمة، ويرزقهم بكرم ورأفة، ولذلك استحق الحمد في ولايته فهو أعلم بمن خلق وأكرم من رزق ومثال ذلك: أنه يتولى المساكين، وينزل المطر والغيث من بعد ما قنطوا بلطف ورحمة.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الشورى :٢٨).

٤- من هم أولياء الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ (يونس :٦٢-٦٣).

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٤٩-٣٥٠).

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨).

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الجاثية: ١٩).

٥- المؤمنون بعضهم أولياء بعض:

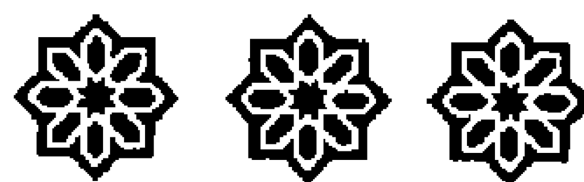
عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تُنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئًا**».

٦- من الدعاء بهذا الاسم:

دعاء يوسف عليه السلام بعد ما أصبح مَلِكًا مُمَكَّنًا، بعدما كان مسكينًا مستضعفًا، عَلِم أن الله تولاه بقدرته ورباه برحمته فأراد تمام النعمة وكمال المِنَّة بأن يلقى الله على فطرة الإسلام ويلحق بالصالحين من أهل الجنة.

قال يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (يوسف: ١٠١)



(١) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، والطيالسي والحاكم والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن ابن مسعود، وأحمد وابن أبي شيبة وابن نصر عن البراء وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣١٢).

«العليم» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

المعنى اللغوي:

العلم: نقيض الجهل، وعلمت الشيء: عرفتُه وخَبرتُه، وعَلِمَ بالشيء: شَعَر به، والعليم على وزن فعيل من أبنية المبالغة، وعلَّام، وعلَّامة إذا بالغت في وصفه بالعلم، أي: عالمٌ جدًا[١].

وروده في القرآن الكريم:

ورد اسم الله (العليم) في مائة وسبعة وخمسين موضعًا من كتاب الله منها:

في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢)

وقوله عز وجل: ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٤)

وقال تعالى: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ (الروم: ٥٤).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (يس: ٣٨)

المعنى في حق الله (سبحانه):

قال ابن جرير: إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعليم، عليم بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك.

---

(١) «النهاية» (٣/ ٢٩٢)، «اللسان» (٤/ ٣٠٨٢)، وانظر «النهج الأسمى» (٢١٣).

وقال: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من إيمانٍ وكفرٍ وحقٍ وباطلٍ، وخير وشر[(١)].

وقال الخطابي: هو العليم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علمُ الخلق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (لقمان:٢٣).

وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذلك قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٧٦)[(٢)]. **قال ابن عباس:** الله العليم وهو فوق كل عالم[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو العليمُ أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سرٍ ومن إعلانِ

وبكل شيءٍ علمه سبحانه ... فهو المحيط به وليس ذا نسيانِ

وكذلك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كان والموجود في ذا الآنِ

وكذلك أمرٌ لم يكن لو كان كيـ ... ـف يكون ذاك الأمر ذا إمكانِ

من آثار الإيمان بهذا الاسم

١- **إن الله هو العليم بكل شيء:** فإن الله عليم بكل شيءٍ جملة وتفصيلًا.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩).

---

(١) الطبري (١/ ١٧٥)، (١١/ ١٢٧).

(٢) «شأن الدعاء» (ص ٥٧).

(٣) ابن جرير (١٣/ ١٩).

وقال الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر: ٧).

٢- ويعلم (الحاضر والغائب) كله:

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (التغابن: ١٨).

٣- ويعلم تاريخ الماضي كله:

سأل فرعون موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ (طه: ٥١)، فقال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢).

٤- عليم بكل شيء؛ لأنه خالق كل شيء:

فإنه خلق الخلق، ورزق الرزق، وملك الملك، وكوَّن الكون.. فهو يعلم ما صنعه سبحانه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٩).

٥- ويعلم الأقدار لأنه مقدّرها:

فهو يعلم الأقدار قبل وقوعها وظهورها؛ لأنه هو الذي قدَّرها سبحانه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢).

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قبل أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ..»[1].

---

(١) رواه مسلم.

٦- وهو العليم بالإنسان وتكوينه:

فيعلم حاله في كل زمان ومكان ويعلمُ التقي النقي من الظالم البغـي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم: ٣٢).

٧- ويعلم كل ما في نفس الإنسان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٣، ١٤).

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦).

* والله هو الذي علَّم خلقه:

فلا يحصل أحدٌ على علم إلا بمـشيئته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٥٥). و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق: ٤)، وقالـت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢).

ليس كمثله شيءٌ في علمه

فإن الخلق قد يعلمون شيئًا ويجهلون أشياءَ، يعلمون جانبًا مـن الأمـور ولكـن لا يحيطون بـشيء علـمًا، وإذا علمـوا الظـاهر لا يعلمـون البـاطن، وإذا علمـوا العلـن لا يعلمون السر، وإذا علموا الحاضر لا يعلمون المستقبل ولا يدركون الغيب، وإذا علموا لا يعلمون إلا بحياة بعد موت وبعلم بعد جهل، فإذا كثرت علـومهم تزاحمـت علـيهم العلوم فنسوا منها؛ لضعف ذاكرتهم.. وقد لا يعلم ما يضره مما ينفعه، ثم هم بعد ذلـك كله.. لم يؤتوا من العلم إلا قليلًا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

و قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

و قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه: ٥٢).

و قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

(الطلاق: ١٢)

وانظر إلى سعة علمه سبحانه، ففي قصة الخضر مع موسى عليهما السلام قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فلما رَكِبا في السَّفِينَةِ جاء عُصْفُورٌ فَوَقَعَ على حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ في البَحْرِ نَقْرَةً أو نَقْرَتَيْنِ قال له الخَضِرُ: يا مُوسَى ما نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ من عِلْمِ اللهِ إلا مِثْلَ ما نَقَصَ هذا العُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ من البَحْرِ»[(١)].

دعاء الله باسمه العليم

إن من أفضل ما يدعى اللهُ به هو اسمه العليم؛ لأنه يعلم الخير من الشر، وما ينفع مما يضر. فانظر كيف يدعو الخليل إبراهيم ربَّه ويتوسل إليه بعلمه، وهو يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ (إبراهيم: ٣٨).

وهذا عيسى عليه السلام يقول: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (المائدة: ١١٦).

دعاء الاستخارة

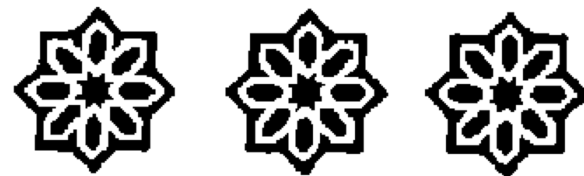
والاستخارة من أنفع الأسباب في الحصول على الخير واجتناب الشر؛ إذ تستخير الله – عز وجل – في حياتك وما يهمك؛ ليوفقك لما ينفعك ويباعد عنك ما يضرك؛ لأنه

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أُبي بن كعب.

بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وهذا ما كان يحرص عليه رسول الله ﷺ ويعلمه أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن.

فعن جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الإِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كما يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ من القُرْآنِ، يقول: «إذا هَمَّ أحدُكُم بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ من غَيْرِ الفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ من فَضْلِكَ العَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللهم إن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ خَيْرٌ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» أو قال: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ «فَاقْدُرْهُ لي، وَيَسِّرْهُ لي ثُمَّ بَارِكْ لي فيه، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» أو قال: في عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ «فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عنه، وَاقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كان ثُمَّ أَرْضِنِي به» قال: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ(١).



(١) رواه البخاري، وقوله: «ويسمي حاجته»: أي بدلًا من قوله (هذا الأمر).

«الحميد» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي للاسم:

الحمد: نقيض الذَّمِّ، تقول: حَمِدتُ الرجل أحمدُه حمدًا ومحمدة، فهو «حميد»، و«محمود»، وقيل إن الحمد: هو الثناء مع الحُبِّ، المُحَمَّدُ: الذي كثرت خصاله المحمودة.

الدليل من القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم سبع عشرة مرة في القرآن الكريم منها:

قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هُود :٧٣)

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ (إبراهيم :٨).

معنى الاسم في حق الله:

قال الخطابي: «الحميد» هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو الذي يحمد في السَّراء والضَّرَّاء، وفي الشدة والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال[(١)].

وقال ابن كثير: وهو «الحميد» أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، لا إله إلا هو ولا رب سواه[(٢)].

---

(١) «شأن الدعاء» صـ[٧٨].

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢١).

وقال الحليمي: «الحميد» هو المُسْتَحِقُّ لأن يُحْمَد؛ لأنه جل ثناؤه برأ فأوْجَد، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل، ووَالى بين مِنَحِهِ، وتابع آلاءه، ومننَه، حتى فاتت العدَّ، وإن اسْتُفْرِغ فيها الجهد فَمن ذا الذي يستحق الحمد سواه؟!! بل له الحمد كله لا غيره كما أن المنَّ منه لا من غيره[1].

قال ابن القيم:

وهو الحميدُ فكلُّ حمدٍ واقعٍ ... أو كان مفروضًا مدى الأزمانِ
ملأ الوجودَ جميعَه ونظيرَهُ ... من غير ما عدٍّ ولا حسبانِ
هو أهلُهُ سبحانه وبحمده ... كلُّ المحامدِ وصفُ ذي الإحسانِ[2]

من آثار الإيمان بهذا الاسم

أن الله هو الحميد سبحانه على كل حال: أي: يستحق الحمد على كل حال وفي كل وقت، فهو حميد يستحق الحمد على جميل أسمائه، وعظيم صفاته وشريف أفعاله.

١ - أن الله هو الحميد في نفسه على أسمائه وصفاته وأفعاله:

قال الشيخ السعدي: «الحميد» في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها وأعلاها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

---

(١) «المنهاج» (١/ ٢٠٢) وذكره ضمن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، ونقله البيهقي في «الأسماء» صـ(٥٩-٦٠).

(٢) «النونية» (٢/ ٢١٥).

وقد كان النبي ﷺ يحمد الله على جميل أسمائه وعظيم صفاته فيحمده على ربوبيته للسموات والأرض، ونوره لهما وقيامه على خلقه فيقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ....»(١).

من فضائل حمد الله سبحانه

الحمد لله تملأ الميزان: قال النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ....»(٢).

أحب الكلام إلى الله: فإن الله يحب من يحبه، ويحب من يثني عليه بما هو أهله ويحب الحمد والحمادين، قال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»(٣).

خير الدعاء: قال النبي ﷺ: «إِنَّ أفضل الذكر: لا إله إلا الله وأفضل الدعاء: الحمد لله»(٤).

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٦)، والحاكم (١/ ٥٠٣) من حديث جابر ﷺ، وصححه الحاكم وانظر «صحيح جامع الترمذي» (٢٦٩٤).

«الحمد لله لغة كل المخلوقات»

كل شيء يسبح بحمد لله:

قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وكل شيء يصلي ويرزق بحمد الله:

قال نوح لابنه: «إني موصيك بوصية وقاصرها كيلا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله تعالى، أوصيك بلا إله إلا الله فإنَّ السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتها، ولو كانت في كفة وزنتها. وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق وبها يرزق الخلق ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٤)».

الرعد يسبح بحمد الله:

قال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣).

الحمد لله على نعمه

الحمد لله أفضل من كل النعم:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**»(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٠) واللفظ له، وأبو بكر بن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٣٥٨) عن أنس مرفوعًا وله شاهد عند الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٩٣/ ٧٧٩٤).

أي: كان إلهام الله له من الحمد والشكر أفضل مما أخذ من النعمة.

الحمد لله سببٌ في رضا الله:

فحمد الله من أعظم الأسباب لرضا الله عن عباده: فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»(١).

وهذا الحمد للرفع من الركوع:

دعاء النبي ﷺ:

فقد كان النبي ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا، لَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(٢).

وهذا حمدٌ تتسابق عليه الملائكة:

وانظر إلى قدر الحمد وكيف يحبه الله وتحبه الملائكة؛ لحب الله له حتى أن عشرات الملائكة تتسابق لتكتبه.

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللهِ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَقَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٥).

(٢) رواه مسلم.

فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟». قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»[1].

حمد الله يحول البلوة إلى نعمة

وانظر أخي الحبيب إلى حمد الله وقت الضراء وكيف يحولها إلى سراء، وكيف يحول البلاء إلى الرخاء.

فانظر إلى حمد الله على المرض:

فحمد الله على المرض لك به إحدى اثنتين: إما الشفاء وإما الجنة، عن عطاء بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فقال: «**انْظُروا ماذا يقول لعُوَّاده؟**» فإن هو إذا دخلوا عليه حمد الله تعالى رفعوا ذلك إلى الله، وهو أعلم، فيقول: «**لِعَبْدِي إنْ أنا توفَّيته أن أُدخله الجنة، وإنْ أنا شفيته أن أبدله لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خيرًا من دمه، وأن أكفِّر عنه سيئاته**»[2].

الحمد لله عند رؤية المبتلى:

وهذا ذكر يحفظ صاحبه من البلاء: عن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: «**مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلاَءِ وَمِنْ هَمْزِهِ أَبَدًا مَا عَاشَ**».

الحمد لله عند فراق الأحبة:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمَلاَئِكَةِ: «أَقَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «أَقَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟» قَالُوا:**

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مالك مرسلًا وانظر «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.

نَعَمْ، قَالَ: «فَما قَالَ؟» قَالُوا: اسْتَرْجَعَ وَحَمِدَكَ، قَالَ: «ابْنُوا لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ».

الحمد لله عند خروج الروح:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: الْمُؤْمِنُ عِنْدِي بِكُلِّ خَيْرٍ، يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ»(١).

حمد الله من أهل الجنة

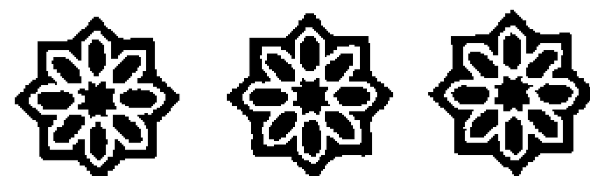
فهؤلاء أهل الجنة وقد صفت قلوبهم وسعدت نفوسهم، حمدوه إذ أذهب عنهم الأحزان، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

قال الحسن البصري: من لم يحزن في الدنيا يُخشى عليه أن يكون من أهل النار، ثم قال: فإن أهل الجنة يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.

الحمد لله الذي صدقنا وعده:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ (الزمر: ٧٤).

قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (يونس: ١٠).



(١) رواه الحارث، وأحمد بن حنبل، والبزار بسند صحيح.

«الرزاق» سبحانه وتعالى

المعنى اللغوي:

الرزق: ما ينتفع به سواءً كان في الدنيا أم في الآخرة، ماديًا أو معنويًا.

قال الأصفهاني: «الرزق يقال للعطاء الجاري تارة، دنيويًا كان أم أُخرويًا، وللنصيب تارة ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة»، **يقال**: أعطى السلطان رزق الجند، ورُزقت علمًا.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣). أي: من المال والجاه، وفي الطعام وما يتغذى به كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، وكقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ (الكهف: ١٩).

وقد يعني رزق الآخرة في الجنة كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ٦٢)

و«**الرَّازق**»: يقال لخالق الرزق، ومعطيه، والمسبب له وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨).

ولا يُسمى بهذا الاسم إلا الله، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ (الحجر: ٢٠)، أي: لا تملكون سببًا في رزقه، ولا مدخل لكم فيه[1].

الرَّزَّاق: صيغة مبالغة لمن يرزق، وهي أبلغ من الرَّازق.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٣٥١-٣٥٢).

الدليل الشرعي:

جاء الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٨)، وقد قرأ ابن محيصن وغيره (الرَّازق)(١).

معنى الاسم في حق الله سبحانه:

قال ابن جرير: هو الرزَّاق خلقه المتكفل بأقواتهم(٢).

قال الخطابي: هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وَسِع الخلق كلهم برزقه ورحمته فلم يختص بذلك مؤمنًا دون كافر، ولا وليًا دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له، ولا متكسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي، قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ (العنكبوت:٦٠)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود:٦)(٣).

وقال السعدي: الرَّزَّاق لجميع عباده فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ورزقه لعباده نوعان:

١- رزق عام شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين وهو رزق الأبدان.

٢- ورزق خاص وهو رزق القلوب وتغذيتها بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعين على صلاح الدين، وهذا خاص بالمؤمنين على مراتبهم منه بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته(٤).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٥٦)، «روح المعاني» (٢٧/ ٢٤).

(٢) «جامع البيان» وانظر «النهج الأسمى» (١٩٣، ١٩٤).

(٣) «شأن الدعاء» صـ(٥٤)، «الاعتقاد» (٥٧).

(٤) «تيسير الكريم» (٥/ ٣٠٥).

الرزق مكتوب فلا تحزن:

قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢-٢٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ رزقَ أحدِكم يَسْعى خَلْفه فَيُدْركه ولو فَرَّ منه كما أنَّ الموتَ يفرُّ خَلْف أحدِكم ولو فرَّ منه».

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يُجْمع خلقُ أحدِكم في بطن أمهِ نطفةً أربعين يومًا، ثم عَلَقةً مثلَ ذلك، ثم مُضْغةً مثلَ ذلك، ثم يُبْعث المَلَكُ في الشهر الرابع بأربع كلماتٍ».

حتى الذئب يعلم أن الرزق بيد الله سبحانه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟»(١)، وفي رواية لأحمد قال الذئب للراعي: «ألا تتقي الله؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ»(٢).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- الله هو الرزّاق وحده:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨)، فالله سبحانه يملك الرزق كله والخلق كله.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٣).

(٢) انظر «دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤)، وهو يملك الرزق والمرزوق، والمُلك والمملوك، والخلق والمخلوق.

٢- لا رازق إلا الله:

فالله سبحانه هو الرزاق ولا رازق غيره، ولا يملك الرزق سواه ولا بمثقال ذرة وهذه نعمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣).

فدُلَّني على رزق لم يرزقه، أو على خيرٍ لم ينزله، أو على عطاءٍ لم يعطه، أو على نعمٍ لم ينعم بها، فالرزق مصدره واحد، ودُلَّني: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك: ٢١).

فالله سبحانه هو مصدر الرزق كله، ومالك الملك كله، ومنزل الخير كله، وصاحب الإنعام كله.. فإن منعه فمن ذا الذي يرسله، وإن أمسكه فمن ذا الذي ينزله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾.

(الملك: ٢١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (فاطر: ٢).

٣- الخلق جميعًا يرزقون من رزقه:

يرزق الخلق جميعًا: فالله سبحانه هو الذي رَزَق كل الخلق كلَّ شيء، قال موسى: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه: ٥٠).

والله سبحانه يرزق من عَبَده ومن عبد غيره، ومن أطاعه ومن عصاه، ومن في السماء ومن في الأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)

ويرزق من في الأرض ومن في السماء، ومن على البر ومن في الماء، فيرزق الحوت في البحر، والنمل في الجحر، والطير في الوكر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

قال ابن كثير: «الله يرزقها» أي: يفيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلح حتى النور في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء[1].

حتى أعداؤه يرزقهم: فلا يمنع رزقه ممن عصاه، ويعطي ويعافي حتى من عاداه، قال النبي ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ اللهِ؛ يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ**»[2].

٤- لا تعبد إلا من يرزقك:

فحقُّ الله أن يعبد ولا يكفر، وأن يُطاع فلا يعصى؛ فكما أن الله هو الخالق وحده، والرَّزَّاق وحده إذًا فلابد أن يُعبد وحده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم: ٤٠).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٩)، (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

وانظر إلى هذا المشهد من حساب الله يوم القيامة لرجل خلقه ورزقه ثم نسي ربه سبحانه، قال النبي ﷺ: «**يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: «أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟» قَالَ: فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ لَهُ: «اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**»[1].

وفي رواية للإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ: «**أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخيل والإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟» فَيَقُولُ: لا، فَيَقُولُ: «فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**»[2].

«أسودك» أي: أجعلك سيدًا على غيرك، «ترأس» أي: تكون رئيسًا للقوم، «تربع» أي: رئيسًا مطاعًا.

الرزق كله بيد الله سبحانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى، لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ**»[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ (الحجر: ٢١).

---

(١) رواه الترمذي، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما وهو حديث حسن.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٤١١).

الربُّ «ذلكم الله ربكم»

«الربُّ» سبحانه وتعالى

من هو الربُّ؟ ماذا يفعل الربُّ لخلقه؟

كل إجابة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على هذا السؤال هو ما يسمى بـ«توحيد الربوبية».

من رضي بالله ربًا دخل الجنة:

قال النبي ﷺ: **«مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ باللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ، لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ»**[1].

ماذا يفعل الرب؟ ما هي صفات الرب؟

إبراهيم عليه السلام يصف الربَّ سبحانه فقال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ (الشعراء: ٧٧-٨٢).

فالنعم كلها من الله. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ (النحل: ٥٣).

الربُّ هو الشافي وحده: قال النبي ﷺ: **«أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»**[2].

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٥٧)، و«الصحيحة» (٨٦٢٦).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

الرب هو الخالق وحده لكل شيء: قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢).

الرب هو الرزاق وحده: قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ (العنكبوت: ٦٠).

الرب يُحيي ويُميت: قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)

الرب هو الذي يُعلِّم: قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١-٥).

وصفٌ جامعٌ للرب: قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ (الأعلى: ١-٥).

نوح عليه السلام يدعو قومه إلى ربهم بكلام تدمع له القلوب قبل العيون:

قال نوح لقومه: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح: ١٣-٢٠).

العبادة حقٌ للربِّ وحده سبحانه:

إذا كنت لم تخلق بنفسك فإنك لم تخلق لنفسك إنما خُلقت لله وعبادته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: ١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١، ٢٢).

أممٌ لا تعرف ربها

فقد أغوى الشيطان أُممًا، وأضلَّ عقولًا حتى نسوا ربهم، فمن هؤلاء الذين لم يعرفوا خالقهم ورازقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوم ثمود كفروا ربهم:

قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴾ (هود: ٦٨).

فرعون لا يعرف من ربه:

فقد قال فرعون: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه: ٤٩، ٥٠).

قارون لا يعرف مَنْ يرزقه:

فقال له علماء قومه: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٧٧). فقال لهم: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (القصص: ٧٨). وكانت النتيجة: قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ (القصص: ٨١).

اليهود والنصارى يتخذون أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله:

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (التوبة: ٣١). فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: «**أليس يحرمون ما أحل الله فتُحرِّمونه ويحلون ما حرَّم الله فتحلونه**»؟ فقلت: بلى، قال: «**فتلك عبادتهم**»[(١)].

ويظنون أن المغفرة بأيديهم:

فإذا أخطأ أحدهم يذهب إلى ما يُسمى عندهم بـ «البابا» ويجلس على كرسي يُسمى بـ «كرسي الاعتراف» ثم يقص عليه أحداث ذنبه وتفاصيل خطيئته طالبًا المغفرة، فيقول له: اذهب فقد غفر لك الرب، يطلب من عبدٍ مثله يخطئ كبقية البشر ويذنب كسائر المذنبين، قال النبي ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[(٢)].

سبحان الله عما يصفون، هكذا يكون قد ارتكب إثمين عظيمين:

أولهما – الشرك بالله؛ لأنه لا يدري أن الله وحده هو الغفار للذنوب، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ١٣٥)، وقال النبي ﷺ: «**فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

ثانيهما – أنه قد فضح نفسه لعبد مثله لا يملك له نفعًا ولا ضرًا، ومثل هذا لا يغفر له، قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة**

(١) رواه الترمذي في «الجامع» رقم (٣٠٩٤)، وأصله عند أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٧، ٣٧٨) دون هذا اللفظ.

(٢) حسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٣٤١).

أن يعمل الرجل عملًا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه». رواه البخاري ومسلم.

الشيوعيون ينكرون أن لهذا الكون ربًا[(١)]:

فلا يؤمنون بأن لهذا الخلق خالقًا، ولا للرزق رازقًا ويقولون: إن الطبيعة هي المادة الفاعلة والمُوجِدة لهذا الكون، وإن هذا الوجود أزلي ليس له بداية وليس له نهاية، ومن عقائدهم إنكار وجود الله وكل المغَيَّبات، ومن كلامهم الخبيث: «نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، وستالين، ونكفر بثلاثة: الله، والدين، والملكية الخاصة. عليهم لعنة الله إلى يوم الدين»[(٢)].

سبحان الله يمشون على أرضٍ لا يدرون من بسطها، وتحت سماءٍ لا يعلمون من رفعها، ويأكلون زروعًا لا يعرفون من أثمرها، ويشربون من أنهار لا يعرفون من فجَّرها، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ (الأعراف: ١٧٩)!!

الحيوانات تعرف مَنْ خلقها ويرزقها:

الذئب يعرف مَنْ يرزقه: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي فَالتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي**»[(٣)]، وفي رواية أحمد قال الذئب: «**ألا تتقي الله؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ**»[(٤)].

---

(١) نشأت الشيوعية في القرن السابع عشر بأوروبا وتطوَّرت على يد ماركس ولينين وستالين.
(٢) «الموسوعة الميسرة» (٣١٠)، وانظر كتاب «الشرك في القديم والحديث» لأبي بكر محمد بن زكريا. ط - مكتبة الرشد.
(٣) البخاري (٣٦٦٣).
(٤) انظر: «دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

البقرة تعلم من خلقها: قال النبي ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلَّمته فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خُلِقت للحرث». فقال الناس: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «فَإِنِّي أُؤْمِنُ بِذَلِكَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ»(١).

هل يكفي بأن تعرف ربك لتكون مسلمًا؟

الإجابة على هذا السؤال تكون بما نطق به القرآن وجاءت به السُّنة وإليك بعضه:

كفار قريش يعلمون أن الله هو الخالق:

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان:٢٥).

فمن أقرَّ بالله ربًّا ولم يعبده وحده أو اتخذ معه معبودًا آخر لم ينفعه ذلك الإقرار؛ إذ أنه أقرَّ بالنعمة ولم يشكر من أنعم بها سبحانه، ويعترف بأن الله هو الخالق الرازق وحده ولكنه لا يعبده وحده. يعترفون بأن الله رب ثم يعبدون غيره!!. يعبدونهم ليقربوهم من الله: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (الزمر:٣).

فتراه قد اتخذ إلهًا غير الله أو معه يحبه كحب الله ويدعوه من دونه ويتوسل إليه ويتوكل عليه وينذر وينحر له (سبحان الله عما يصفون).

إبليس ـ عليه لعنة الله ـ يعلم أن الله ربه وخالقه:

فقال إبليس – عليه لعنة الله – لله سبحانه: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)

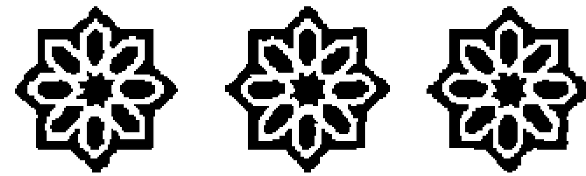
---

(١) البخاري (٣٦٦٣).

ويعلم أن الحياة والموت بيد الله وحده:

فلما أراد إبليس الإفساد في الأرض وإضلال بني آدم إلى يوم القيامة سأل الله أن يحييه إلى يوم القيامة ولا يميته، قال تعالى عن إبليس[1]: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ (الحجر: ٣٦-٣٧).

ومن أجل ذلك من عرف الله ولم يعبده لم تنفعه معرفته تلك، كمن يعلم أن الله هو الإله الحق ولا يعبده ويأبى أن يركع له ويسجد، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ**»[2]، وقال أيضًا: «**العَهْدُ الذي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**[3]»[4].



(١) قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - أجاب دعاء شر الخلق إبليس - لعنه الله - إذ قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الحجر: ٣٦).

(٢) رواه مسلم.

(٣) وكفر تارك الصلاة على خلافٍ بين العلماء، فهل يُخرج من الملة أم هو كفر أصغر؟ وكذلك اختلفوا في سبب تركها: جحودًا أم كسلًا، وكذلك في معنى كلمة «تركها» هل ترك كامل طوال عمره أم هو ترك مؤقت كالذي يترك بعض الفرائض أو يجمع الصلوات؟ فتأمل ذلك جيدًا قبل الحكم على الناس.

(٤) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الإله «لا إله إلا الله»

قل مع الكون: لا إله إلا الله:

فكل مَنْ في هذا الكون يعلم أن الله هو خالقه ورازقه فيشكره ويحمده ويعلم أن الله سبحانه هو إلهه فيطيعه ويعبده.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

وقال النبي ﷺ: «**اللهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَإِلَهَ كُلِّ شَيْء، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**».

ولله درُّ القائل:

سبحانه من كان قبل الخلق أجمعه ... لا قبل من قبله لا بعد إلا هو

رب الوجود تعالى أن يحيط به ... علم العباد بلا شركٍ عبدناه

فانظر. تأمل. تفكّر سوف تعرفه ... في كل شيء وتوقن أنه الله

هو الذي خلق الأشياء من عدم ... وكل شيءٍ يسبحه ويخشاه

فالشمس والبدر من أنوار حكمته ... والبر والبحر فيضٌ من عطاياه

فالعرش والكرسي والملكوت قدَّسه ... رغبًا ورهبًا سبحانه هو الله

والشمس تسجد له والنجم والشجر ... حُبًّا وشوقًا فالله مولاه

والمُزن سبَّح في جوِّ السماء طربًا ... والرعد سبحه والريح تهواه

والصخر يهبط من عليائه خوفًا ... ويَفْجُر الماء ويبكي مما يخشاه

والبحـــر مجّــده، والمــوج كبَّــره — والطـــير ســبَّحه والحــوت ناجـــاه

والنمـل تحـت الـصخور الـصّم يعرفـه — والنحـــل يهتـــف حمـــدًا في خلايـــاه

الكــون يــشكره والعبــد يكفــره — والعبــد ينــسى وربــي لــيس ينــساه

فكـــل مـــا حولنـــا فينـــا يـــذكرنا — إذا نـــــسينا بـــــأن إلهنــــا الله

مَن ذا الذي يسمع الشكوى ويرفعها — ويـــستجيب لخلـــق الله إلا هــــو

مَـن يكـشف الـسوء غـير الله خالقنـا — إن مـــسَّنا الـــضُّر مَـــن نـــدعوه إلا هـــو

اختُصَّ باسـمٍ فـلا يحظـى بـه أحـدٌ — وذلـــك الاســـم معـــروف هـــو الله

فانظر لهذا التقديس من حملة العرش ومن حوله.

حملة العرش ومَنْ حوله يلهجون بالتسبيح ويحفُّون من حول العرش بالإجلال والتقديس والتعظيم لله سبحانه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧).

سبحان الله وبحمده لغة كل المخلوقات: وعن النبي ﷺ أنه قال: **«قَالَ نُوحٌ لِابْنِهِ: ... وَأُوصِيكَ بِسُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهُمَا صَلاةُ الخَلْقِ، وَبِهِمَا يُرْزَقُ الخَلْقُ...»**[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤)

---

(١) رواه النسائي واللفظ له، والبزار، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

كل المخلوقات تصلي لله وتسبحه في وقت واحد معًا:

وقال النبي ﷺ: «ما تستقل الشمس فيبقى شيءٌ من خلق الله إلا سبح الله بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم»[1].

السموات السبع والأرض يسبحن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ (الإسراء: ٤٤).

الرعد والسحاب يُسبِّحان «بحمد الله»:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ﴾ (الرعد: ١٣).

ديكٌ عظيم يسبح الله «العليَّ العظيم»:

فقد قال النبي ﷺ: «إنّ الله أذِنَ لِي أنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ قَدْ مَرَقَتْ رجلاهُ الأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مَثْنيَّةٌ تَحْتَ العَرْشِ، وهُوَ يَقُولُ: سُبْحانَكَ ما أَعْظَمَكَ، فَيُردُّ عليْهِ: لا يَعْلَمُ ذلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كاذِباً»[2].

إسرافيل ويا لصبره على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ! ويا لذله بين يدي العزيز الجبار! فانظر إلى حاله وهو يمسك بالصور في فمه منذ آلاف بل قد يكون ملايين السنين وتأمّل دِقّته في متابعة أمر الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) حسن: رواه ابن السُّني، وأبو نعيم في «الحلية» عن عمرو بن عبسة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٥)، والبيهقي في «الأسماء» صـ(٤٧٥)، وغيرهما، وانظر «الصحيحة» (١٦٦٥).

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ التَقَمَ صَاحِبُ القَرْنِ القَرْنَ[(١)]، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ، فَيَنْفُخَ»[(٢)].

كل شيء يسجد لله

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحج: ١٨).

الشمس تسجد لله تحت العرش:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟». قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾»[(٣)].

وفي رواية أحمد: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا».

النجم يَسجد مع الشجر لربّه وخالقه:

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ (الرحمن: ٦).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أي: نجوم السماء وأشجار الأرض تعرف ربها وتسجد له وتطيع وتخشع[(٤)].

---

(١) صاحب القرن: أي إسرافيل عليه السلام، والقرن هو الصور.

(٢) رواه الترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن، وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) «تيسير الكريم الرحمن» صـ(٨٢٩).

الشجرة تسجد لله وتدعوه:

عن أبي سعيد الخدري قال: رأيت فيما يرى النائم كأني تحت شجرة وكأن الشجرة تقرأ سورة ﴿صٓ﴾ ، فلما أتت على «السجدة» سَجَدَت فقالت في سجودها: «اللهم اغفر لي بها، اللهم حُط عني بها وزرًا، وأحدث لي بها شكرًا، وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته»، فغدوت على النبي ﷺ فأخبرته فقال: «**سجدت أبا سعيد؟**» قلت: لا، قال: «**فأنت أحق بالسجود من الشجرة**» ، ثم قرأ النبي ﷺ سورة (﴿صٓ﴾) ثم أتى السجدة وقال في سجوده ما قالت الشجرة في سجودها(١).

حتى الدواة والقلم يسجدان لمن أنزل القرآن - سبحانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كُتِبَتْ عنده سورة النَّجم، فلما بلغ السجدةَ سجد، وسجدنا معه وسجدت الدواة والقلمُ(٢).

تلبية الحجر والشجر والمدر مع المحرم بالحج أو العمرة:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلاَّ لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ مِنْ شَجَرٍ وَحَجَرٍ حَتَّى تَنْقَطِعَ الأَرْضُ مِنْ هُنَا وَهُنَا، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه أبو يعلى والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٧١٠).

(٢) رواه البزار بإسناد جيد، وانظر «الصحيحة» (٣٠٣٥).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة في «صحيحه»، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

خشوع الجبال لكلام الله:

سبحان الله! هذه المخلوقات الصلبة تؤمن بالله، وتذل لعِزَّته وتخشع، وتتواضع لعظمته وتخضع، سبحانه ما أعظمه!

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الحشر: ٢١).

قال ابن كثير: أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدَّع من خوف الله عَزَّ وَجَلَّ فكيف يليق بكم - أيها البشر - أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه[1]؟!

تشقق الحجارة وهبوطها وبكاؤها من خشية الله:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٤)

قال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: كل حجر يتفجَّر منه الماء أو يتشقق عن ماء أو يتردَّى من رأس جبل، لَمِن خشية الله؛ نزل بذلك القرآن[2].

وعن ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى بن يعقوب في قوله: ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، قال: كثرة البكاء، وقوله: ﴿يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾، قال: قليل البكاء[3].

---

(١) «ابن كثير» (٤/ ٣٣١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

حب جبل أحد لله ورسوله والمؤمنين:

هذه المخلوقات قاسية المعدن لكنها لينةُ القلب، قوية البناء بينما هي ناعمة المشاعر، قال النبي ﷺ عن جبل أُحد: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»(١).

غضب السموات والأرض والجبال من أجل الله:

فإن السموات والأرض والجبال تغضب أن دُعي للرحمن ولدٌ، تحزن أن هؤلاء السفهاء يسبُّون الله الواحد الأحد.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ (مريم:٨٨-٩٢).

إلى هؤلاء الذين ادعوا أن لله ولدًا، أما تخافون أن تنفطر فوق رؤوسكم السماء أو تبتلعكم الأرض أو تنهدم عليكم الجبال؟

معاداة الشجر والحجر لليهود من أجل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ وَرَاءَ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا عَبْدَ اللهِ! هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»(٢).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم (٥٢٠٣).

حتى أجساد الكفار تعبد الله وتطيعه:

فالله خالقها ومصوِّرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإنها تدين له وحده بالولاء والطاعة، فإذا أمرها أطاعت وإذا سخَّرها لأصاحبها سُخِّرت، وإذا سلبها هذا التسخير سُلِبت وإذا مَسَخَها مُسخت.

أجساد اليهود تتحول إلى أجساد قردة وخنازير:

فانظر إلى أجساد اليهود حين عصوا الله عَزَّ وَجَلَّ واحتالوا على شرعه، واصطادوا يوم السبت الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه فأمر الله أجسادهم أن تتحول إلى أجساد قردة فاستجابت الأجساد لأمر خالقها سبحانه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البَقَرَة :٦٥-٦٦).

الأسماع والأبصار والجلود تشهد الله على أصحابها:

وفي يوم القيامة يسلب الله سبحانه تسخيره الأجساد لأصحابها فتطيع إلهها وتنطق الأسماع والأبصار والجلود وتشهد لله تعالى على أصحابها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فُصِّلَت :١٩-٢١).

حتى النار تعبد الله العزيز القهار «سبحانه وتعالى»:

فالنار وحرُّها ولهيبها يعبدون الله تعالى ويخضعون لقهره وسلطانه فإن أراد أن تحرق أحرقت وإن أراد الله أن تصبح النار بردًا، ولهيبُها نسيمًا عليلًا وحرُّها هواءً جميلًا لأطاعت لأمره وخضعت لقهره.

فمن ذلك: حين أُلقي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في النار قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

الذئب يدعو إلى «لا إله إلا الله»:

عن أهبان بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت في غنم لي فشدَّ الذئب على شاة منها، فصحت عليه، فأقعى الذئب على ذَنَبه يخاطبني وقال: من لها يوم تنشغل عنها؟ تمنعني رزقًا رزقنيه الله تعالى؟ فصفَّقْتُ بيدي وقلت: والله ما رأيت شيئًا أعجب من هذا! فقال الذئب: أعجب من هذا، هذا رسول الله بين هذه النخلات يدعو إلى الله، فأتى أهبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره وأسلم.

الهدهد، تهتدي على يديه أمة:

الهدهد يغار على «لا إله إلا الله» وعلى توحيد الله.

فقد حَزَن الهدهد أنَّ غير الله يُعبد، وتألم أنَّ غير الله يُركع له ويُسْجَد، فانظر إلى همته العليَّة واستمع إلى لهجته الجادة القَويَّة وهو يحدث سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول سبأ فقال: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (النمل: ٢٢-٢٦).

حب الخلق للدعاة إلى الله:

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وفي رواية أخرى: «وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ»، (رواه أبو داود والترمذي).

النمل أمة تسبح الله:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى الله إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأمم تُسَبِّحُ الله»(١).

أعظم من شهد أن «لا إله إلا الله»

الله وملائكته وأولو العلم:

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

أخبث من اعترف بها

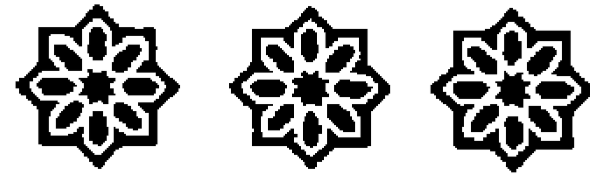
فهذه شهادة من «إله الباطل لإله الحق»:

---

(١) رواه البخاري.

شـهادة مَنْ قال: «ما علمت لكم من إله غيري»، اعتراف من فرعـون نهديـه إلى كل فرعون متكبر جبار في كل زمان ومكان، ونقول: اسمعوا لإمـامكم وهـو يُقِرُّ بالتوحيد، وانظروا لقدوتكم وهو يخضع لرب الوجود وإله العبيد في وقت لا ينفع فيه مُلكٌ ولا تاجٌ ولا جنود.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ (يونس: ٩٠-٩٢).



«الإله» تبارك وتعالى

أعظم دليل في الشرع يتحدث عن الإله:

فقد قال النبي ﷺ لأبي كعب: «**أَتَدْرِي أي آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ ؟**» قَالَ: قُلْتُ: الله لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صدري، وَقَالَ: «**وَالله لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ**».

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة :٢٥٥).

و قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف :٨٤)

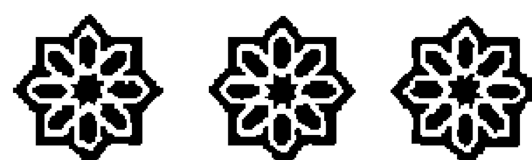
وقد جاء أيضًا في الحديث الشريف:

خبيب بن عدي رضي الله عنه يُضحي بروحه في سبيل الإله سبحانه؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن خُبيب بن عدي رضي الله عنه عندما أراد كفار قريش قتله قال:

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلمًا ... على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي

وذلك في ذاتِ الإله وإنْ يشأْ ... يُباركْ على أوصالِ شِلوٍ مُمزَّعِ



معنى: «لا إله إلا الله»

المعنى اللغوي:

قال الراغب الأصفهاني: «... وأَلَه فلان يَأْلُه إلاهةً، عبد يعبد عبادة وقيل: تألَّه فالإله على هذا هو المعبود»(١).

قيل: «أصله»: «وِلاه» فأبدل من الواو همزة وتسميته بذلك؛ لكون كل مخلوق والهًا نحوه إمَّا بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات وإمَّا بالتسخير والإرادة معًا كبعض الناس ومن هذا الوجه.

قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها وعليه دلَّ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤)(٢).

قال الزجَّاج: إله (فِعال) بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي: معبود مستحق للعبادة يعبده الخلق ويؤلِّهُونَه، والتأله: التعبد(٣).

قال أهل اللغة: إن (إله) فعال بمعنى مفعول، مثل كتاب بمعنى مكتوب وإمام بمعنى مؤتم به فيكون (معبودًا) ويقال: «أَلَه» يأله بالفتح فيهما «إلهة» أي: عبادة(٤).

«الآلهة»: الأصنام سمَّوها - أي: الكافرون - بذلك؛ لاعتقادهم أن العبادة مستحقة لها.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (٨٢-٨٣)، الوِلاه: أي: من الوله، (أي: الحُبُّ والخضوع).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «اشتقاق الأسماء» للزجاج صـ[٢٤].

(٤) «تاج العروس» صـ[٩].

مَنْ هو الله؟

الإله هو المحبوب المعبود المُطاع.

قال ابن القيم: واسم الله دال على كونه مألوهًا، معبودًا، تألهه الخلائق؛ محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب(١).

وقال أيضًا: فمن اتسع قلبه لمشهد الأهلية، وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب بكمال الذُّل والتعظيم والقيام بوظائفه العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد، ولسان حاله يقول:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم   وإن الغني الغالي عن الشيء لا به

فيا له من غنى ما أعظم خطره وأجلَّ قدره تضاءلت دونه الممالك(٢).

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: «لا إله إلا الله» أي: لا معبود بحق إلا الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الإله» هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد(٣).

وقال أيضًا: فإن الإله هو المحبوب، المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت: «لا إله إلا الله» أصدق الكلام وكان أهلها

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٢).

(٢) «طريق الهجرتين» صـ[٦٨].

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٢٤٩).

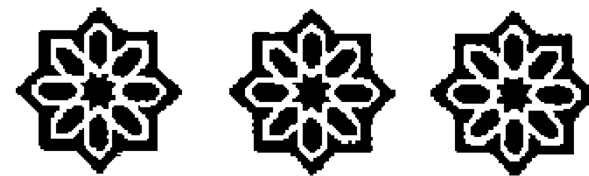
أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحَّت صحَّ بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصَحِّحْها العبد فالفساد له في علومه وأعماله(١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الإله» هو الذي يطاع فلا يُعصى؛ هيبةً له وإجلالًا ومحبة وخوفًا ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كلُّه إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله» وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبادة الرحمن: غاية حبه	مع ذُلِّ عابده هما قطبان
ومداره بالأمر - أمر رسوله -	لا بالهوى والنفس والشيطان
حق الإله عبادة بالأمر لا	بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئًا هما	سبب النجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره	إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه	أو ذو ابتداع أو له الوصفان



(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/ ٢٠٢).
(٢) ابن رجب: «كلمة الإخلاص» (٢٣).

من فضائل «لا إله إلا الله»

معرفة الله أفضل العلوم، وتوحيد الله أفضل الأعمال وكل فضلٍ إنما هو ثمرة لـه، فمن ذلك:

١- تحريم المال والدم: قال النبي ﷺ: «مَنْ وَحَّدَ الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِـنْ دُونِ الله حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى الله»(١).

٢- دخول الجنة: قال النبي ﷺ: «مَنْ ماتَ وهو يعلـمُ أنـه لا إلـه إلا الله دَخَلَ الجنة»(٢)، وقال أيضًا: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ»(٣).

٣- التحريم على النار: قال النبـي ﷺ: «لا يـشهدُ أحـدٌ أن لا إلـه إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تَطْعَمه»(٤)، وفي رواية: «من شـهد أن لا إلـه إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله حرَّم الله عليه النار»(٥).

٤- الخروج من النار لمن قالها وآمن بها: قال النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيْرَةً، يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَـالَ: لا إِلَـهَ إِلا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَـهَ إِلا اللهُ، وَكَـانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»(٦).

---

(١) رواه مسلم (٢٣).
(٢) رواه مسلم (٢٦).
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه مسلم (٥٤).
(٥) رواه مسلم (٤٧)، من حديث عبادة بن الصامت.
(٦) رواه البخاري.

٥- انتفاع الموحِّدين بأعمال أبنائهم: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لعمرو بن العاص: «أما أبوك فلو كان أقرَّ بالتوحيد فصُمتَ وتصدقتَ عنه نفعه ذلك»(١).

٦- لا إله إلا الله: أثقل ما في الميزان: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعةٌ وتسعون سِجِلًا - أي من الذنوب - كُلٌّ منها مدَّ البصر ثم يُقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يارب، فيُقال: ألك عذرٌ أو حسنةٌ؟ فَيَهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك، فيُخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كِفَّة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»(٢).

٧- أسعد الناس بالشفاعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَسْعَدُ النَّاس بِشَفَاعَتِي يَوْم القِيَامَة مَنْ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٣).

٨- الموحِّدون هم الشفعاء في الدنيا والآخرة: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ الله فِيهِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٨٢) حديث رقم (٦٧٠٤)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٩٢).

(٢) رواه الترمذي باب الإيمان (٢٦٤١)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣)، وابن ماجه في «الزهد» برقم (٤٣٠٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند: إسناده صحيح (١٩٩٤).

(٣) رواه البخاري مع «الفتح» (١/ ٩٩).

(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

٩- قبول العمل: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ الله لَا يَقْبَلُ مِنْ العَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**».

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم.

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ (الكهف: ١١٠).

قال يحيى بن كثير: هذان شِقًّا قبول العمل أن يكون صوابًا وخالصًا، قالوا: وكيف يكون صوابًا؟ قال: أن يكون على سُنة النبي صلى الله عليه وسلم .

١٠- المغفرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قَالَ الله تبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(١).

١١- من حقق «لا إله إلا الله» دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(٢).

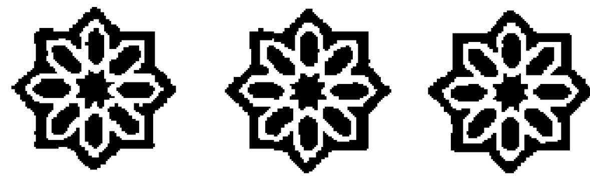
---

(١) الترمذي في «الجامع» برقم (٣٥٣٤)، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٤-١٧٢)، وله شاهد عند مسلم من حديث أبي ذر في «الصحيح» برقم (٢٦٨٧).

(٢) البخاري (٥٩٩١) الرقاق.

وفي رواية: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»(١).

«يتطيَّرون»: يتشائمون، «يكتوون»: أي يستخدمون الكي في علاج الأمراض، «يسترقون»: أي يطلبون من غيرهم أن يرقيهم(٢).



(١) البخاري.

(٢) على خلاف بين العلماء على معنى الاسترقاء هل هو الاسترقاء بما يحتوي على نهي شرعي أم المقصود عموم الاسترقاء بالمشروع وبغيره، والله أعلم.

الترهيب من الشرك

إذا كان السبب الذي بُنيَ من أجله الكون وخُلق من أجله الخلق هو عبادة الله وحده سبحانه فكل خير في الدنيا والآخرة هو ثمرة لتلك العبادة، وكل شرٍّ في الدنيا والآخرة كان سببه هو التفريط في تلك العبادة، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

فتوحيد الله - عَزَّ وَجَلَّ - أعظم ما يرضي الله من خلقه، والشرك أعظم أسباب غضبه وعقابه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾. (الحج: ٣١).

صور من غضب الآلهة الباطلة لإلهيتهم:

* فرعون أَبَى أن يكون معه إله؛ فقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨)، وغضب على من عبد إلهًا غيره، ولو كان هذا الإله هو الله سبحانه، فقال لنبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩)، يقول هذا وهو كاذب في دعواه وما هو إلا عبدٌ من عباد الله، فكيف يغضب رب العالمين وإله الأولين والآخرين على من اتخذ معه أو من دونه إلهًا؟!!

وهذا صاحب الأخدود سَخِط على من لم يتخذه إلهًا وثارت ثورته على عباد الله الذين وحَّدوا الله فأدخلهم نار الدنيا أحياءً، فكيف بعذاب الله لمن أشرك به سبحانه وهو الإله الحق وكل ما عُبِد من دونه آلهة باطلة.

١- الشرك أعظم الذنوب:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(١).

٢- الشرك لا يغفر أبدًا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨)

٣- لا يقبل الله أعمال المشركين:

قال الله عزَّ وَجَلَّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر: ٦٥).

٤ – خلود المشركين في جهنم:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٦).

٥- حرمان المشركين من رؤية الله سبحانه وتعالى:

فكما أن هؤلاء الكفار حجبوا عن قلوبهم نور الهداية والتوحيد لله العظيم حجبهم الله عن رؤية وجهه الكريم، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٥).

٦- نسيان الله للمشركين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِالعَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ الله لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

وَالحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ لَهُ: اليَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»(١).

قال أبو عيسى الترمذي: ومعنى قوله: «**اليَوْمَ أَنْسَاكَ**». يقول: اليوم أتركك في العذاب، هكذا فسَّروه كما في موضع آخر.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

(الأعراف: ٥١)

٧- دعاء الكافرين لا يقبل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ (الرعد: ١٤).

٨- حرمانهم من الجنة أبدًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (المائدة: ٧٢).

٩- الكافرون هم أعداء الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٩٨).

١٠- الشرك أعظم الظلم:

قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

(لقمان: ١٣)

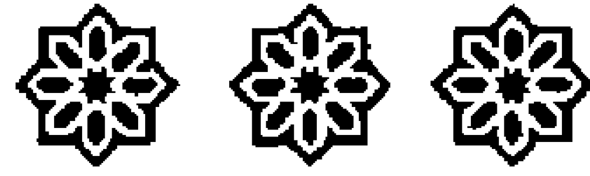
---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٢٤٢٨).

١١- الشرك أعظم أسباب الخوف في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ (آل عمران: ١٥١).

فلا يزال الشرك مصدرًا لكل شر ومانعًا لكل خير، فبالشرك هلكت أمم، ودُمِّرت قرى، وزالت ممالك، وذلَّ ملوك.



كم إلهًا تعبد؟

أما المشركون فيقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾

(ص: ٥)

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب: «**يَا عَمِّ! إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا العَجَمُ الجِزْيَةَ**»، فقالوا: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عشرًا، فقالوا: وما هي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله**» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾».

وأما المؤمنون فيقولون: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾

(الكهف: ١٤)

النفي ثم الإثبات

إن الإيمان بألوهية الله يتضمن أمرين هامين:

الأول: نفي كل الآلهة التي تُعبد من دون الله والكفر بها، وهذا قول: «لا إله».

الثاني: إثبات الألوهية لله وحده سبحانه لا شريك له ولا ندَّ معه، وهذا قول: «... إلا الله».

مثال: الخليل إبراهيم ومن تبعه يتبرؤون من الشرك وأهله فيقولون لقومهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة: ٤).

مثالٌ آخر: قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

لماذا لا إله إلا الله؟

١- لأنه الخالق وحده - سبحانه وتعالى - وغيره لا يخلق:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (غافر: ٦٢)

قال ابن كثير: أي الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق كل شيء الذي لا إله غيره ولا رب سواه، «فأنى تؤفكون» أي: تعبدون غيره من الأصنام التي لا تخلق شيئًا بل هي مخلوقة منحوتة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الذنب أعظم؟ قال: **«أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»**.

٢- لأنه الرزّاق وحده - تبارك وتعالى - وغيره لا يرزق:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨)، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (النمل: ٦٤)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣).

ينبه الله عباده إلى الاستدلال على توحيده وإفراده بالعبادة؛ لأنه سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق لا يشاركه أحد في ذلك، وإن كان كذلك فَلْيُفْرَد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد.

حتى الكفار يرزقهم ويعافيهم: عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ الله؛ يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»**[1].

(١) رواه البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

٣- لأنه الملك وحده - عَزَّ وَجَلَّ - وغيره لا يملك:

فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا تحت سلطانه[1].

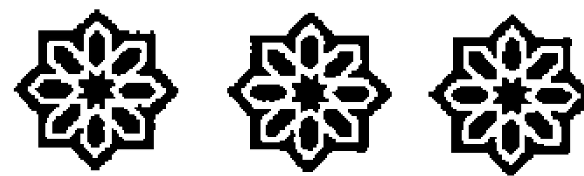
قال تعالى عن نفسه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ (الحشر:٢٣)

وقال أيضًا: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ (فاطر:١٣)، وقال تعالى عن غيره: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر:١٣).

٤- لأن النفع والضر بيد الله وحده:

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ (يونس:١٠٧).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِن اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ»[2].



(١) «النور الأسنى عن جامع البيان» (٢٨/ ٣٦) بتصرف.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فاعلم أنه لا إله إلا الله

لا معبود بحق إلا الله

إلهٌ واحد:

١- فالعبادة حق لله وحده:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله تَعَالَى عَلَى العِبَادِ؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله تَعَالَى عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله تَعَالَى؟» قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ العِبَادِ عَلَى الله - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ».

٢- والحب كله لله وحده:

فإن الإله هو المحبوب الأعظم بالقلب والجَنَانِ والمعبود الأحد الحق بالبدن واللسان.

والله أحق بقول القائل:

أُحِبُّ حبيبًا لا أُعابُ بحبِّه وأحببتم مَنْ فِي سواه عيوبُ

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة :١٦٥).

* والحب يكون في الله وحده: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

٣- الخوف من الله وحده:

فالنفع والضر بيد الله وحده، والعطاء والمنع بيده وحده، والثواب والعقاب بيده وحده، ولذلك الخوف من فوات الخير أو حصول الضر لابد وأن يكون من الله وحده سبحانه؛ لأن غيره لا ينفع ولا يضر.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (الأحزاب: ٣٩).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة: ١٨).

٤- الدعاء لله وحده:

فلا يُلَبِّي نداءَ المحتاجين غيرُه، ولا يجيب دعاءَ المُضطرِّين سواه، فكل من دُعي من دون الله لا يملك شيئًا لمن دعاه ولا يسمعه ولو سمعه ما استجاب له، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣-١٤)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢٠).

وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ (مريم: ٤٨).

٥- المساجد لله وحده:

فالمساجد بيوت الله رُفعت لذكر الله وعبادته، فكيف يُدْعَى فيها غيره أو يُرجى فيها سواه سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨)

٦- الصلاة والنحر لله وحده:

فقد خلق الله الإنسان وخلق له الأنعام ولابد لنعم الله من شكر، فمِن شُكرِ الإنسان لله أن تكونَ العبادة والصلاة لله وحده، وأما الشكر على الأنعام فبذبحها لله وحده وباسم الله وحده، وكما أمر الله وحده سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (الكوثر: ٢).

هكذا يفعل الأحناف

فقد كان زيد بن عمرو بن نفيل من الأحناف على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال للمشركين: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكر اسم الله عليه، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله؛ إنكارًا لذلك وإعظامًا له»[1].

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»**، رواه مسلم.

٧- الاستعاذة بالله وحده:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: ١-٣)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: ٦).

٨- الاستغاثة بالله وحده:

قال بعض أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قوموا بنا نستغيث برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا المنافق، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنه لا يُستَغاث بي، وإنما يستغاث بالله»**.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٢٦).

٩- الاستعانة بالله وحده:

قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ الله، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله**»، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

١٠- التوسل إلى الله وحده:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ (المائدة :٣٥).

عن ابن عباس رضي الله عنه: «**الوسيلة**» أي: القربة.

وعن قتادة: «وابتغوا إليه الوسيلة» أي: تقرّبوا إليه بطاعته.

وقال ابن كثير: والوسيلة هي التي يُتَوصل بها إلى تحصيل المقصود.

والتوسل إلى الله يكون بإحدى ثلاث طرق:

أولًا- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ إذ هي أعظم أسباب إجابة الدعاء.

مثال: كقول النبي ﷺ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ...**»[(١)].

مثال آخر: وقوله ﷺ في دعاء ليلة القدر: «**اللهمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[(٢)].

ثانيًا- التوسل إلى الله بالعمل الصالح:

وهو مشروع؛ لأنه من طاعة الله سبحانه ويُتقرَّب إليه به.

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٨)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، وانظر «صحيح جامع الترمذي» (٢٧٨٩).

مثال: التوسل بالإيمان:

كقول المؤمنين: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٩).

وكقولهم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

مثال آخر: التوسل بالإخلاص في العمل الصالح:

وهو ظاهر في حديث الثلاثة الذين دخلوا الكهف فأغلقته الصخرة، فقالوا: «**لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم**»، فتوسل الأول ببره لوالديه، والثاني بتركه للحرام، والثالث بحفظه للأمانة وأداء الحقوق لأصحابها، وكان كل منهم يقول: «**اللهم إن كُنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون**» متفق عليه.

ثالثًا- التوسل إلى الله بطلب الدعاء من صالح حيّ:

مثال: طلب الصحابة رضي الله عنهم من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء أثناء حياته، فمن ذلك:

روى البخاري من حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قال عُكاشة بن محصن: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**اللهم اجْعَلْه منهم**»، وفي رواية، فقال: «**أنتَ منهم**».

وكذلك المرأة التي كانت تُصرع فتتكشَّف، قالت: «ادع الله أن لا أتكشف» فدعا لها. متفق عليه.

مثال آخر: عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**».

١١- الحكم والقضاء لله وحده:

فحُكم الله أعدل الأحكام، وقضاؤه أعظم القضاء، فقد سَلِم حكمه من الظلم وقضاؤه من الجور، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (النساء: ٤٠)، من أجل ذلك قال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٤٠).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»[١].

فمن علم حكمة الله في حكمه، ورحمة الله في قضائه، وعدل الله في شرعه لا يسعه إلا أن يحتكم إليه وحده وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

١٢- إخلاص الدين لله وحده:

فيا من يذهبون لبيوت الله؛ ليدعوا فيها غير الله ويتبركوا بقبور وأضرحة الأموات وينحروا لهم ألا تسمعون قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٩)، قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ (الزمر: ٢-٣)، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (البينة: ٥).

١٣- رجاء الثواب من الله وحده:

وفي الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاء عن الشِّركِ، مَنْ عَمِل عَمَلًا أشرك فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ**»[٢]، وفي رواية: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِيْ عملًا أَشْرَكَ فِيْهِ غَيْرِيْ فأَنَا مِنْهُ بَرِيْءٌ وَهُوَ لِلَّذِيْ أَشْرَكَ**»[٣].

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨١١)، وأبو داود (٤٩٥٥)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (٤١٤٥).
(٢) رواه مسلم.
(٣) أخرجه ابن ماجه.

١٤- والحلف بالله وحده:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[1].

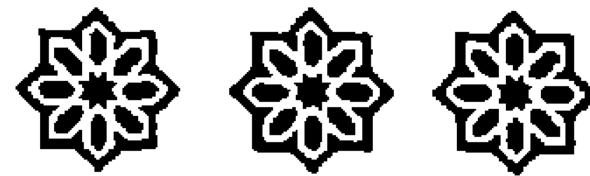
١٥- حتى الحياة والموت لله وحده:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

فالله - عَزَّ وَجَلَّ - هو خالق الحياة والموت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: ٢).

فلابد من الحياة لله على شرع الله وأمره، والموت كذلك كالشهادة في سبيل الله أو الموت على الإسلام وأنت موحِّد لله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)



(١) رواه الترمذي وحسَّنه، وصححه الحاكم.

«أإله مع الله؟»

ليس كمثله شيءٌ في ألوهيته

هـل إلـه غـير الله يُعْبَـد   هـل إلـه غـيره يُـشْكَر ويُحْمَـد؟

١- كل الآلهة التي تُعبد من دون الله مخلوقة، والله هو الخالق وحده:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ (النحل: ٢٠-٢١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ (الرعد: ١٦).

قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها.

ولذلك كان أقبح الذنوب وأعظمها أن يُجعل المخلوق ندًا للخالق سبحانه، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَدْعُوَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**».

فسبحان الله ما أعظمه من إله، فكل شيءٍ من خلقه وإبداعه من أجل ذلك قال الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩).

ولله درُّ القائل:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لُجين ناظرات بأحداق هي الذهب السبيكُ
على قُضُب الزبرجد شاهدات بأنَّ الله ليس له شريكُ

وقال آخر:

فيا عجبًا كيف يُعصَى الإله أم كيف يجحد الجاحدُ؟
وفي كل شيءٍ له آية تدل على أنه واحدُ

٢- كل الآلهة من دون الله متفرقون متشاكسون:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف:٣٩)، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر:٢٩).

٣- آلهة تأكل وتشرب وتلد؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ (المائدة:٧٥).

قال ابن كثير: أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ما أصبره عليهم!

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنْ الله، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»**.

٤- آلهة مفلسة وفقيرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣-١٤).

٥- آلهة عباد لله جل جلاله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

٦- آلهة تنام وتموت:

قَالَ تَعَالَى عن الآلهة الباطلة: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ (النحل: ٢٠-٢١).

وقال تعالى عن نفسه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، وقال عن غيره: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، وقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

فأين فرعون الذي كان يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾، وأين النمروذ الذي قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، بل أين صاحب الأخدود الذي قال لمن آمن: «ألك ربٌّ غيري».

فهم كما قال الشاعر:

أتى على الكل أمرٌ لا مرد له ... فقضوا وكأنَّ الكلَّ ما كانوا

وكما قال آخر:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص:٨٨).

٧- كل الآلهة من دون الله باطلة:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحج:٦)، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (الحج:٦٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَصْدُق كلمةٍ قالها الشاعر لَبِيد: «ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلٌ»**».

٨- عاجزون «أضعف من الذباب»:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قال الله: وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»، وفي رواية لأحمد: «**فَلْيَخْلُقُوا مِثْلَ خَلْقِي ذَرَّةً أَوْ ذُبَابَةً أَوْ حَبَّةً**».

قال ابن كثير: أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبهم شيئًا ثم أرادوا أن يستنقذوه منه لما قدروا على ذلك، هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها، ولهذا قال تعالى: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣).

٩- آلهة لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر:

قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (مريم:٤٢).

١٠- معبودات من صنع عابديها:

قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات:٩٥-٩٦).

١١- ليس لها إلا الأسماء في نفوس أصحابها:

قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (يوسف: ٤٠).

قال ابن كثير: إن التي يعبدونها ويسمونها آلهة إنما هي جعل منهم وتسمية من تلقاء أنفسهم تلقاها خلفُهُم عن سلفِهم وليس لذلك مستند من عند الله.

١٢- آلهة قبيحة!!

فلا تجد معبودًا من دون الله يخلو من أوجه القبح بين أصنام وأحجار أو قبور وأشجار أو بشر يأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون، أين هذا من الله سبحانه الذي وصفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**».

وانظر إلى الجمال والعظمة والكبرياء حين يصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجه الله فيقول: «**حِجَابه النُّور، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَات وَجْهه مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَره مِنْ خَلْقه**».

وانظر إلى هذا الوصف الذي يجعل النفس تشرق بنور الإيمان، والقلب يسعد بحب الرحمن، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ (الزمر:٦٩).

١٣- آلهة تقود عابديها وأصحابها إلى جهنم:

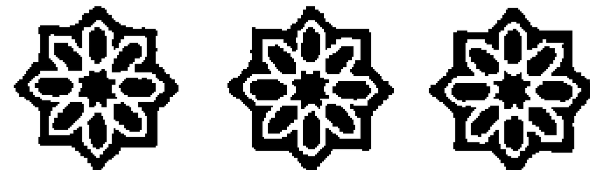
عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله مِنْ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ**».

وفي رواية لأحمد: «فَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ الشَّمْسَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ القَمَرَ القَمَرَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ الأَوْثَانَ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ الأَصْنَامَ فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ».

١٤- آلهة تعذب مع أصحابها في جهنم:

قَالَ تَعَالَىٰ للكافرين: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء:٩٨).

قال ابن كثير: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها.



لا إله إلا الله: دعوة الأنبياء والمرسلين

الدعوة إلى «لا إله إلا الله»: فهي نجاة من الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (القصص: ٨٧)، وهي خير الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

(فصلت: ٣٣)

وهي دعوة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

وهي دعوة نوح لابنه أيضًا: قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾

(هود: ٤٢-٤٣)

وهي رسالة إبراهيم عليه السلام: فدعا أباه وقومه إليها، قال تعالى يخبر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الصافات: ٨٥-٨٧).

ووصَّى بها أبناءه: قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢).

ودعوة هود عليه السلام إلى عاد: قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: ٦٥).

ونداء صالح عليه السلام إلى ثمود: قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (الأعراف: ٧٣).

وموعظة لقمان لابنه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣).

ووصية يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ **لبنيه عند موته:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٣).

وهي دعوة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وأمَّته إلى الناس كافة إلى قيام الساعة.**

فقد بعث الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشهادة أن لا إله إلا الله إلى الإنس والجن والعرب والعجم، وأمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأمته بالدعوة إليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:١٠٨).

قال ابن كثير: يقول تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الثقلين الجن والإنس آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي[(١)].

دعوة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لقومه:** فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطوف بقومه ويقول لهم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوا**»[(٢)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢-٤٧٩).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٢، ٤/ ٣٤١)، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، من حديث ربيعة بن عباد، وابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» (٤/ ١٩١)، والبخاري في أفعال العباد (٢٥٨)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١١)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه.

وأمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يدعو إليها أهل اليمن:

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله**»، وفي رواية: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا الله...**»(١).

ومن أجل الدعوة إليها فُرِض الجهاد وأرسل النبي ﷺ الجيوش: فإن جهاد الإسلام جهاد مقدَّس طاهر فلم يفرض الجهاد؛ لسفك الدماء ولا لنهب الأموال وهتك الأعراض كما يفعل أهل الظلم والبغي والطغيان، ولكن فُرض الجهادُ؛ لتكون كلمة الله هي العليا؛ وليعرف الناس خالقهم ويعبدوا إلههم الحق سبحانه.

فقد أرسل النبي ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أميرًا على الجيش في غزوة خيبر، وقال له: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَى فِيهِ، فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**».

نجاة أُمَّةِ التوحيد بأبي بكر رضي الله عنه لمعرفته مَنْ الإله المعبود وبراءته من عبادة غيره:

فإن أعظم ما أصلح الله به أمة الإسلام عند وفاة النبي ﷺ (فداه نفسي وولدي ووالدي) هو أن قيض الله لتلك الأمة رجلًا موحِّدًا موفَّقًا يعلم أن لا إله إلا الله، وثبت عليها وبها حين زلت الأقدام وحارت الأفهام، فكان نعم القائد لقومٍ كانوا في حيرة واضطراب، ونعم الراعي لأناسٍ كانوا كالشاة وسط الذئاب، فخرج عليهم وقال: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ

(١) البخاري في صحيحه (١٤٥٨، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٧٣٧١)، ومسلم (١٩)، وغيرهما.

يَعْبُدُ الله عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الله حَيٌّ لاَ يَمُوتُ»، ثم قرأ الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، قال: فنشج الناس يبكون.

ثم لقد بصَّر أبو بكر الناس الهدى، وعرَّفهم الحق الذي عليهم وخرجوا يتلون: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

هذه دعوة الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من العلماء والصالحين، فسِرْ على هديهم تلحق بهم، وكنْ مثلهم تُحشر معهم، ولا يكوننَّ (الهدهد) أحرص منك على دين الله والدعوة إليه، فإن لك مثل أجر من يهتدي على يديك،

وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى

دعاء الله باسمه «الإله» تبارك وتعالى

١- الإخلاص في «لا إله إلا الله»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا قَـالَ عَبْـدٌ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ قَطُّ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْـوَابُ الـسَّمَاءِ حَتَّـى تُفْـضِيَ إِلَى العَـرْشِ مَـا اجْتَنَـبَ الكَبَائِرَ**».

٢- دعاء مُستجاب:

سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسـألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»، فقال: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعـي بـه أجاب**».

وفي رواية: «**والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظـم الـذي إذا دُعـي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى**».

٣- ودعاء عند الكرب والشدة:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبـي صلى الله عليه وسلم يـدعو عنـد الكـرب يقول: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِـيمُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ الـسَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**». وفي رواية النسائي وصححه الحاكم عن عليٍّ رضي الله عنه قال: لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل كربٌ أو شدةٌ أن أقولها.

ودعاء سارة لكرب النساء:

فلما أراد الملك الظالم أن يأخذ سارة – عليها السلام– لم تجد ما تدعو الله به أعظـم من توحيدها له فقالت: «اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلط عليَّ هذا الكافر»، فصرفه الله عنها وأخدمها هاجر.

٤- دعوة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ تجاب لكل مسلم:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ الله لَهُ».

٥- الشهادتان بعد الوضوء تُفتح بهما أبواب الجنة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»(١).

٦- خير الكلام:

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «خيرُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير»(٢).

٧- عشر مرات بأربعة أنفس:

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

٨- مائة مرة أجرٌ عظيم وحرزٌ من الشيطان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْده لَا شَرِيك لَهُ، لَهُ الْمُلْك وَلَهُ الْحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير فِي يَوْم مِائَة مَرَّة،

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤) في «الطهارة».

(٢) رواه الترمذي (٣٥٧٩) في «الدعوات» وهو في «المشكاة» (٢٥٩٨)، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣)، و«صحيح الترمذي» (٣٨٣٧).

كَانَتْ لَهُ عَدْل عَشْر رِقَاب، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَة حَسَنَة، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَة سَيِّئَة، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَان يَوْمه ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَل مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُل عَمِلَ أَكْثَر مِنْ ذَلِكَ».

٩- دعاء عند المضجع: عند النوم:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يقول إذا تبوَّأ مضجعه: «الحَمْدُ لله الذِي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْء، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ».

١٠- دعاءٌ يُصدِّق الله قائله وينجيه من النار:

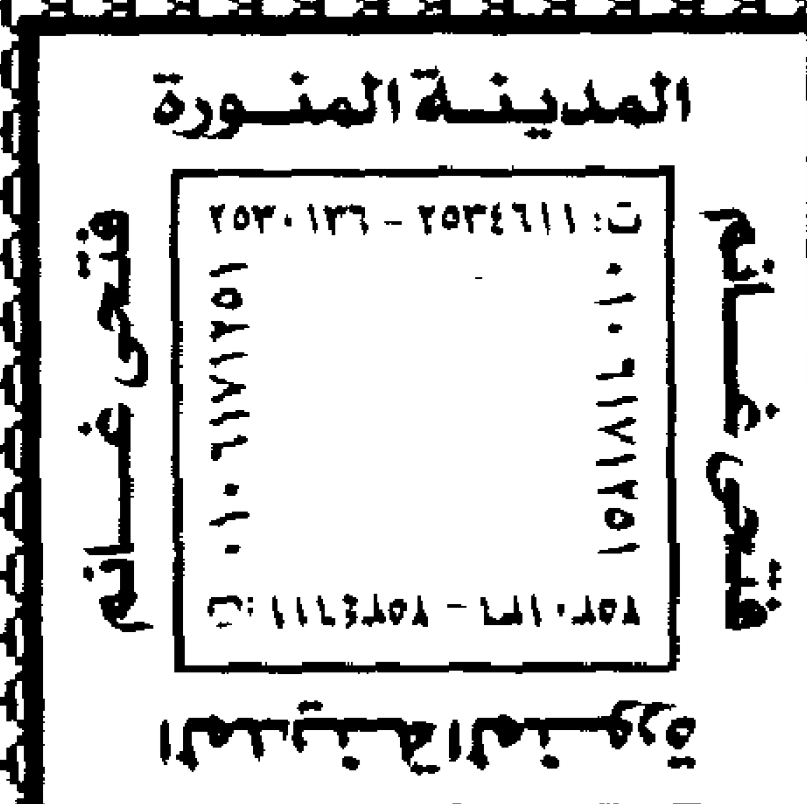
عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لاَ إِله إِلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي، وَكَانَ يقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ».

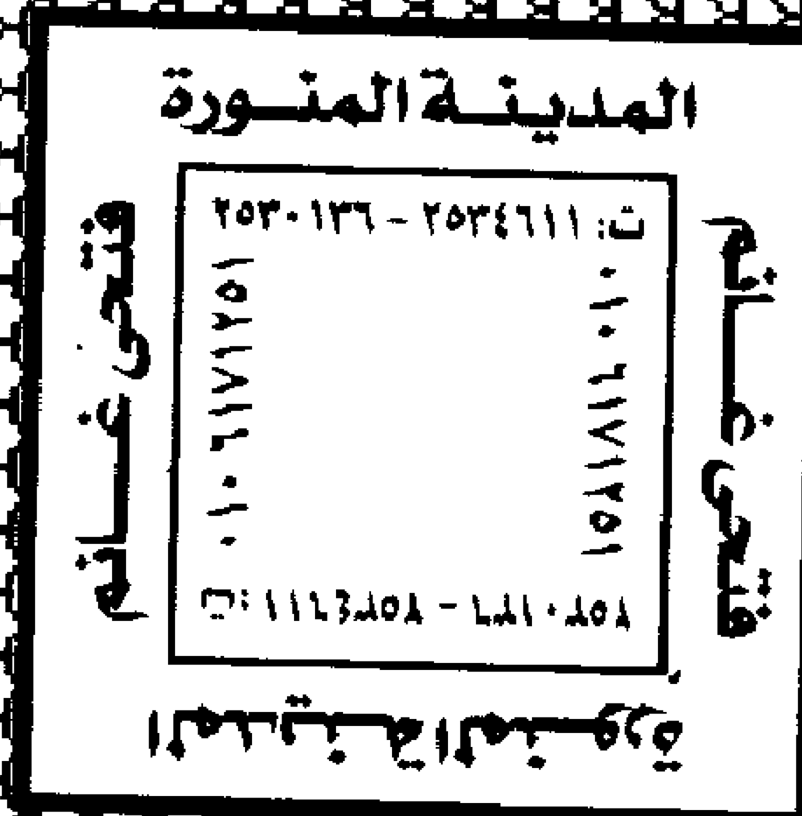
١١- سيد الاستغفار ثم الجنة:

عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتنِي وَأَنَا عَبْدُك، وَأَنَا عَلَى عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْت، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْت، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِك عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ».

فهرس

تم بحمد الله


المدينة المنورة
فتحي غانم
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦
٠١٠٠٦١٧١٢٥١


المدينة المنورة
ت: ٢٥٣٤٦١١ - ٢٥٣٠١٣٦
٠١٠٠٦١٧١٢٥١
فتحي غانم







الدار العالمية للنشر والتوزيع
٢١ ش الصالحي – محطة مصر – الإسكندرية
هاتف: ٠٠٢٠٣٤٩٧٠٣٧٠ فاكس: ٠٠٢٠٣٣٩٠٧٣٠٥ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٥٥٢١١٨
Email:alamia_misr@hotmail.com